الدكتور: محمد الصغير غانم
أستاذ التعليم العالي في التاريخ القديم والآثار البونية
بجامعة منتوري قسنطينة

مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم



دار الهدى
عين مليلة - الجزائر

جامعة منتوري
قسنطينة

الرقم التسلسلي 1215 - 2003 دار الهدى
رقم الإيداع القانوني 2036 - 2003 المكتبة الوطنية
ردمك 4 - 481 - 60 - 9961



للطباعة والنشر والتوزيع

المنطقة الصناعية ص ب 193 عين مليلة – الجزائر
الهاتـف: 47 95 44 032 / 00 92 44 032
الفاكس: 18 94 44 032
www.elhouda.com darelhouda@yahoo.fr

الفروع

عين مليلة	الجزائر
الحي البلدي	01 شارع أوراس بشير باب الواد
الهاتـف: 57 83 44 032	الهاتـف: 20 62 96 021
الفاكس: 67 92 44 032	الفاكس: 11 61 96 021

قسنطينة	وهـران
حي كوحيل لخضر جنان الزيتون	05 شارع زيغود يوسف عمارة الحرية
الهاتـف: 08 22 92 031	الهاتـف: 47 46 40 041
الفاكس: 08 27 92 031	89 46 40 041
	الفاكس: 54 56 41 041

الإهـــــــداء

إلى روح والدي مبروك غانم الذي حرمت من حنانه منذ صباي، وإلى أرواح كل شهداء الحركة الوطنية وثورات التحرير المغاربية الذين ناضلوا بأفكارهم ودمائهم الزكية، من أجل استرجاع كرامة وثوابت هذا الجزء من وطننا الأمازيغي العربي الذي توحّد تحت راية الإسلام.

إلى كل هؤلاء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه . . . أهدي هذا الكتاب الذي لا شك أن الأجيال الصاعدة ستجد فيه ما يروي ضمأها من خلال ما تضمنه من معارف تاريخية تراثية يستطيعون من خلالها الإطلاع على بصمات من عاشوا على أديم هذه الأرض وتركوا جهدهم ماثلا للعيان يطلع عليه من جاء بعدهم

المؤلف

بناء على ما سبق خصصت الفصل الأول لمواقع حضارات العصر الحجري القديم الأسفل في البلدان المغاربية بحيث رصدت معظم المواقع والحضارات التي تعود إلى ذلك العصر.

أما الفصل الثاني فقد تضمنت محاوره محطات العصر الحجري القديم الأوسط في المنطقة موضوع الدراسة مركزا في ذلك على مخلفات تقنية رؤوس سهام الحضارة العاترية وامتدادها الجغرافي.

وكان من نصيب الفصل الثالث دراسة مخلفات العصر الحجري اللاحق وما يعرف في هذا الفصل على مخلفات الحضارتين الايبيرومغربية الساحلية التلية ثم القفصية بأنواعها.

واشتمل الفصل الرابع على دراسة الملامح الحضارية للعصر الحجري الحديث من حيث توسيع مدارك الإنسان الفكرية التي عبر عنها فيما يعرف بالرسوم الصخرية التي بقيت تشهد على رقي مستواه الفكري خلال تلك الفترة والمتقدمة من الزمن، يضاف إلى ذلك تدجين الزراعة واستئناس الحيوانات وصناعة الفخار ثم تقنيات صناعة العظام والعاج مما جعل اقتصاد الإنسان ينمو أكثر ويتمحور على عدة مجالات في حياته اليومية، وشيئا فشيئا استطاع الإنسان أن يضيف إلى تقنياته القديمة وتجربته مع المواد السابقة الذكر اكتشاف المعادن التي تمثلت في بداية الأمر في معدني النحاس والبرونز، ثم أضيف إليهما فيما بعد خلال بداية الفترة التاريخية معدن الحديد، حينئذ يمكننا أن نعتقد بأن استقرار الإنسان بدأ يأخذ شكلا جديدا بحيث غادر الكهوف إلى بناء دعائم وبيوت تشبه الأكواخ أصبحت هي مستقراته إضافة إلى ذلك نرى أنه دفن موتاه في قبور حجرية (ميجاليتية) عرفت حسب التدرج التاريخي بالتميلوس ثم الدولمن والحوانيت.

وقد وفرت سلاسل جبال لبنان والأطلس الساحلية لسكانها الاستقرار بعد اكتشافهم لأهمية الأخشاب المتوافرة في السلسلتين فكانت وسيلتهم في التنقل في بداية الأمر وما بين مدنهم الساحلية التي يصعب الوصول إليها عن طريق اليابسة في كثير من الأحيان، وفيما بعد أخذت مطالب سكان السواحل تتكاثر بناء على الازدياد الديمغرافي، فانطلقوا إلى ركوب البحر قصد الوصول إلى الأقاصي البعيدة.

وهكذا نرى أن جبال لبنان الغربية في السواحل الشرقية للبحر المتوسط وجبال الأطلس التلية في شمال إفريقيا كانتا قد وفرتا للإنسان بفضل أخشاب أشجارهما انفتاح المنطقتين على البحر المتوسط وتياراته الفكرية والحضارية وذلك منذ فترة مبكرة من تاريخ

البشرية وكانت الوسيلة في ذلك هي القوارب والسفن التي انطلقت تساحل في بداية الأمر، ثم تشق عباب البحر فيما بعد ذلك.

كل ما سبقت الإشارة إليه يجعل الدارس لتضاريس الساحلين الشرقي والجنوبي الغربي للبحر المتوسط يلمس اللقاءات الباكرة بين سكانه ثقافيا واقتصاديا وحتى بشريا، وعلى ضوء ذلك يمكن أن نشير إلى أن حلقة الرابط الحضاري التي تمثلها جمجمة إنسان نياندرتال الفلسطيني المغاربي كانت هي الرابطة القوية بين المنطقتين منذ العصر الحجري القديم الأوسط، لا سيما فترة الحضارة العاترية منه والتي وجدت أثارها المتمثلة في رؤوس السهام المذنبة شمال أسوان بمصر العليا شرقا وجبل أرحود على سواحل المحيط الأطلسي للمغرب الأقصى.

تمهيد:

المكونات التضاريسية للمنطقة المغاربية:

يخيل للناظر في خريطة المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي غربا حتى الخليج العربي شرقا، بأنها عبارة عن فسيفساء مختلفة الأشكال والأنواع من حيث التركيبة التضاريسية والمناخية وحتى البشرية.

غير أنه بنظرة متأنية لطبيعة المنطقة, يلاحظ المتأمل فيها بأن الأشياء مكملة لبعضها البعض من حيث المظهر الجغرافي والامتداد التاريخي.

وعلى سبيل المثال, فإن المنطقة الممتدة على سواحل البحر المتوسط الجنوبية والشرقية تمتد فيها سلاسل جبلية موازية للساحل تتخللها سهول ساحلية ضيقة متقطعة في كثير من الأحيان. وذلك لأن كلا من جبال الأطلس التلي في بلاد المغرب القديم وجبال لبنان الغربية في شرقي المتوسط تنحدران عموديا على الساحل في كثير من الأحيان, مما يستحيل معه توفر سهول ساحلية واسعة. وقد تشذ عن هذه القاعدة سواحل كل من ليبيا ومصر وفلسطين التي تلامس فيها الصحراء سواحل البحر أو تقترب منه على الأقل[1].

وحتى الطبيعة المكونة لسلاسل الأطلس وجبال لبنان الجيولوجية تكاد تكون متشابهة من حيث تركيب صخورها، وذلك لأن بروزها على سطح الأرض حسب الدراسات المتخصصة يعود إلى الزمن الجيولوجي الثالث الذي أخذت فيه سواحل البحر المتوسط شكلها الحالي تقريبا[2].

الموقع الاستراتيجي:

تمتاز بلاد المغرب القديم من حيث الموقع الجغرافي بكونها تعتبر بمثابة حلقة ربط بين الحوض الغربي للمتوسط والحضارات التي نشأت في المنطقة الصحراوية جنوبا, ذلك لأنها تعد رابطة بين الحضارتين الإفريقية والبحر متوسطية المتمثلة في الإغريقية والرومانية والشرق القديم ولذلك فإن المنطقة المغاربية تعتبر ملتقى حضارات للمناطق المحيطة بها. ولقد كان لتلك الاتصالات التي امتدت عبر الزمن أثرها البالغ في تاريخ المنطقة.

---

(1) حسون أحمد ونصيف ميخائيل، الأطلس التوجيهي مكتبة النهضة المصرية، القاهرة بدون تاريخ، ص 19.

(2) -R. Dussaud ; la pénétration des arabes en Syrie avant l'islam, Paul Guethner ; Paris 1955 ; p11.

أما عن عامل البيئة، فإنه نظرا للطابع الطبوغرافي الذي فرضته الطبيعة في المنطقة التي تستولي على شمالها في كثير من الأحيان الجبال الصعبة المسالك والتي تفرض عليها التموقع في كثير من الأحيان, فإن الإنسان فيها طبع بطابع الجدية وذلك حتى يغلب على صعوبة المنطقة ويخلق لنفسه مناخا خاصا.

وقد كانت تضاريس المنطقة قد أعاقت الإنسان على الدخول في الفترة التاريخية لإذا ما قيس بجيرانه الذين وفرت لهم السهول التي تتوفر فيها المياه الجارية مثل بلاد ما بين النهرين ووادي النيل.

نتيجة للعاملين السابقين فقد توفرت في تاريخ المغرب القديم الصفة المحلية والدولية في إطار البحر المتوسط تارة وفي الإطار العربي والإفريقي تارة أخرى[1].

المعالم الجغرافية لبلاد المغرب القديم:

- التضاريس:

حظيت السهول الساحلية لبلاد المغرب مثل غيرها من المناطق المطلة على سواحل البحر المتوسط بسهول رسوبية تمتد من الغرب إلى الشرق ابتداء من المحيط الأطلسي حتى حدود مصر الغربية وتتصف هذه السهول بالضيق في الوسط والاتساع في الغرب والشرق وتتخللها وديان فصلية وخلجان صالحة للملاحة وهي في كثير من الأحيان صالحة للزراعة غير أن هذه السهول تنعدم في بعض الأحيان بحيث تنزل الجبال عمودية على شاطئ البحر, مثال ذلك ما نلاحظه في المنطقة الجبلية الممتدة ما بين سهل المتيجة بالوسط الجزائري وسهل عنابة وكذلك منطقة الجبل الأخضر بليبيا وإقليم الشاوية بالمغرب الأقصى. وفي غالب الأحيان فإن تكوين السهول الساحلية في بلاد المغرب إلى الزمن الرابع الجيولوجي الذي أخذ فيه البحر المتوسط شكله الحالي حسب التقرير.

ومن جهة أخرى تتكون تربة هذه السهول المشار إليها من ترسبات الأتربة التي نقلتها مياه الأمطار من الجبال المحاذية لها, وعلى هذا الأساس فإن معظم تلك السهول ذات تربة خصبة متجددة.

وحسب الدراسات الحديثة فإن السهول المغاربية تنقسم إلى سهول ساحلية وداخلية ولكل منها مميزاته الخاصة.

---

(1) - F. Décret et M.H.l'Afrique du nord dans l'antiquité;éd. Payot, Paris 1981, P. 09.

* فهناك مثلا السهول التي اشتهرت بزراعة الحبوب والخضروات والفواكه وبالعكس من ذلك هناك السهول الاستبسية التي تصلح لتربية الحيوانات... الخ.

- السلاسل الجبلية:

إلى الجنوب من السهول الساحلية تمتد سلسة الجبال المتصلة تقريبا والممتدة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي حيث تشمل منطقة المغرب الأقصى والجزائر وشرقي تونس ومحاذية للساحل في ليبيا, منطقة الجبل الأخضر ببرقة.

وقد عرفت سلسلة الجبال المتصلة الأولى "بالأطلس التلي" الذي تعود تكوينات صخوره إلى الطور الجيولوجي الثالث ومعظم صخوره بركانية, وتعتبر هذه الجبال امتدادا لجبال الألب الأوروبية وهي معاصرة لها في الظهور[1].

ويلاحظ الدارس أن الجبال المشار إليها تسير موازية للساحل حتى أنها في كثير من الأحيان تقف سدا منيعا أمام المتوجه نحو الداخل فيما عدا تتبع مجاري الأنهار التي تقتحم هذا الحاجز وبذلك تكون نقطة اتصال بين الداخل والساحل.

- إقليم النجود:

يشمل إقليم النجود كامل المنطقة الممتدة ما بين الأطلس التلي والصحراوي ويتجه في عمومه من الغرب إلى الشرق, وتعود معظم ترسباته إلى الزمنين الجيولوجيين الثالث والثاني.

ويتراوح ارتفاعه عن سطح الأرض بحوالي 1200 م فما فوق, ومن بين سهوله في الجزائر سهل الحضنة وتلمسان وبلعباس ومعسكر, وتعد السهول الثلاثة الأخيرة من أهم السهول التي وجدت فيها بصمات وبقايا الإنسان المغربي القديم في الجزائر.

- الأطلس الصحراوي:

تنتمي هذه السلسة من الجبال إلى أسرة الجبال الالتوائية التي تعود في تكويناتها الرسوبية إلى الزمنين الجيولوجيين الثاني والثالث وتتجه في معظمها من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي. وتمثل هذه الجبال الحد الفاصل بين إقليم النطاق الصحراوي والنطاق الشمالي وتتخللها وديان وبحيرات مغلقة تربط ما بين الشمال والجنوب, وعلى العموم فإن هذه السلسلة الجبلية أعلى من سلسلة الأطلس التلي وذلك راجع لعدة أسباب منها نقص

---

(1) حليمي عبد القادر، جغرافية الجزائر, ط 1 1968, ص ص 47 – 57.

عوام الحت والتعرية، ومن أهم جبال عين الصفراء وعمور وأولاد نايل والأوراس وجبال الفحص والظهرة التونسية بتونس وجبال نفوسة وطرابلس بليبيا.

- النطاق الصحراوي:

إلى الجنوب من الأطلس الصحراوي تمتد الصحراء الكبرى التي لا توجد في جنوبها الشرقي جبال الهوقار ذات الأشكال المخروطية وتلحق بها جبال التاسيلي التي تتسم بنفس المواصفات.

وحسب رأي بعض الباحثين، فإن الصحراء الكبرى كانت هي مصدر نشأة الإنسان الأول، وقد هاجرها بعد فترة الجفاف الذي أصابها في نهاية الزمن الجيولوجي الرابع فاتجهت مجموعة من سكانها نحو الشمال متتبعة مصدر المياه فاستقرت في شمال القارة الإفريقية، ثم اتجهت المجموعة الثانية إلى الجنوب نحو أعالي نهر النيجر والمناطق الاستوائية لنفس الغرض.

- المناخ:

اعتباراً إلى أن بلاد المغرب تنحصر فيما بين خطي عرض 19–37 شمال خط الاستواء وهذا يعطيها صفة مميزة حيث تظهر الفروق الحرارية في مناخها فيما بين الشمال والجنوب وتلها لهذا الاختلاف تزداد الحرارة كلما اتجهنا من الشمال نحو الجنوب وتبعا لهذا الاختلاف تزداد الحرارة كلما اتجهنا من الشمال نحو الجنوب وتنقص البرودة والأمطار ويزداد الجفاف كلما اتجهنا من الشمال إلى الجنوب هذا في وقتنا الحاضر.

أما في العصور القديمة فإن الأوضاع كانت مختلفة على ما هي عليه في وقتنا الحالي وذلك لعدة أسباب منها:

أ. وجود مجاري الأنهار في الصحراء يدل على أن هذه المنطقة كانت تنال كمية من المطر أكثر مما هي عليه الآن، تدل على ذلك بقايا مجاري الوديان التي لا زالت موجودة حتى يومنا هذا مثل وادي الساورة ووادي تفاسيت اللذين يتجهان من الشمال نحو الجنوب ووادي إغرغار الذي يتجه نحو الشمال مخترقا واحة تقرت ليصب في شط ملغيغ بالشرق الجزائري.

ب. وجود بقايا حيوانات متحجرة وبقايا الأشجار يدل على أن المنطقة الصحراوية كانت ذات مناخ رطب يختلف على ما هو عليه الآن.

ج. أثبتت الدراسات المناخية أن درجة الرطوبة بالصحراء كانت أكثر مما هي عل الآن, لا سيما في فترة الزمن الجيولوجي الرابع.

د. وجود فؤوس حجرية ومستقرات في أعماق الصحراء بالهوقار والتاسيلي يدل عل أن هذه المنطقة كانت ملائمة للحياة البشرية أكثر مما هي عليه في وقتنا الحالي.

هـ. وجود بقايا عظام الحيوانات المتحجرة يدل هو الآخر على وجود النشاط الإنسا في المنطقة المغاربية خلال الأزمنة القديمة.

الفصل الأول

– حضارات العصر الحجري القديم الأسفل

1- المواقع الحضارية للمغرب الأقصى.

- سيدي عبد الرحمان – تيت مليل – عين فريطسة.

2 - المواقع الحضارية الجزائرية.

أ.مواقع الغرب الجزائري.

- بحيرة كرار – أوزيدان – اين كرمان – أبو قـير – تغـنفين.

ب. مواقع الوسط الجزائري.

- تقدامت – شامبلان

ج.مواقع الشرق الجزائري.

-عين الحنش – السهول العليا القسنطينية – الماء الأبيض- العين الصافية.

3 - المواقع الحضارية التونسية :

- قفصة – سيدي الزين.

4 - المواقع الليبية.

- بئر دوفان.

مواقع حضارات العصر الحجري القديم الأسفل:

لم تكن مهمة الإنسان المغاربي القديم سهلة خلال فترة ما قبل التاريخ كما يعتقد البعض، بل كان المحيط الطبيعي الذي يعيش فيه معاديا له في كل شيء ابتداء من كسبه لقوته اليومي وحتى أمنه وسلامته كانا معرضين للخطر في كل لحظة، ومع ذلك استطاع ذلك الإنسان رغم فكره المحدود وإمكانياته البسيطة أن يتصدى لتلك الصعاب التي تواجهه.

ولعل من بين ما ساعد الإنسان المغاربي القديم في مسيرته تلك في بداية الأمر ميول الجو نحو الاعتدال إلى حد ما. حيث كان يمر بمرحلة مطيرة في شمال إفريقيا، يقابلها زحف جليدي في القارة الأروبية. وقد عرفت تلك المرحلة في المغرب الأقصى من حيث المناخ بالعامرية والتنسيفية يماثلها في أوربا فترة ما بين جليدية "مندل وريس"[1]. [أنظر الجدول ص.18]

وبما أن البيئة المغربية كانت متميزة بطبيعة تضاريسها وغطائها النباتي فقد التجأ الإنسان إلى الكهوف والمغارات ليتخذ منها مسكنا له في بداية الأمر، ثم تجمع بعد ذلك حول البحيرات والعيون والواحات، وقد كانت حياة الإنسان خلال تلك الفترة معتمدة على الصيد والجمع والالتقاط والمحاكات لمظاهر الطبيعة التي تحيط به.

ويلاحظ أنه يصعب على الباحث في فترة ما قبل التاريخ المغربي إيجاد رابطة قوية بين الأماكن التي تجمع فيها أناس ذلك العصر وكذا نوعية نمط الحياة التي عاشوها حينذاك، لاسيما في فترة العصر الحجري القديم الأسفل (Paléolithique Inférieur) ورغم ذلك هناك إمكانية دراسة الأشياء المادية التي تركها الإنسان في مواقعه الأثرية ثم استنتاج نوعية تفكيره المادي والمعنوي من خلال ذلك. وبالتالي محاولة الوصول إلى رسم خط حضاري يربط بين مختلف العصور الحجرية التي مرت بها الإنسانية

وتجدر الإشارة إلى أن نواة الحضارة الإنسانية كانت قد بدأت في تلك الفترة التي فكر فيها الإنسان وحقق تفكيره بصنع آلاته وأدواته الحجرية التي شذبها في بداية الأمر في اتجاه واحد أو عدة اتجاهات دون أن يتحكم في صناعتها وإخضاعها لما يريد[2].ولم يأت ما قام به الإنسان اعتباطا هكذا، بل كان نتيجة عدة تجارب وملاحظات واجهته في حياته

---

(1) محمد سحنوني، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1990، ص 39.

(2) حمد السيد غلاب ويسرى الجوهري، الجغرافية التاريخية، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1968 ص 232

اليومية[1]، وقد كانت بصمات الإنسان المغاربي القديم التي بقيت عالقة على الحجارة قد اكتشفت في عدة مناطق مغاربية نصنفها جغرافيا على الشكل الآتي وذلك تسهيلا للدراسة والتحكم في خريطة المواقع المنتشرة في كامل المنطقة المغاربية، ولو أننا ندرك بأننا لا نستطيع الإتيان عليها كلها.

(1) رشيد الناضوري، جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، الكتاب الأول، دار مكحتبة الجامعة العربية، بيروت 1968 ص101.

جدول يوضح المراحل الجليدية الأوروبية وما يقابلها (المطيرة) في بلاد المغرب القديم[1]

(فترة ما قبل التاريخ)

أوربا	بلاد المغرب القديم	الحضارة	العصر من حيث الاعتدال والتجمد
فورم Wurm	السلطانية Soltanien	نيوليتي Néolithique قفصية Capsien ايبيرومغربية Ibéromaurusien عاترية Atérien	هولوسين Holocèn
ريس Riss	التنسيفية Tensiftien	الموستيرية Moustérien الأشولية Acheuléen	البليستوسين الأعلى Pléistocène Supérieur
مندل Mindel	العامرية Amirien	تواصل الأشولية Acheuléen الحصى المشذبة Galets aménagés	البليستوسين Pléistocène
جنز Gunz	السلاوية Saletien	الحصى المشذبة 1-2 Galets aménagés	البليستوسين الأسفل Pléistocène Inférieur
ما قبل جنز	الملوية Moulouyen	ما قبل الحصى المشذبة السفلى Prégalets aménagés inférieur	ما قبل البليستوسين الأسفل Prépléistocène inférieur

(1) G. Camps, Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara, Doin, Paris 1974, P.13

المواقع الحضارية للمغرب الأقصى:

- سيدي عبد الرحمان:

تتمثل حضارة مواقع المغرب الأقصى في بقايا صناعة محاجر سيدي عبد الرحمان ودبرية ومارتن والتي تقع بالقرب من الدار البيضاء، وتعود إلى العصر الحجري القديم. وقد أعطت الحملات التنقيبية التي قام بها علماء آثار فرنسيين نتائج هامة أسفرت عن اكتشاف بقايا عظام فك سفلي وأسنة. وقد سمي ذلك الإنسان بإنسان الرباط المعتدل القامة وذلك وفقا لما أشار إليه هؤلاء الباحثين(1) أنظر الشكل 1 (أ) ص.20]

بالإضافة إلى ذلك عثر على كويرات حجرية وفؤوس يدوية ولكنها صنفت بالصناعة الكلاكتوا أبفيلية (Clacto-Abvillien) التي تحتوي على ثماني طبقات عثر على بقاياها في المناطق الداخلية والصحراوية تحت سمات الحضارة الأشولية. [أنظر الشكل1 (ب) ص.20].

ويلاحظ بأن الجانب الكرونولوجي في الصناعة الرحمانية بقي غامضا إذا ما قيس بما أسفرت عنه مثيلاتها في عين الحنش بالجزائر من حيث الصناعة الحجرية أو البقايا الحيوانية المتحجرة(2).

- تيت مليل:

يوجد هذا الموقع الأثري في ضواحي الدار البيضاء بالمغرب الأقصى. وهو عبارة عن قاع مستنقع شبيه ببحيرة كرار بالغرب الجزائري. وقد جفف في بداية هذا القرن بقصد جمع مياهه ونقلها للاستعمال في مدينة الدار البيضاء(3).

ووفقا لذلك فقد جمع الباحث م. أنتوان (M. Antoine) بعض أدوات الصناعة الأشولية وعظام الحيوانات الثديية درسها فيما بعد الأستاذ س. أرامبورغ (C. Arambourg).فتوصل إلى أنها تحتوي على عظام فيلة أطلسية. وتتمثل الأدوات الحجرية التي عثر عليها في شظايا خشنة وفؤوس بيفاسية غير مشذبة جيدا. وحسب الباحث أنتوان المشار إليه آنفا. فإن تلك الصناعة تظهر عليها اللمسات الموستيرية السفلى ذات التقاليد الأشولية(4) أنظر الشكل 1 (ج) ص. 21].

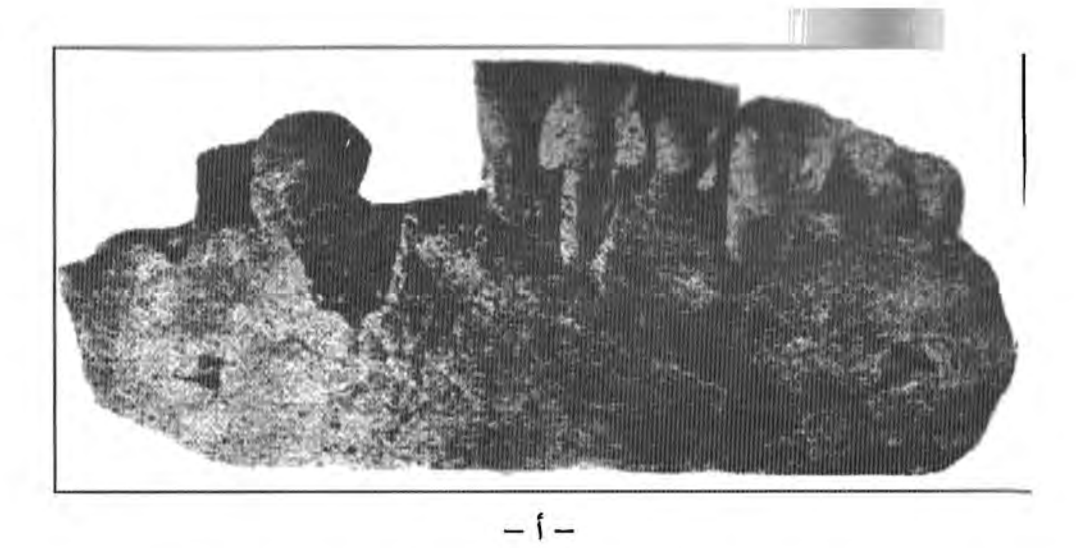
---

(1) - R. Vaufrey, préhistoire de l'Afrique, Paris 1953, P.31.

(2) L. Balout, préhistoire de l'Afrique du nord, Arts et métiers graphiques, Paris 1955, P 186

(3) -G. Camps, Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara, . doin, Paris 1974, P. 22

(4) M. Antoine, un cône de résurgence du paléolithique moyen à Titmellil, près de Casablanca, bulletin de la société de préhistoire du Maroc, 1938 , PP. 3-6.



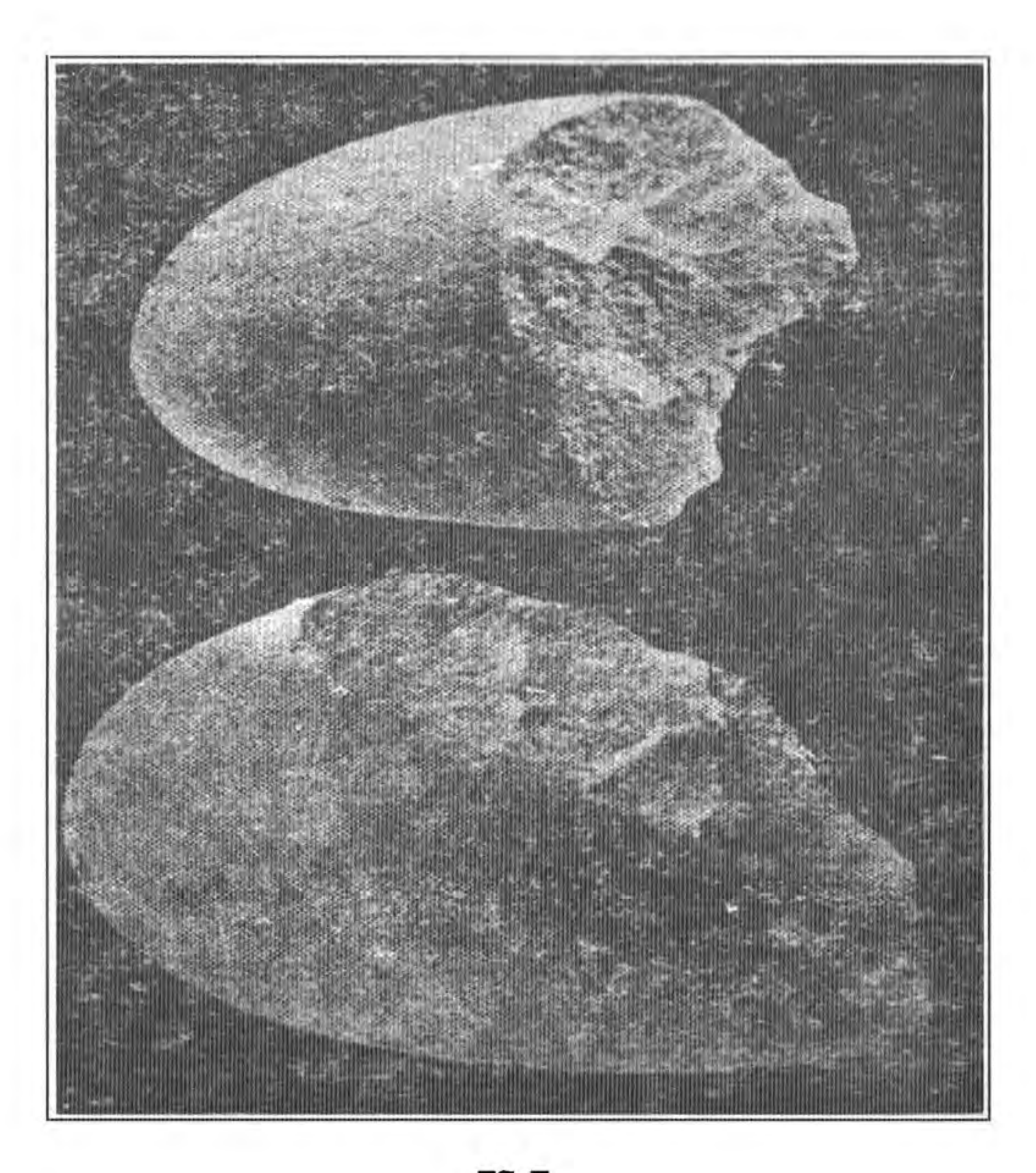
- أ -

عظم لفك سفلي لإنسان الرباط– العصر الحجري القديم الأسفل

- ب -

محجر سيدي عبد الرحمان يظهر الصناعة الكلاكتوابفيلية

الشكل رقم 01 (أ – ب)



– ج–

صناعة حجرية عثر عليها في مواقع دوار الدوم بالمغرب الأقص

الشكل رقم 01 (جـــ)

- عين فريطيسة:

أما بالنسبة لعين فريطيسة الواقعة في حوض نهر الملوية على الحدود الجزائرية المغربية. فقد جمع من أرضية موقعها الرملي الباحث الأثري سيكارد (Dr Sicard) بعض الأدوات التي درسها فيما بعد (1952) كل من م. أنتوان وأ. روحلمان (A.Ruhlmann) فتبين لهما بأن صناعتها القزمية ذات التقاليد لفالوازية (Levaloisien) وهي تمثل نموذجا لتقنية الصناعة المغربية، وهناك تقارب بينها وبين صناعة تغنيفين والماء الأبيض بالجزائر. وقد حملها كل من فورير (R. Forrer) وروحلمان على أنها صناعة أشوليه متطورة جدا وهذا من خلال دراستهما لبعض أدوات هذا الموقع متوفرة في متحف الرباط ولا تزال تنتظر الدراسة[1]. [أنظر الشكل 2 (أ،ب،ج) ص.23].

2 المواقع الحضارية الجزائرية :

تعتبر مواقع الحضارة الجزائرية العائدة إلى فترة ما قبل التاريخ، لاسيما ما يخص منها العصر الحجري القديم الأسفل من أهم وأغنى المواقع التي عمر فيها الإنسان لمدة طويلة من الزمن، يظهر ذلك من خلال بقاياه الأثرية(المادية، والأنثروبولوجية) والحيوانية، وقد أعطت الكثير من المواقع واللقى الأثرية التي تدل على النشاط البشري الذي كان متوافرا في المنطقة وكذا بقايا الفونة، الحيوانية التي كان يعيش على بقاياها.

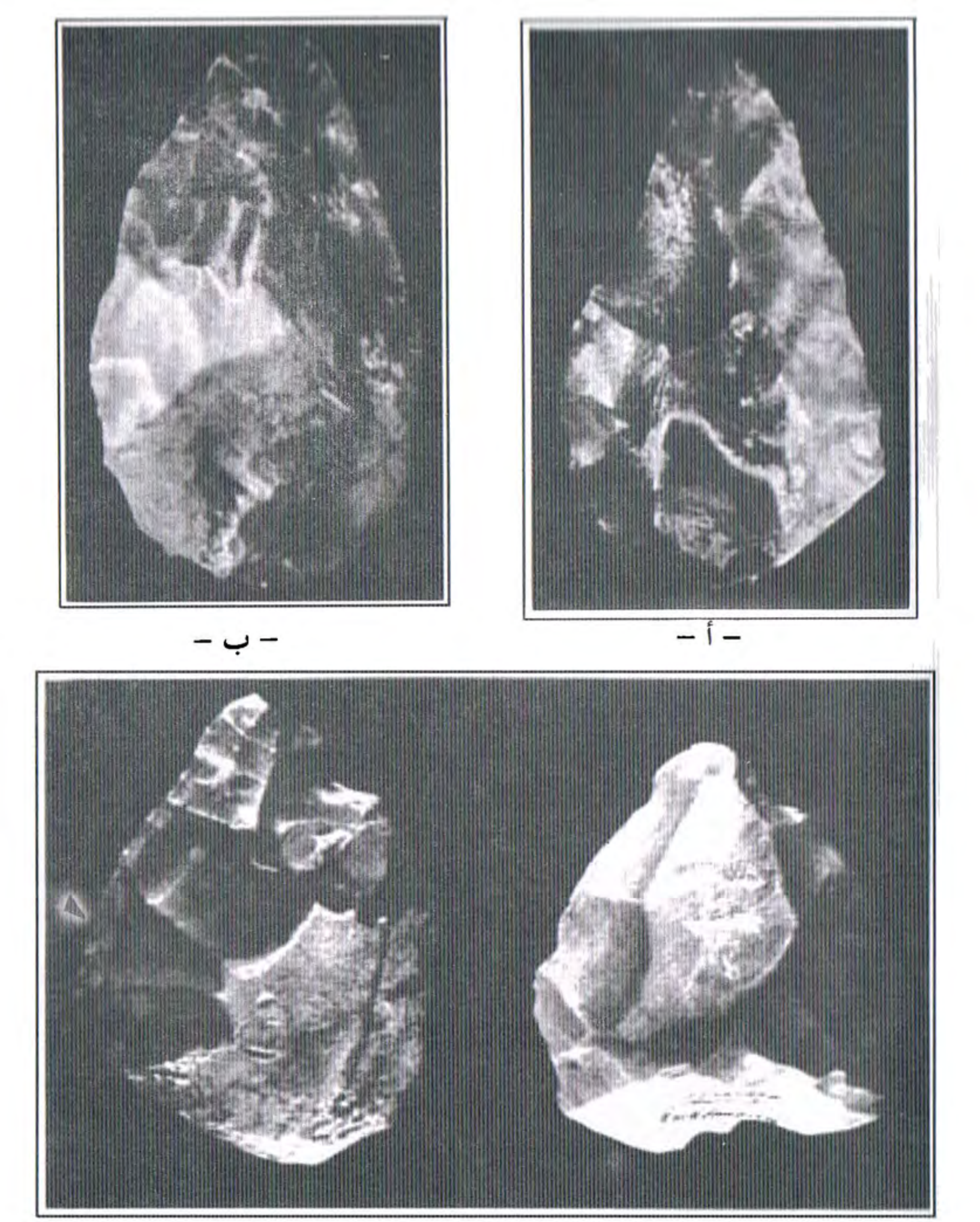
يضاف إلى ذلك بقايا الكهوف التي اتخذ منها مسكنا له وكذا أطراف الأنهار والعيون والآبار التي استقر على ضفافها وذلك ما يجعلنا نعتقد بأن الإنسان الجزائري القديم رغم بدائيته كان فاعلا في المنطقة.

إن بقايا الفكيين السفليين اللذين عثر عليهما في موقع باليكاو بتغنيفين، لأكبر شاهدا على وجود الإنسان واستقراره في المنطقة وكذا معاصرته للإنسان الأطلسي الموريطاني الذي لا يقل قدما على إنساني بيكين وجاوة.

وعليه يمكننا إعطاء نماذج لتلك المواقع على الشكل الآتي:

---

(1) - R. Forrer et A. Ruhlmann (Maroc oriental), Bull. De la société de préhist. Du Maroc, 1939, PP. 4-11



فؤوس بيفاسية أشولية متطورة عثر عليها بموقع عين فريطيسة بالمغرب الأقصى وهي الآن محفوظة بمتحف باردو – الجزائر العاصمة

الشكل رقم02 (جـ)

أ- مواقع الغرب الجزائري:

- بـــحـــيرة كـــرار:

إنّ من بين المواقع الأثرية ذات البصمات الحضارية التي يمكن الإشارة إليها في الغرب الجزائري والعائدة إلى فترة العصر الباليوليتي الأسفل تشير إلى بحيرة كرار الواقعة إلى الشمال من تلمسان على الطريق الرابط بين هذه الأخيرة وبني صاف. [أنظر الشكل 3 (أ) ص. 25].

وفي الحقيقة، فإن هذا الموقع كان عبارة عن مستنقع ولا تصدق عليه كلمة بحيرة، وقد زالت معالمه فيما بعد عندما جرى استصلاح المناطق السهلية القريبة منه لصالح المعمرين الفرنسيين وذلك فيما بعد سنة 1894(1)

وأثناء تجفيف المستنقع المشار إليه عثر في أرضيته على عدة أدوات حجرية ومستحثات حيوانية تمثل عظام فيلة أطلسية ودببة من النوع المنقرض وكذا أفـــراس النهر البيضاء، وهي شبيهة بتلك التي عثر عليها في عين الحنش. [أنظر الشكل 3 (ب) ص. 26].

أما الأدوات الحـــجرية فتمثلت في الفؤوس اليدوية المصنوعة من الكوارتز والصوان المتبلر، بالإضافة إلى بعض الشظايا الحادة أو نصف مستديرة. وكل ذلك حسب ما ورد في نتائج حفريات م. بولي (M. Boulé) التي قدمها سنة 1899(2)

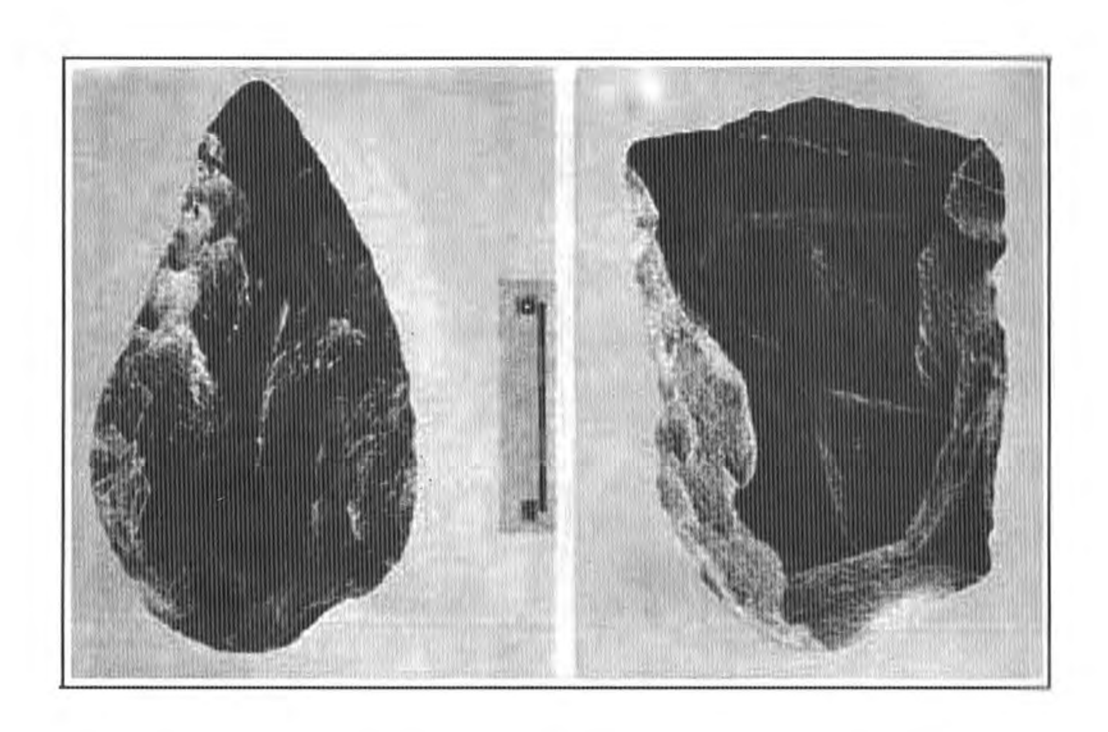
- أوزيـــــدان:

اكتشف موقع أوزيدان في سنة 1874 وذلك في الشمال الشرقي من تلمسان على الضفة اليمنى لوادي الصفصاف. وقد درس أدوات هذا الموقع الأثري الفرنسي ب. بالاري (P. Pallary) في العشرية الأخيرة من القرن التاسع عشر فوصفها بأنها عائدة إلى الفترة الأشولية العليا وأنها أسبق من المغارة الاصطناعية التي وجدت في نفس الموقع الأثري. وهي في غالبيتها مصنوعة من الكوارتز. [أنظر الشكل04 (أ، ب) ص27، 28].

---

(1) - P. Pallary, Caractères généraux des industries de la pierre. dans l'Algérie occidentale, l'homme préhistorique, Paris 1900 , PP. 33- 43

(2) M. Boule, Bull. de la S. G.F., 3ème série, T. XXVII, 1899, P. 539.



- أ -

فؤوس بيفاسية عثر عليها في بحيرة كيرار وهي محفوظة في متحف الإنسان بباريس

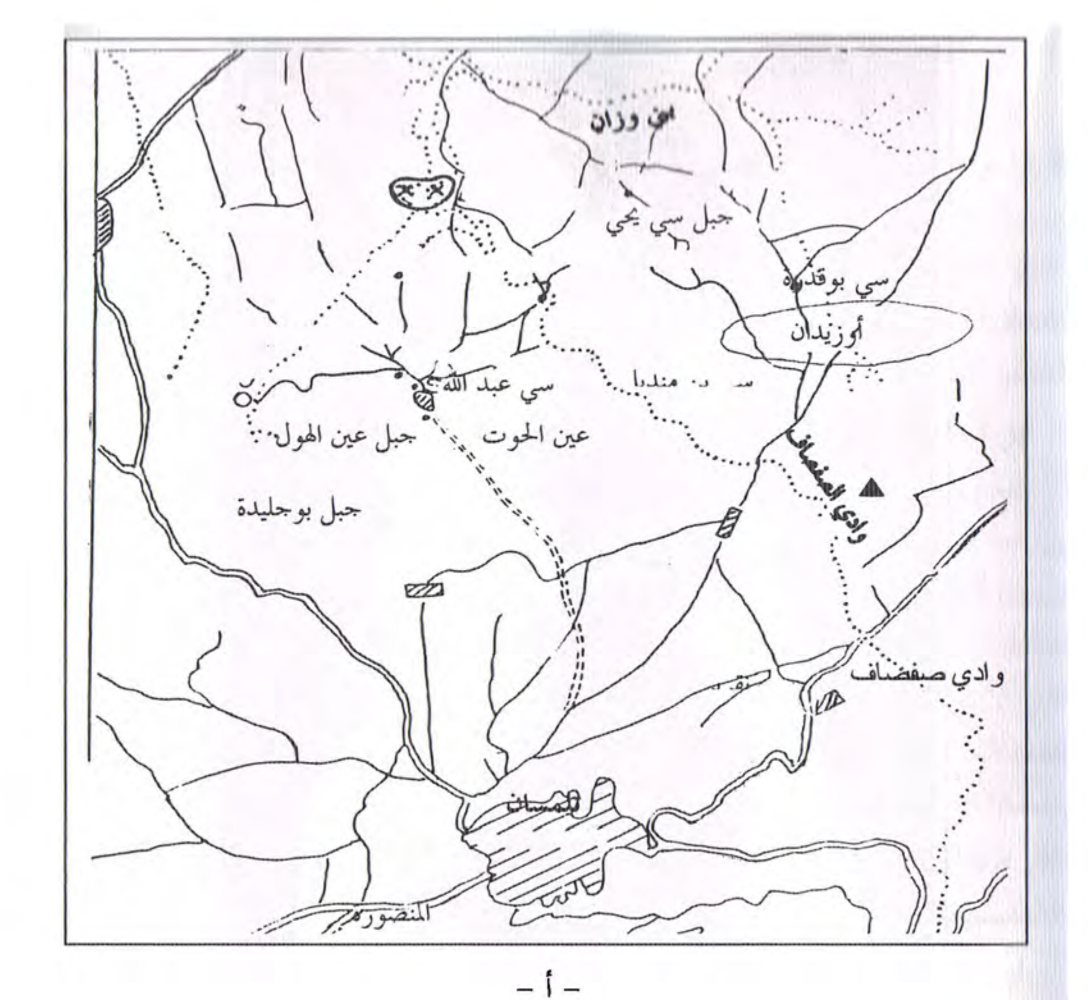
الشكل رقم 03 (أ)



- ب -

عظام حيوانات شبيهة بالاستوائية عثر عليها في عين الحنش بالقرب من العلمة

الشكل رقم 03 (ب)



- أ -

خريطة تمثل موقع أوزيدان الواقع إلى الشمال الغربي من تلمسان – الجزائر

الشكل 04 (أ)



- ب -

فأس بيفاسية عثر عليها في موقع أوزيدان

الشكل رقم 04 (ب)

- اين كـــــرمـــان :

يوجد هذا الموقع في الناحية الجنوبية تقريبا من سهل الشلف ويعرف المكان حاليا تقريبا بوادي ارهيو الذي يمتد على حافة طريق سكة الحديد التي تربط بين الجزائر العاصمة ووهران. وقد كانت الأدوات التي عثر عليها ب. بلاري في هذا الموقع تتكون من بليطات أشولية وفؤوس بيفاسية صغيرة الحجم مصنوعة من الكوارتز الرمادي. وحسب م. دالوني (M. Dalloni)، فإن تلك الأدوات وجدت مترسبة في الطبقات السفلى من منخفض الشلف ليس بعيدا عن جديوية واين كرمان[1].

- أبو قيـــــــــــر:

تقع رملية أبو قير على بعد 13 كلم جنوب شرقي مستغانم وذلك على الطريق الرابط بين هذا الأخير وغليزان. وقد قام بالتنقيب في هذا الموقع ب.بلاري منذ سنة 1886، ثم درست أدواته من قبل الباحث دوميرق (Doumergue). ويبدو من تلك الدراسة، فإن المنطقة كانت غنية بالحيوانات الضخمة الشبيهة بالحيوانات الاستوائية في وقتنا الحالي مثل الفيل الأطلسي والدب الأبيض وأفراس النهر. وقد توفرت بقايا الحيوانات المشار إليها في الطبقة السفلى المغطاة بالرمال الصفراء في أرضية الموقع[2].وقد احتفظ ببقايا أدوات أبوقير ومستحاثاته الحيوانية في متحف أحمد زبانة بوهران وذلك منذ سنة 1933 وهي هناك تنتظر مزيدا من الدراسة لضبط مكانتها الكرونولوجية ضمن الصناعة الباليوليتية.

- تغنـــيـــفين:

يلوح موقع تغنيف على بعد مئات الأمتار غربي قرية باليكاو (Palikao) وذلك بالقرب من مدينة معسكر. وقد شرع في التنقيب فيه منذ سنة 1872 حيث جمعت منه حوالي 130 كلغ من عظام الحيوانات الضخمة وذلك أثناء مؤتمر ما قبل التاريخ لسنة 1888[3].[أنظر الشكل 05 (أ) ص. 30].

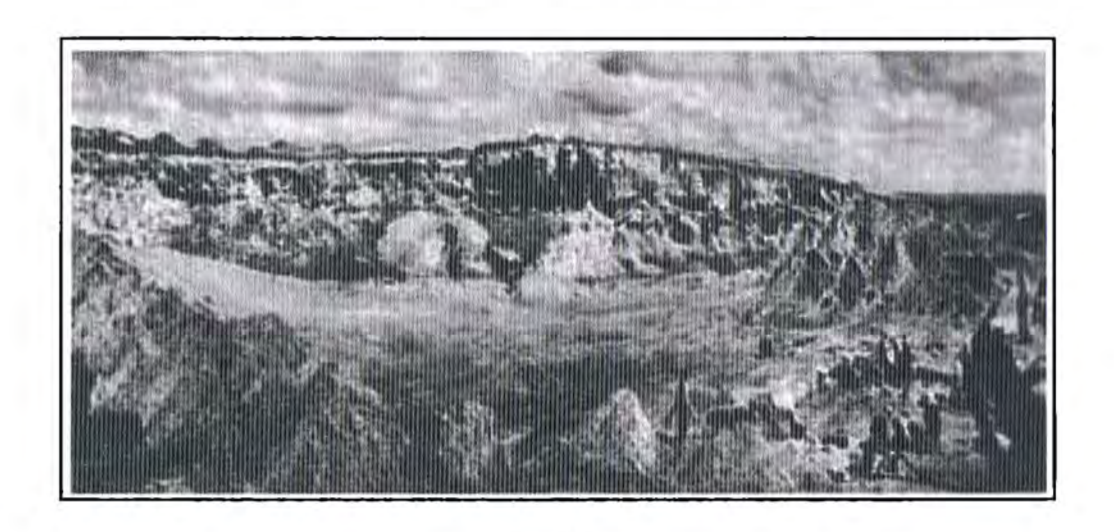
---

(1) - M. Dalloni, notes sur la classification du plèocène supérieur et du quaternaire de l'Algérie, Bull de la société de géographie et d'archéol. D'Oran, T. LXI, 1940, PP. 30 – 36.

(2) - P. Pallary, la sablière d'Aboukir, Bull. de la société de géo. Et d'archéol. D'Oran, 1887, P. 47.

(3) - P. Pallary , état du préhistorique dans le département d'Oran, XX ème congrès de l' A. F. A.S., Marseille 1891, T. II, P. 609.

كذلك استؤنف التنقيب في موقع باليكاو وذلك سنة 1954 وقد أشرف عليه في هذه المرة كل من الأستاذين ر. هوفستيتر (R.Hoffsteter) وارامبورغ واستعانا في عملهما ذلك بأجهزة علمية دقيقة بحيث استطاعا أن يجففا المستنقع ولو مرحليا مما أتاح لهما التعمق في أرضيته المتكونة من الرمال والأتربة الصلصالية[1]. [أنظر الشكل05 (ب) ص. 31].

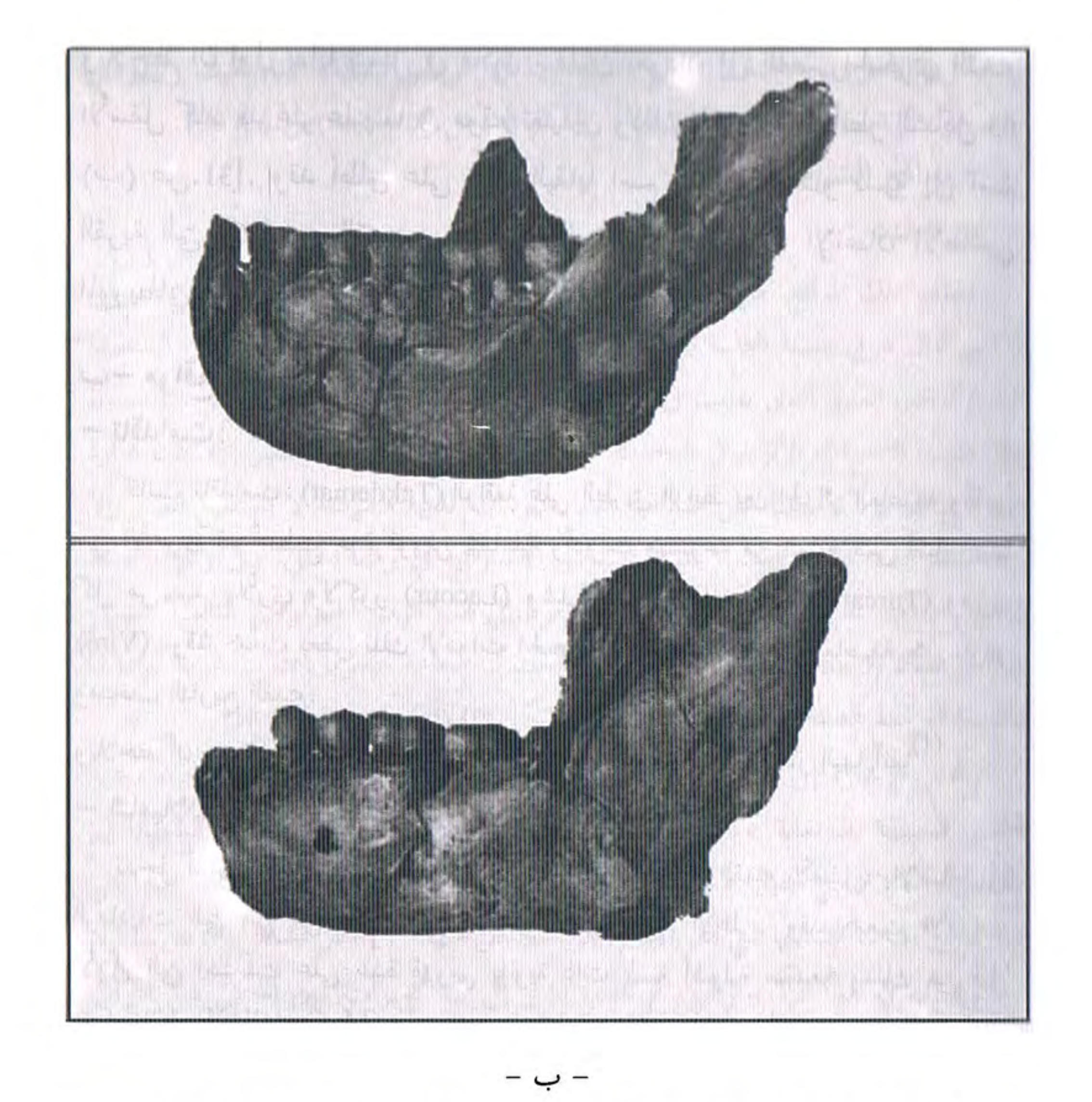


- أ -

منظر عام لرملية تغنيفين بمعسكر – الجزائر

الشكل رقم 05 (أ)

(1) - C. Arambourg et R. Hoftstetter, Découvertes en Afrique du paléolithique inférieur Aead.. Sci., T. 239, 1954,(4) PP. 72 – 74.



- ب -

فكان سفليان لإنسان باليكاو عثر عليهما في منطقة تغنيفين وهما ينتميان إلى الإنسان الأطلسي -الموريطاني

الشكل رقم 05 (ب)

ويلاحظ أن أول بقايا تتمثل في فكين سفليين يعودان إلى العصر الحجري القديم الأسفل كان قد عثر عليهما في موقع تغنيفين وذلك سنة 1954 [أنظر الشكل 05 (ب) ص.31]. وقد أطلق على تلك البقايا اسم إنسان باليكاو نسبة إلى اسم القرية التي اكتشف بالقرب منها. ويحمل الفكان سيمات الإنسان الأطلسي الموريطاني.

ب- مواقع الوسط الجزائري:

- تاقدامت:

كانت تاقدامت (Takdemat) الواقعة على الطريق الرابط بين الجزائر العاصمة ودلس هي الأخرى قد أعطت عدة فؤوس بيفاسية وأدوات مصنوعة من السيلاكس أشار إليها كل من ب. بلاري ولاكور (Lacour) وشاركهما في ذلك توركا (Turcat) وفيري (Viré). وقد جمعت بعض تلك الأدوات الحجرية في متاحف الجزائر العاصمة مثل باردو ومتحف التاريخ القديم.

ويلاحظ أن سيمات الصناعة الأشولية كانت بادية على الأدوات المشار إليها آنفا(1)

- شامبلان:

تدخل أدوات هذا الموقع ضمن حضارات العصر الحجري القديم الأسفل، بالإضافة إلى الرماديات التي هي من علامات العصر الحجري القديم الأعلى. وقد جمعت الأدوات الأولى التي اشتملت على عدة فؤوس يدوية ذات لمسة أشولية متقدمة وذلك من قبل م.كستلاني (M. Castellani) ول. جلود(L. Gelaud) وكذا ل.بالو(L. Balout). وكان ذلك في سنة 1952 بالقرب من ضريح سيدي شاكر الذي يوجد في ضواحي شامبلان (Champlain) بالمدية، ثم تليها بعد ذلك عمليات جمع الأدوات الأخرى، لاسيما تلك التي تم التقاطها على ضفاف وادي بسباس والتي أعطيت أكبر كمية جمعت في متحف باردو بالجزائر العاصمة.[أنظر الشكل 06 ص.34]، وقد درسها فيما بعد الأستاذ بالو فتوصل إلى أن هناك ما يشبه تلك الأدوات في كل من جنوب إفريقيا والمواقع المغربية

---

(1) - Viré, l'âge de pierre dans la région de Bordj Menail et sur la côte Rec. Des Notes et mém. De la société archéol. de Constantine, T. LXIII, 1935- 1936, P. 12.

والجزائرية الأخرى، خاصة تلك التي عثر عليها في كل من تبلبالة – تاشنغيت وتيهودين بالصحراء ثم تغنيفين بالغرب الجزائري[1]. [أنظر الشكل 07 (أ، ب)ص.35، 36].

ج – مواقع الشرق الجزائري:

– عين الحنش:

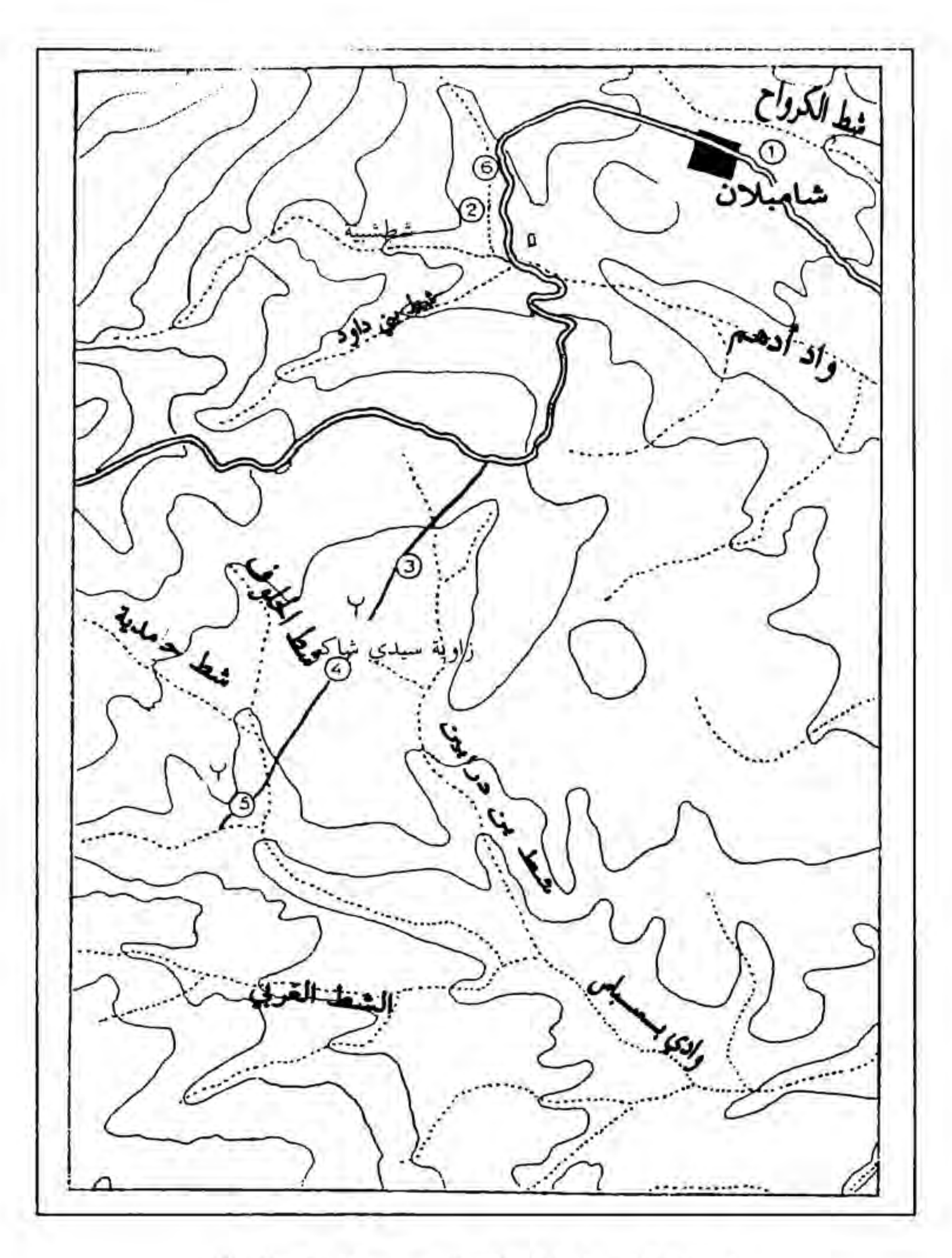
يتصدر تلك المواقع حتى الآن موقع عين الحنش الأثري الذي يوجد على بعد حـــوالي 9كلم شمال غربي مدينة العلمة بولاية سطيف بالشرق الجزائري. وهو واقع على الـــضفة اليمنى لوادي العليق الذي يصب في حوض منخفض تحيط به المرتفعات من كل جانـــب. وقد أثبتت التنقيبات الأثرية في البحوث الجيولوجيـــة بأن المنخفض المشار إليه كان عبارة عن قاع للبحيرة ترسبت على ضفافها بقايا حيوانات ثديية منقرضة لا تستطيع العيش إلا في المناطق ذات المناخ الرطب شبيهة بالمناطق الاستوائية في وقتنا الحالي. وفي رأي الأستاذ أرامبورغ، فإن بقايا الحيوانات المشار إليها تعود إلى نهاية الزمن الجيولوجي الثالث. فتـــرة فيلا فرنشيان (Villa- Franchien) التي أنتجت لنا صناعة حجرية اعتبرت غريبة نوعا ما بالنسبة للوسط الصناعي حينذاك[2].[أنظر الشكل 08 (أ، ب) ص. 37، 38].

وتجدر الإشارة إلى أن تلك الصناعة الحجرية البدائية كانت قد عرفت بكويرات عين الحنش الشبيهة بالبرتقالة. وقد قام الأستاذ م. بيربي سنة 1949 بدراسة صناعة الشظايا في الحضارة الكلاكتو –ابفيلية والموستيرية في أوربا. وفي رأيه فإن الكويرات المشار إليها هي عبارة عن نفيات الشظايا التي ألقي بها بغرض التخلص منها[3]. [أنظر الشكل 09 ص. 39].

ويخالفه في هذا الرأي أرامبورغ الذي يشير إلى أن كويرات عين الحنش هي أدوات حجرية وليست نفاية صناعية، غاية ما هنالك أنها استعملت لأغراض نجهلها[4].

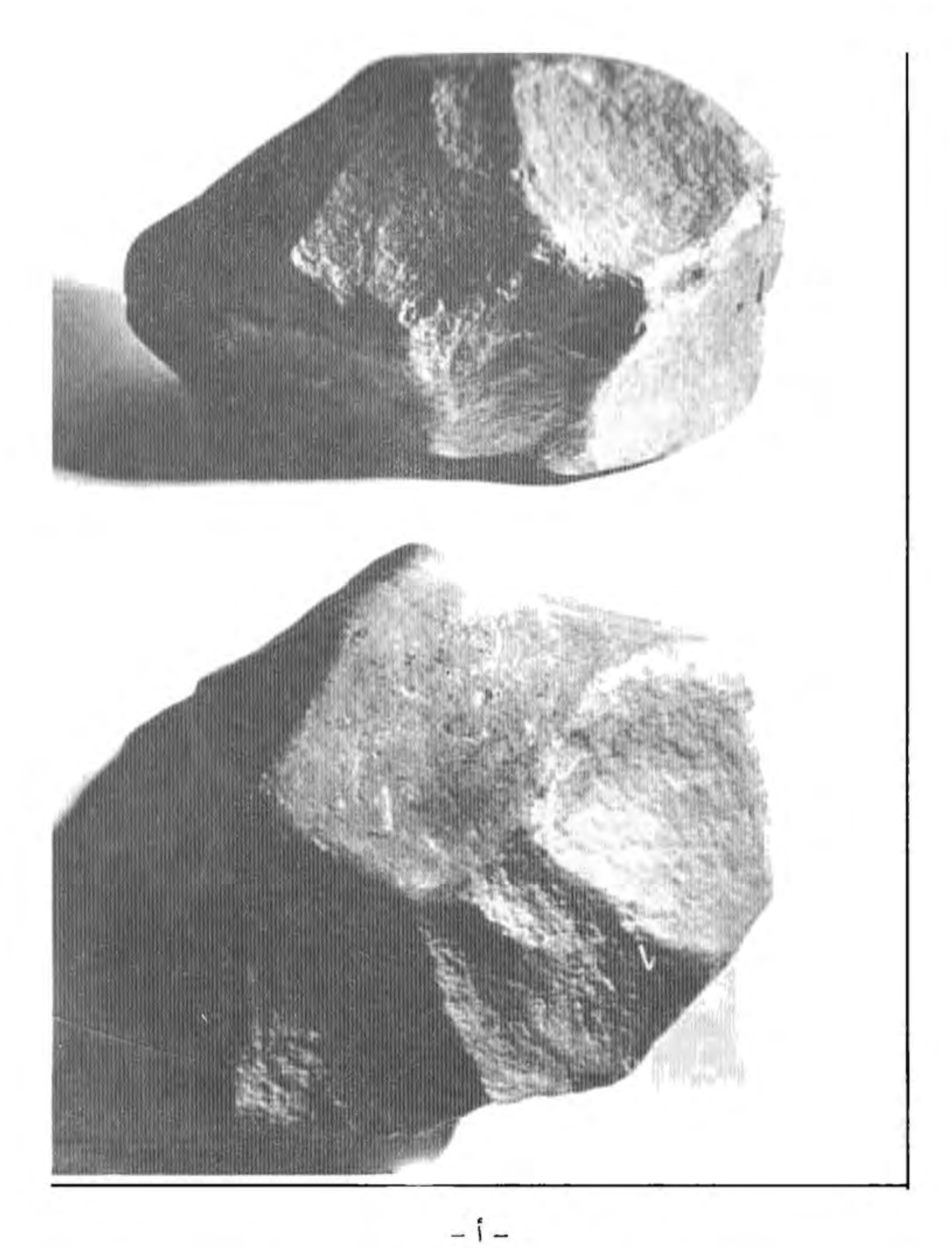
إلى جانب الكويرات الحجرية التي عثر عليها في موقع عين الحنش الأثري وجدت أيضا عدة فؤوس من ذات الوجهين وأخرى صغيرة.

- L. Balout, préhistoire de l'Afrique du nord, Arts et métiers graphiques, Paris 1966, P. 234. (1)
- C. Arambourg, sur la présence dans la villafranchien d'Algérie de vestiges éventuels, (2) d'industrie humaine, (1) Acad. scien., T. 229, Paris 1949, P. 66.
- L. Balout, L'intelligence des hommes préhistoriques, Libyca, T. I, 1953, PP. 268- 270. (3)
C. Arambourg, présentation d'objets énigmatiques provenant du villafranchien (4) d'Algérie, S.G.F, 1949 PP. 121- 123.



خريطة تمثل موقع شامبلان بالقرب من المدية —الجزائر

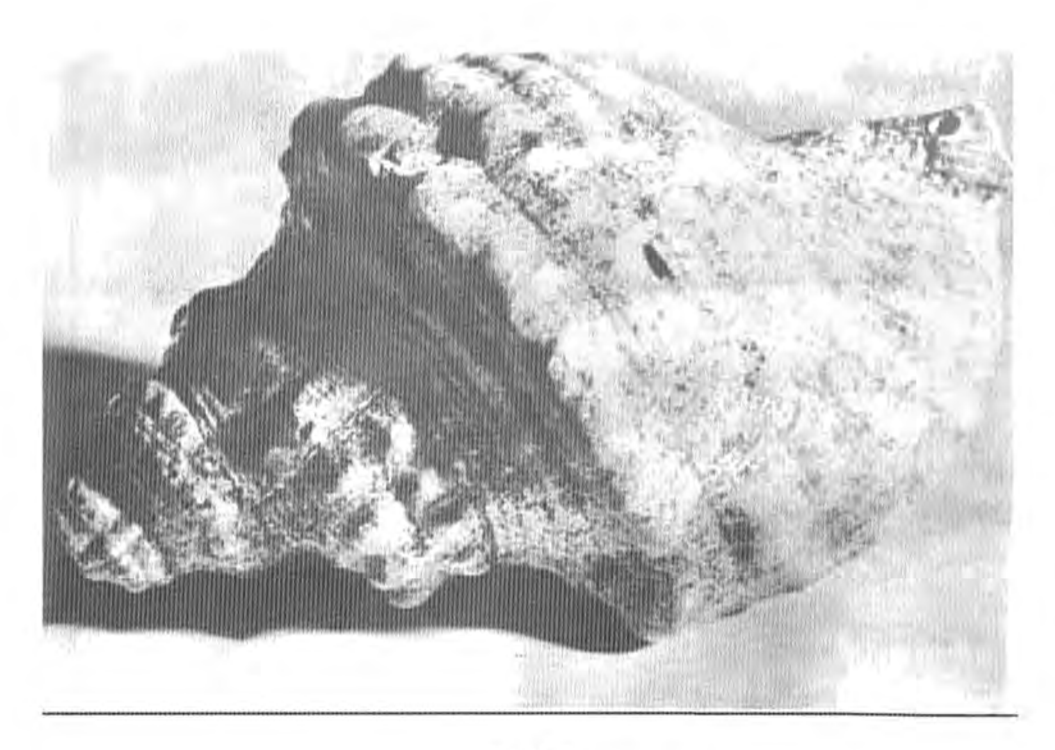
الشكل رقم 06



- أ -

صناعة النواة العائدة إلى العصر الحجري القديم الأسفل عثر عليها في موقع شامبلان — المدية

الشكل رقم 07 (أ)



- ب -

صدفة عثر عليها في موقع شامبلان بالمدية

الشكل رقم07 (ب)

ويلاحظ بأن وجود تلك الأدوات التي تحمل بصمات الإنسان ممتزجة مع بقايا الحيوانات الثديية مثل الفيل والزرافة ووحيد القرن يعد كسبا علميا في المنطقة المغاربية وهو دليل قاطع على أن موقع عين الحنش يعود إلى الزمن الرابع الجيولوجي – فترة البلايستوسين منه والتي تصادف العصر الباليوليتي القديم الأسفل في الكرونولوجي التاريخي.[1]

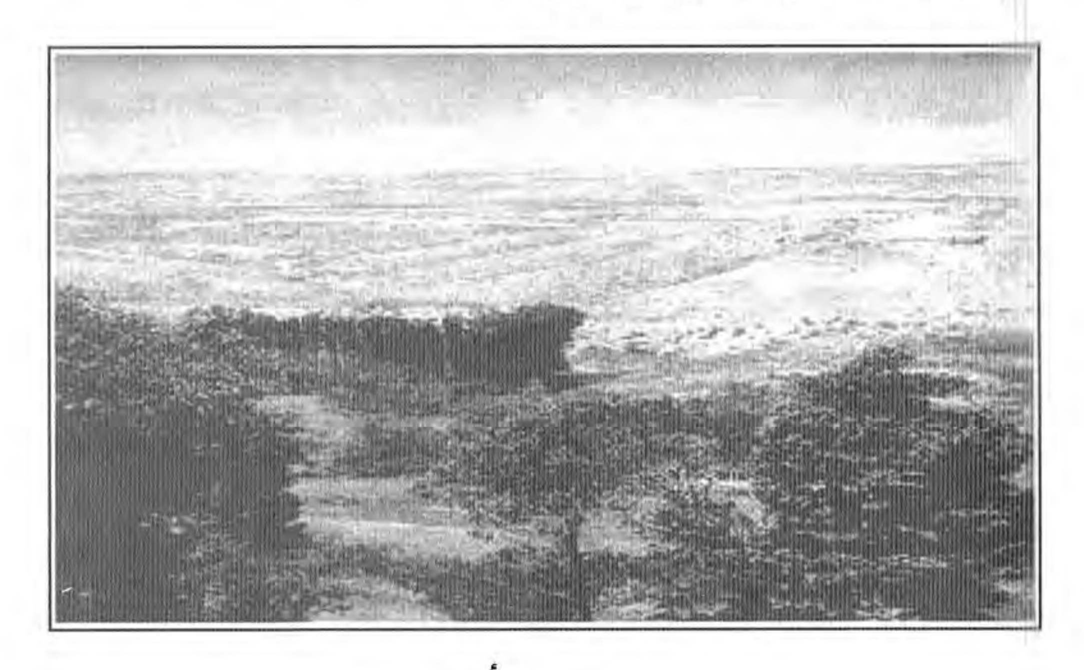
---

(1) - L. Balout, préhistoire de l'Afrique du nord, Arts et métiers graphiques, Paris 1955 P.116

وقد تساءل أرامبورغ أثناء أعماله التنقيبية في عين الحنش والتي امتدت من حوالي سنة 1931 حتى ما بعد سنة 1956 عن وظيفة كويرات عين الحنش والأغراض التي صنعت من أجلها؟

هل كانت عبارة عن سلاح قذف أو استعملت كآلة لتقليم فروع الأشجار وصناعة العصي؟ ثم ما هي المصانع التي أنجزت فيها تلك الحجارة المستديرة ؟ وكذا المقالع التي اقتلعت منها[1].

ومهما كانت الوظائف التي صنعت من أجلها تلك الكويرات ذات الأضلاع فالذي لاشك فيه أنها كانت سابقة لصناعة البيفاس التي وجدت في الطبقات الموالية لها من حيث العلو والتطابق الأرضي في بعض أجزاء الموقع.

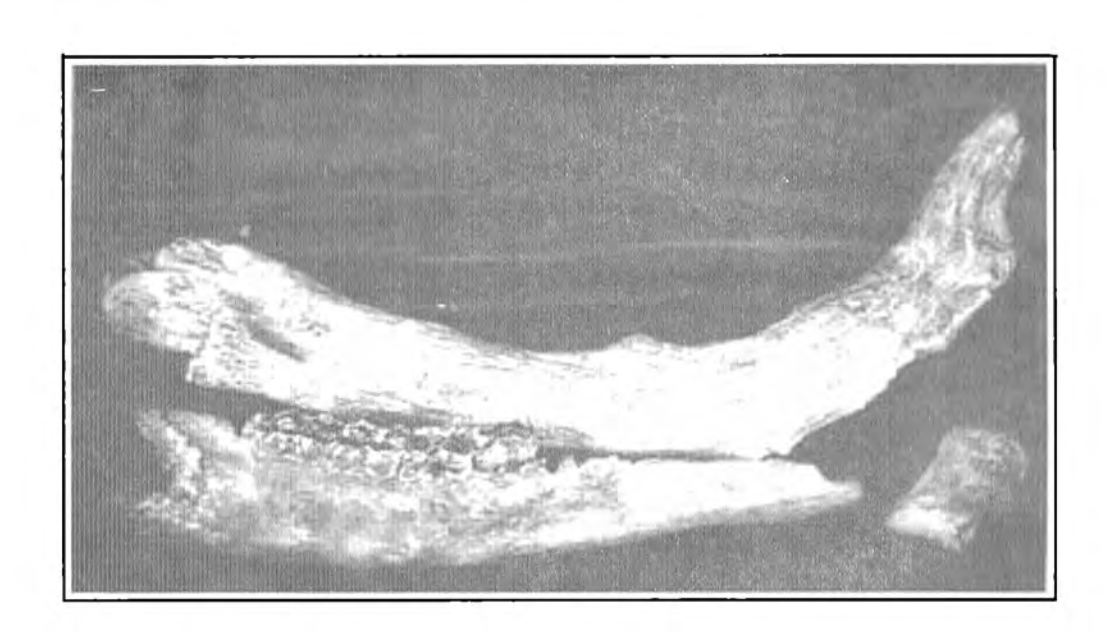


– أ –

موقع عين الحنش بالقرب من العلمة

الشكل رقم 08 (أ)

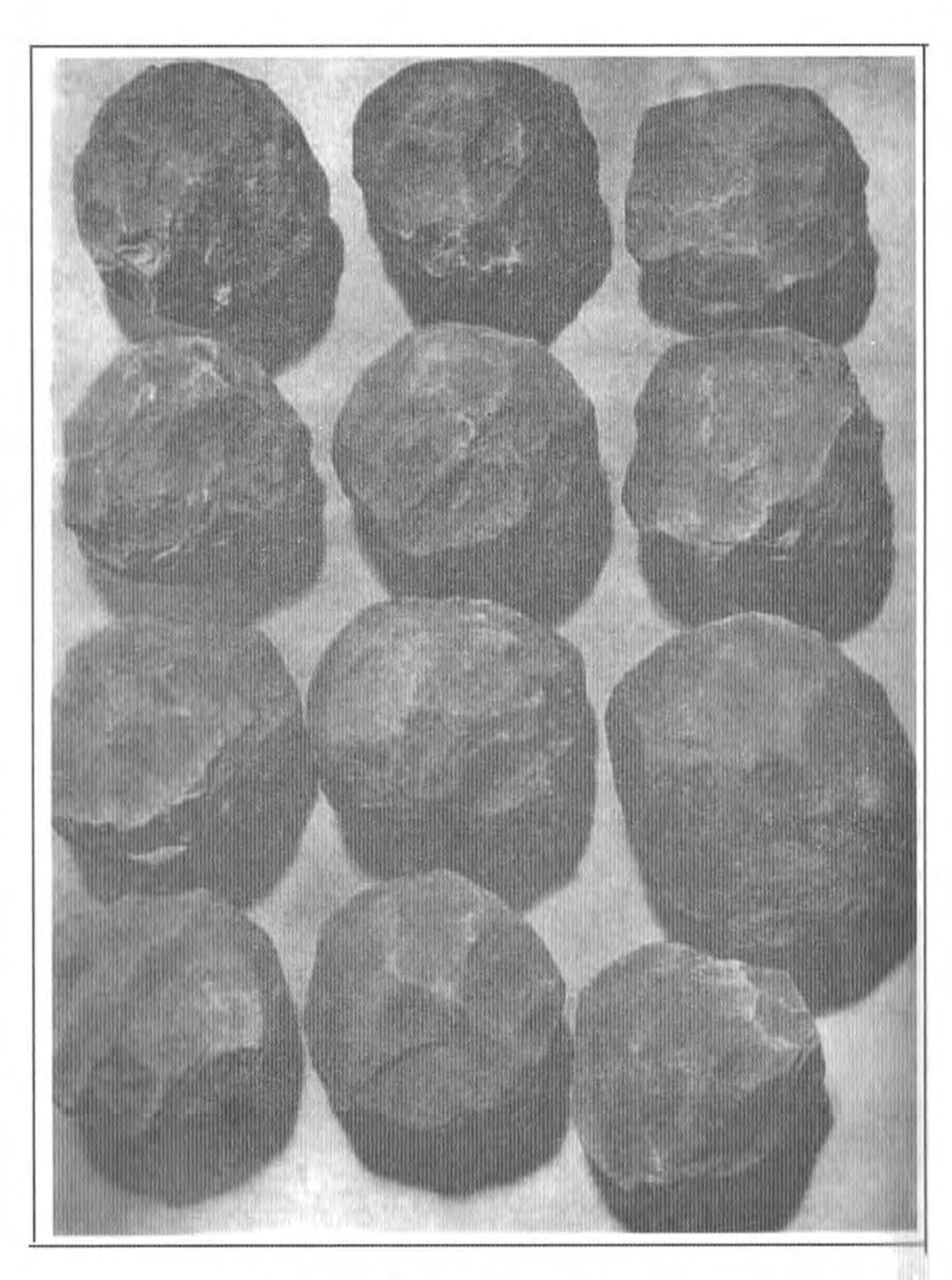
(1) L. Balout, préhistoire de l'Afrique du nord, Arts et métiers graphiques, Paris 1966, P. 234



- ب -

بقايا عظام حيوانات شبيهة بالإستوائية عثر عليها في موقع عين الحنش- العلمة

الشكل رقم 08 (ب)



كويرات عين الحنش المهذبة الشبيهة بالبرتقالة

الشكل رقم 09

أما من حيث المادة الأولية التي صنع منها النوعان فهي واحدة ولا تختلف حتى من حيث بعض الشوائب الغرينية التي بقيت عالقة بهما. وهذا مما يدعونا إلى التساؤل حول إمكانية معاصرتهما وانتمائهما إلى نفس مستوى الطبقة الأرضية في الحفرية.

إن جذب الانتباه الذي أثارته كويرات عين الحنش الحجرية وكل البقايا التي عثر عليها في موقعها جعل الباحثين الأثريين وكل المهتمين بها يتفحصون كل الأشياء الأثرية التي تمت بصلة لموقعها. وكل ذلك كان بهدف إيجاد قرائن ينفذون منها إلى حل اللغز الذي يؤرقهم والمتمثل في وظائف الكويرات الحجرية والفترة التاريخية التي ترجع إليها.

وتجدر الإشارة إلى أن الطبقات الرسوبية التي استقرت منذ مئات الآلاف من السنين على ضفاف البحيرة السطيفية والتي أبرزتها فيما بعد عوامل التعرية والتنقيب الأثري، كما أبرزت للعيان بأن الكويرات والفأس اليدوية ينتميان إلى نفس الطبقة الرسوبية وتشاركهما في ذلك بقايا عظام الحيوانات الضخمة التي تعرف حاليا بالاستوائية.

وهذا بدوره يدعو الباحث إلى الاعتقاد بالتناسق والتلاحم الزمني بين الأشياء المشار إليها ابتداء من فترة فيلا-فرنشيان السفلى في عين بوشريط وحتى فترتها العليا في عين الحنش[1].

إن هدفنا من هذا العرض لا يزيد على أنه يحاول الكشف من خلال امتزاج عظام الحيوانات الضخمة والكويرات الحجرية على وجود الإنسان الذي قام بتلك الصناعة مهما كانت نوعيته.

غير أنه لا يفهم هنا بأن كويرات عين الحنش كانت أول حجارة صنعتها يد الإنسان خلال فترة العصر الباليوليتي الأسفل، بل المراد هو تبيان بأنها من بين أقدم ما هذبه الإنسان واستعمله في حاجياته اليومية. وبالتالي فهي تثبت لنا بداية تكوين ذكاء الإنسان ليجعله يتفوق به عن بقية الحيوانات الأخرى.

وعلى العموم يمكن أن نقول بأن موقع عين الحنش في الجزائر لا يقل أهمية من حيث قيمته الأثرية عن مواقع كل من هيدلبيرج (Heidelberg) بألمانيا وابقليل و اولدافي (Owldaver) بإفريقيا الشرقية مع فارق توفر الجماجم الإنسانية في هذين الأخيرين[2].

---

(1) - G. Camps, Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara..., P. 14.

(2) - Jean Selinek, Encyclopédie illustrée de l'homme préhistorique, gründ, Paris 1975, PP. 54 – 55

- السهول العليا القسنطينية :

هناك عدة أعمال سبر وتنقيب تدخل في أعمال المسح الأثري الذي أنجز خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين كانت قد شملت كامل التراب الجزائري، لاسيما السهول العليا القسنطينية حيث أزاح الستار الباحث ف. توماس (Ph. Thomas) سنة 1884 عن بقايا حيوانية متحجرة وجدت بهضبة المنصورة تبين بــعد دراستها بأنها تعود إلى فترة فيلا- فرنشيان السفلى أو إلى نهاية البلايستوسين الأعلى(1) وقد أكد بقايا مستحاثات تلك الحيوانات فيما بعد الباحث جلود وذلك في سنة 1912 خلال الأعمال التي قام بها في المنطقة. ونفس الشيء بالنسبة لحجارة عين الباي الجيرية بعد دراسة بقايا الترسبات النهرية المتحجرة التي وجدت حولها(2). [أنظر الشكل 10 ص.42].

وقد امتد الاستقرار فيها حتى الفترة الرومانية يظهر ذلك من خلال اللقى الأثرية التي عثر عليها هناك.

- الماء الأبيض:

يوجد هذا الموقع على بعد 45 كلم جنوب تبسة. وقد اكتشف من قبل الباحث الفرنسي أ. ديبروج (A. Debruge) الذي أكد بأن الموقع يمتد لبضع كيلوميترات ويحتوي على بقايا الصناعتين الشيلية والأشولية.

أما أ. لاتابي (A. Latapie) فقد عثر على قطعة عظم فك سفلي لحيوان ضخم لا يستبعد أن يكون قد عاش في نفس الفترة التي استعملت فيها الأدوات الحجرية المشار إليها آنفا. يذهب لاتابي إلى أن بقايا الأشولية في الماء الأبيض تعتبر أرقى ما وصلت إليه تلك الحضارة من حيث التقنية الصناعية. ويمكن أن تكون قاعدة أساسية انطلقت منها صناعة الحضارة الموستيرية التي ستعوضها في المرحلة الموالية خلال العصر الحجري القديم الأوسط. [أنظر الشكل11 (أ) ص.43].

وكان ريجاس (M. Reygasse) هو الأخر قد التقط عدة أدوات حجرية أشولية من نفس الموقع(3).

---

(1) - C. Arambourg, les vertèbres fossiles des formations continentales des plateaux Constantinois, Bull. de la soc. d'his. Nat., de l'Afrique du nord, T. XXXVIII, 1947, PP.49 – 53.

(2) - M. Sahnouni, L'industrie sur gelée du gisement villafranchien supérieur de Aïn Hanech, O. P.U, Alger, 1978, P. 8.

(3) - M. Reygasse, découvertes préhistoriques dans le centre de Tebessa, Rec. Des notes et mém. De la soc Archéol, de Constantine, T. XLV, 1911, P. 351.

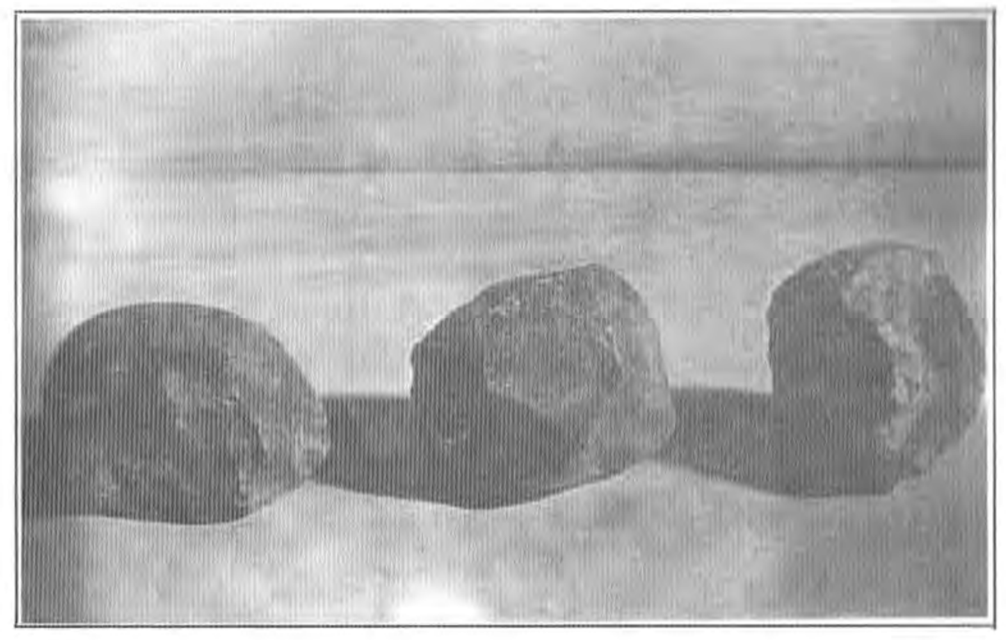
– العين الصافية :

يتوفر موقع العين الصافية بالقرب من الحدود الجزائرية التونسية وذلك على الضفة اليمنى لوادي ملاق، حيث جمع الباحث م. لاتابي عدة أدوات حجرية تتصدرها فؤوس بيفاسية مصنوعة من الحجارة. وقد أكد س. جزيل بعد دراسته لتلك الأدوات بأن هويتها الأشولية لا ينازع فيها[1]. [أنظر الشكل11 (ب) ص.44].

3- المواقع الصحراوية:

– شتمة:

لعل أول موقع يصادفنا في شمال الصحراء تعود بقاياه الأثرية إلى العصر الحجري القديم الأسفل هو موقع شتمة الواقع على بعد ثمانية كيلوميترات شرقي بسكرة، وقد اكتشفت بقايا هذا الموقع عندما بدأ التنقيب على المياه بقصد سقاية الواحة. وكانت النتيجة هي اكتشاف مستحثات حيوانية وحجارة مصقولة لا يعرف الغرض الذي من أجله. كما جمعت بعض حجارة السيلاكس من المرتفع الشمالي الذي يشرف على

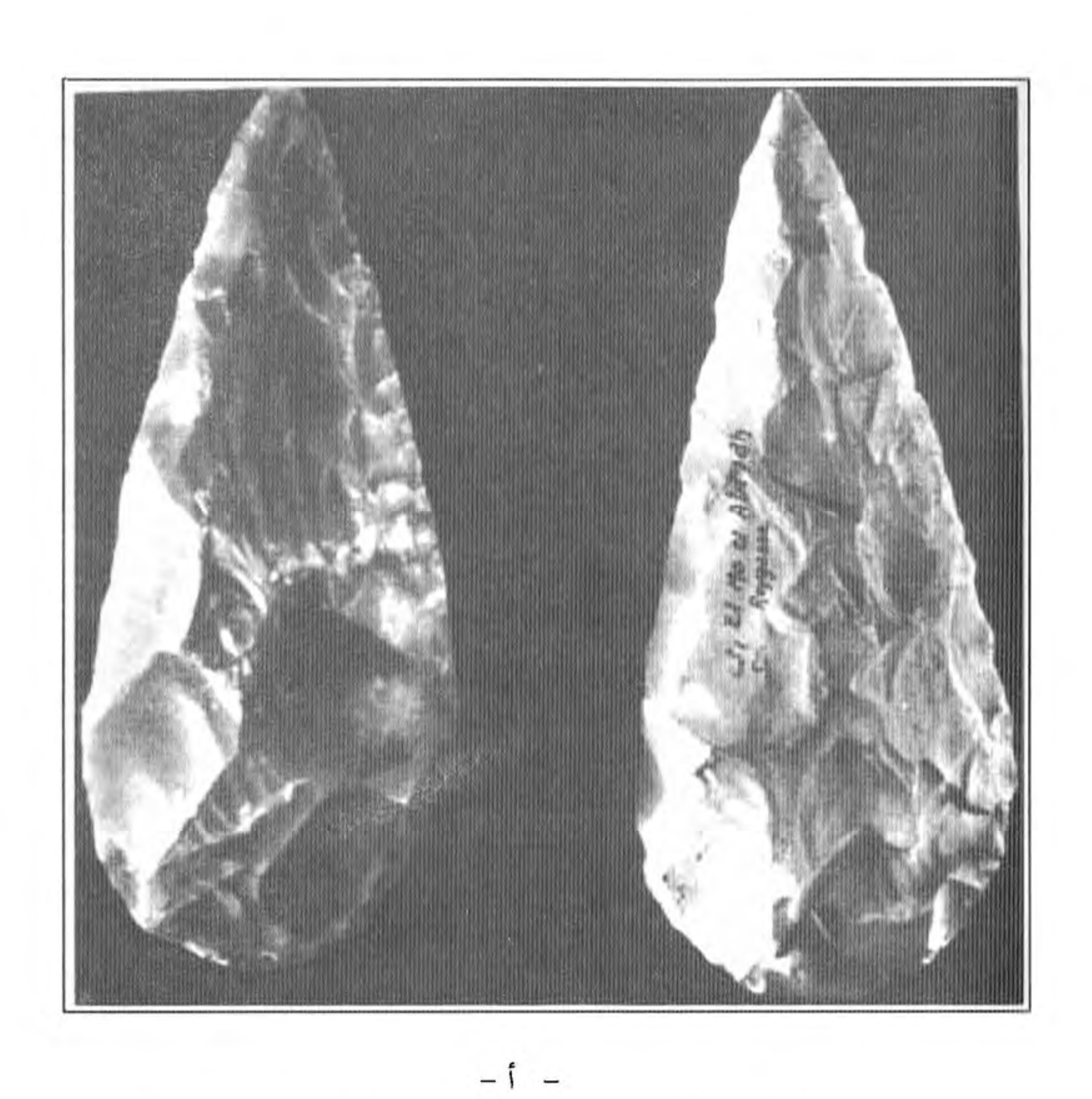


نواة لصناعة حجرية عثر عليها في الشرق الجزائري

الشكل رقم 10

---

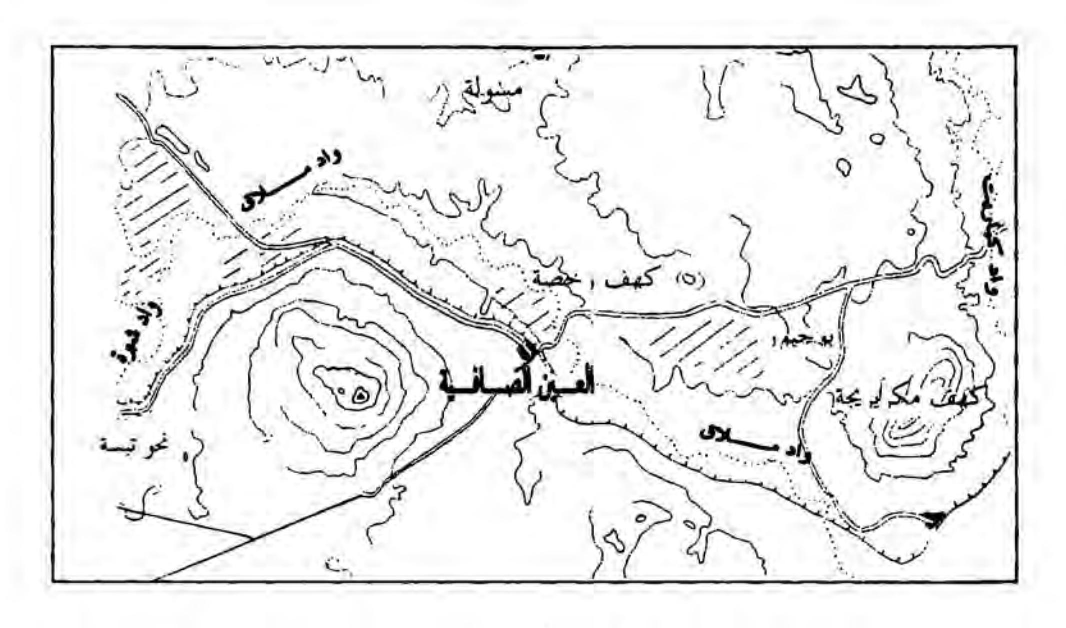
(1) - ST. Gsell, Atlas archéologique de l'Algérie, Feuille 28, Aïn Baïda N° 226.



- أ -

فؤوس بيفاسية أشولية متأخرة عثر عليها بموقع الماء الأبيض بالقرب من تبسة

الشكل رقم 11 (أ)



– ب –

خريطة تمثل موقع العين الصافية بالقرب من تبسة بالشرق الجزائري

الشكل رقم 11 (ب)

الواحة وحول هذا الموضوع كتب م. دالوني (M. Dalloni) بأن بقايا محطة شتمة الأشولية بالقرب من بسكرة جديرة بالدراسة مثل بقية المواقع الأخرى المتمثلة في كل من بحيرة كرار وباليكاو وأبوقير الواقعة إلى الشرق من مستغانم(1).

يضاف إلى موقع شتمة بقايا آثار موقع الهامل بالقرب من بوسعادة والعائدة إلى نفس الفترة الزمنية تقريبا.

– تيهودين:

أعطى موقع تيهودين (Tihodaine) بقلب الصحراء الجزائرية بجبال الهوجار بعض الصناعة اليشرية العائدة إلى العصر الحجري القديم الأسفل ويستدل من بدائيتها بأنها تشبه تلك التي عثر عليها في كل من عين الحنش وبحيرة كرار، لاسيما من حيث الصناعة

(1) - M. Dalloni, notes sur la classification du pliocène supérieur et du quaternaire de l'Afrique, Bull. De la soc.de géo. Et d'archéol. D'Oran, T. LXVI, 1940, P. 40.

الأشولية[1]. بالقرب من تلك الصناعة التي عثر الباحثون الأثريون على عظام حيوانات متحجرة لفيلة ضخمة وأفراس نهر ووحيد القرن وزرافات، بالإضافة إلى عظام تماسيح وطيور، مما جعل الباحثين يستنتجون بأن مناخ الصحراء كان مغايرا لما هو عليه الآن. وأن المناخ الرطب كان هو السائد، وحسب الباحث دوفيريي (H. Duverier) الذي نقب في موقع تيهودين، فإنه بناء على الصناعة الحجرية المشار إليها وكذا عظام الحيوانات التي عاصرتها، فإن الإنسان الذي ترك بصماته في موقع تيهودين يحتمل أن يكون أقرب إلى إنسان شرقي إفريقية منه إلى الإنسان الأطلسي في الشمال[2]

ومهما كانت الاحتمالات، فإن موقع تيهودين بالهوجار يعد نموذجيا في المنطقة الصحراوية. [أنظر الشكل12 (أ)ص. 46].

– مواقع صحراوية أخرى:

هناك مواقع صحراوية أخرى منتشرة في المنطقة، غير أنها تعد أقل أهمية من موقع تيهودين الآنفة الذكر. نذكر منها على سبيل المثال عرق أدهير الذي التقطت منه أدوات شيلية وكذا وادي ميزاب الذي جمعت منه هو الآخر فؤوس بيفاسية ذات لمسات شيلية[3].

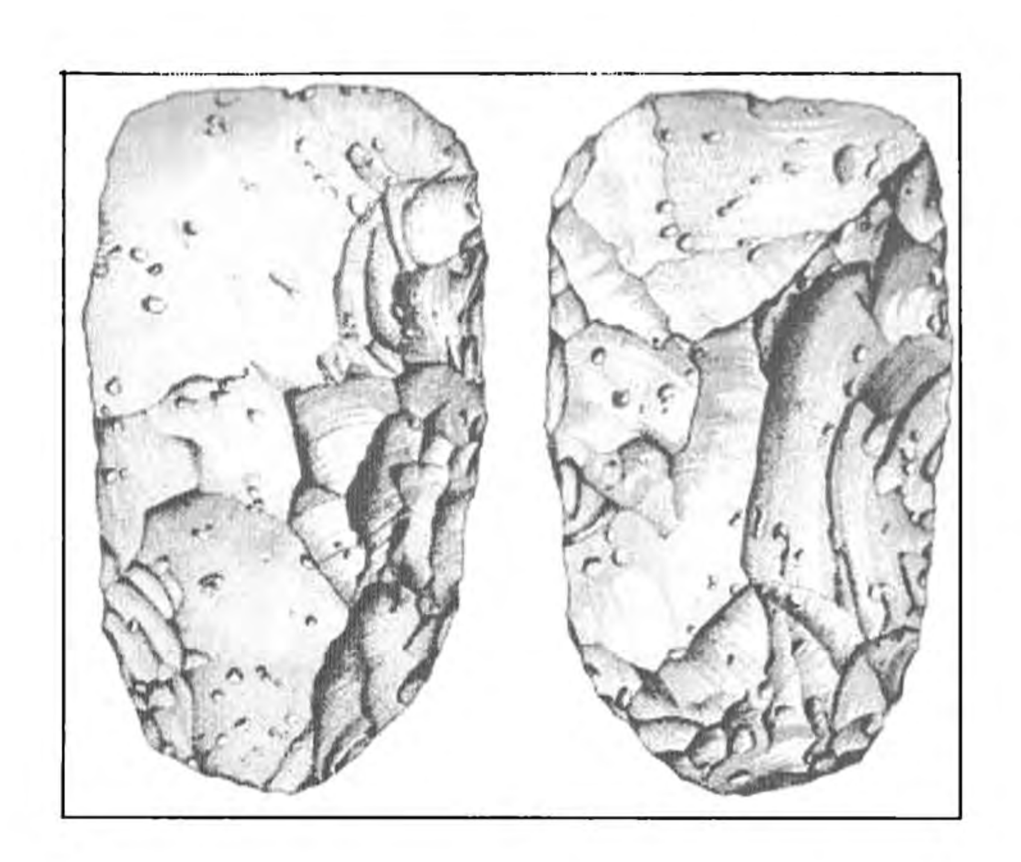
هذا بالإضافة إلى بقايا الحصى المشذبة والأدوات ذات اللمسات الأشولية التي بقيت منتشرة في مناطق صحراوية متعددة. [أنظر الشكل 12 (ب) ص. 47].

---

(1) - L. Balout et C. Arambourg, L'ancien lac de tihodaïne de préhistoire, Alger, 1952, PP. 281 – 289.

(2) - Ch. Devillers, les dépôts quaternaires de l'erg-tihodaine, Sahara central, congrès préhistorique de F. 13° séssion, Paris 1950, PP. 276 – 278.

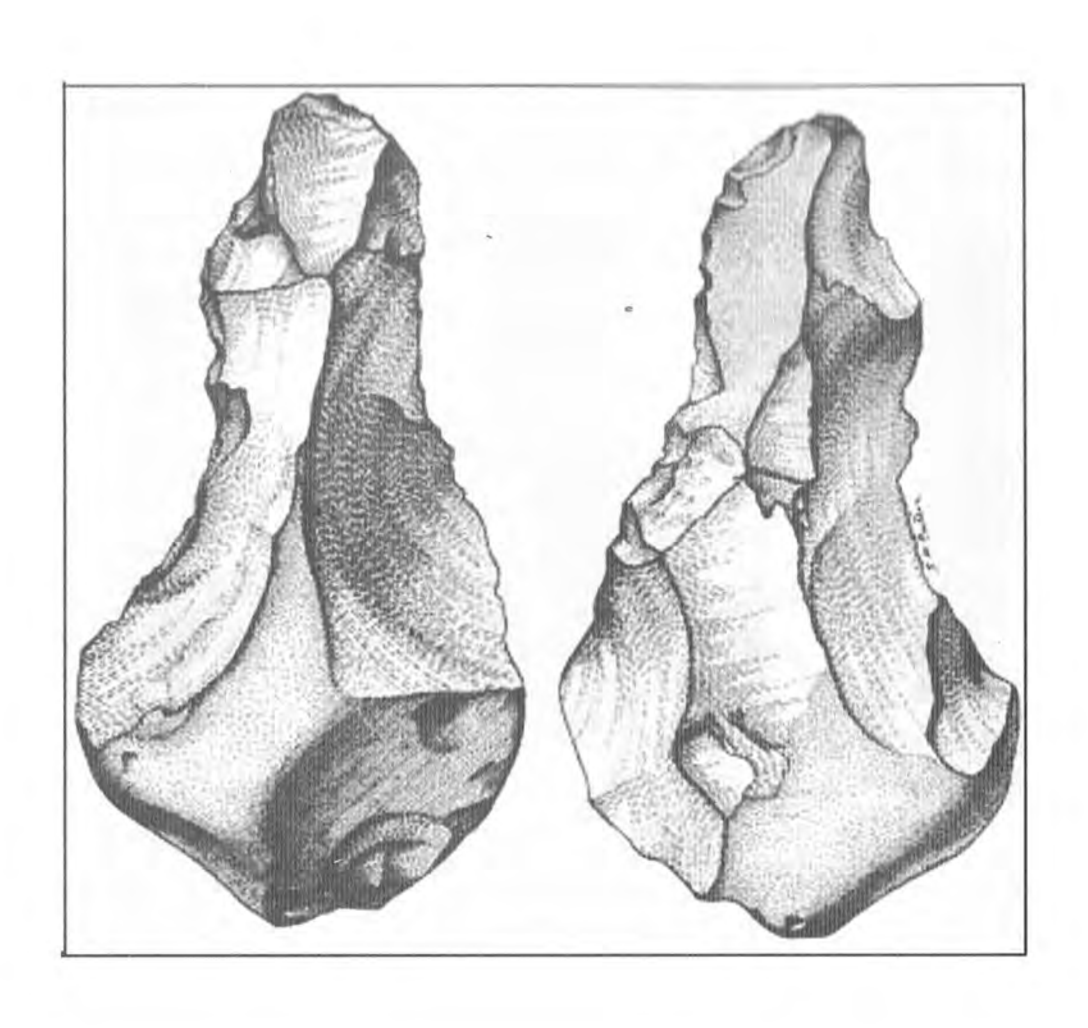
(3) - H. L'Hote, Les secrets du Sahara , le monde colonial illustré, 1934, PP. 186 – 189.



– أ –

فأس حجرية عثر عليها بموقع تيهودين بالهوجار

الشكل رقم 12 (أ)



- ب -

حصى مشذبة ذات لمسات أبفيلية عثر عليها في منطقة الساورة

الشكل رقم 12 (ب)

4 - المواقع الحضارية التونسية:

- قفصة:

اكتشفت الفؤوس والبليطات الأولى في موقع قفصة وذلك أثناء شق الطريق الرابط بين هذه الأخيرة وتوزر[1]. [أنظر الشكل13 (أ) ص.49].

وبالنسبة للباحث قومزي(Gomzi)، فإن الصناعة الحجرية القفصية العائدة إلى العصر الحجري القديم الأسفل ذات ملامح أشولية متطورة تعود إلى الفترة المتوسطة بين مناخ الريس والفورم. وقد شارك بالو في جمع بعض حجارة السيلاكس من أطراف موقع قفصة.

كذلك فإن جوبير (M.Gobert) وكستاني (G. Castany) كانا قد شاركا في دراسة الأشياء التي عثر عليها في قفصة، وذهبا إلى القول بأن هناك استمرارية وتطور للأدوات وذلك حتى فترة الحضارة الموستيرية التي تواصلت في نفس الموقع[2]. [أنظر الشكل13 (ب) ص. 50].

- سيدي الزين:

يوجد موقع سيدي الزين على بضع كيلومترات غربي الكاف بتونس وذلك على الطريق الرابط بين هذا الأخير وساقية سيدي يوسف. ووفقا لما أشار إليه م. جوبير، فإن الموقع يتكون من ثلاث سويات من الصناعة الباليوليتية مترسبة فوق بعضها. وقد احتوت أدواتها على فؤوس بيفاسية وبليطات ذات ملامح أشولية[3].

وتجدر الإشارة إلى أن اكتشاف هذا الموقع يعود إلى سنة 1942 وذلك على يد الجيولوجي ايتيان دومون (E. Dumon) عن طريق الصدفة. وقد قام بالتنقيب في موقع سيدي الزين كل من جوبير بمساعدة بالو، ثم جمعت بعد ذلك محتويات الأدوات التي عثر عليها في كل من متحف باردو بتونس ومتحف الإنسان بباريس ولا تخلو أدوات سيدي الزين الحجرية من المماثلة والتشابه مع كل أدوات تبلبالة – تاشنغيت وتيهودين بالهوجار ثم تغنيف وكذا مواقع المغرب الأقصى الواقعة على المحيط الأطلسي[4].[أنظر الشكل 14 (أ،ب) ص. 51، 52].

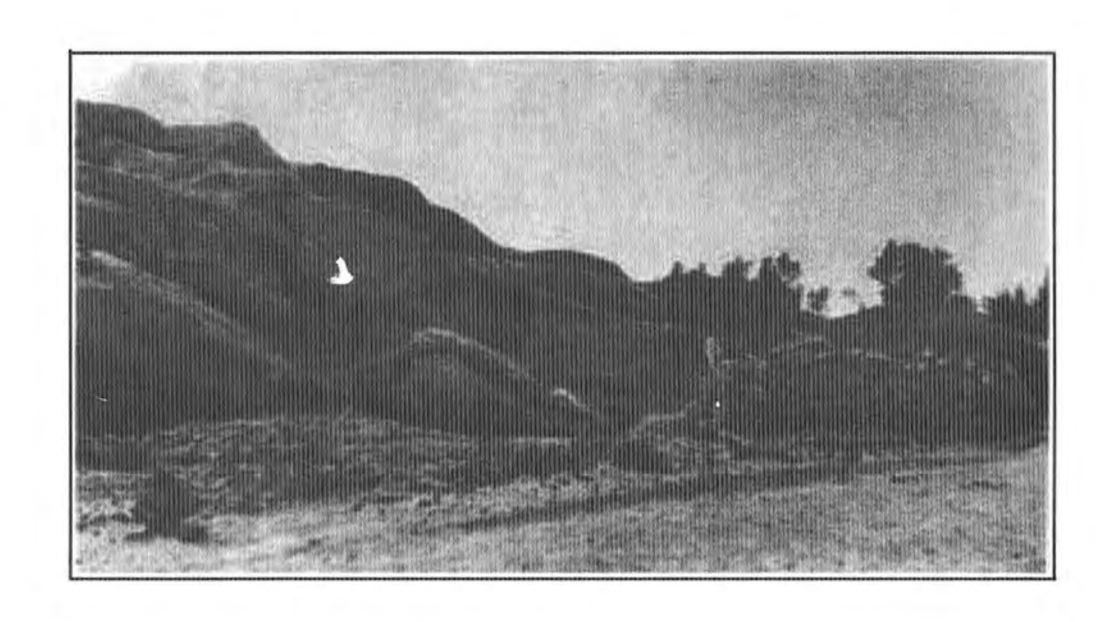
---

(1) - R. Couillault, Notes sur les stations préhistoriques de Gafsa, (Tunisie), l'Anthr. , T. V, 1894, P. 530.

(2) - E. G. Gobert, morphologie quaternaire, et paléthnologie et leurs relations, Libyca., T. II , 1954, PP. 9 – 37.

(3) - E. G. gobert, le gisement paléolithique de Sidi Zine, Carthage , T. I, 1950, PP. 1 – 51.

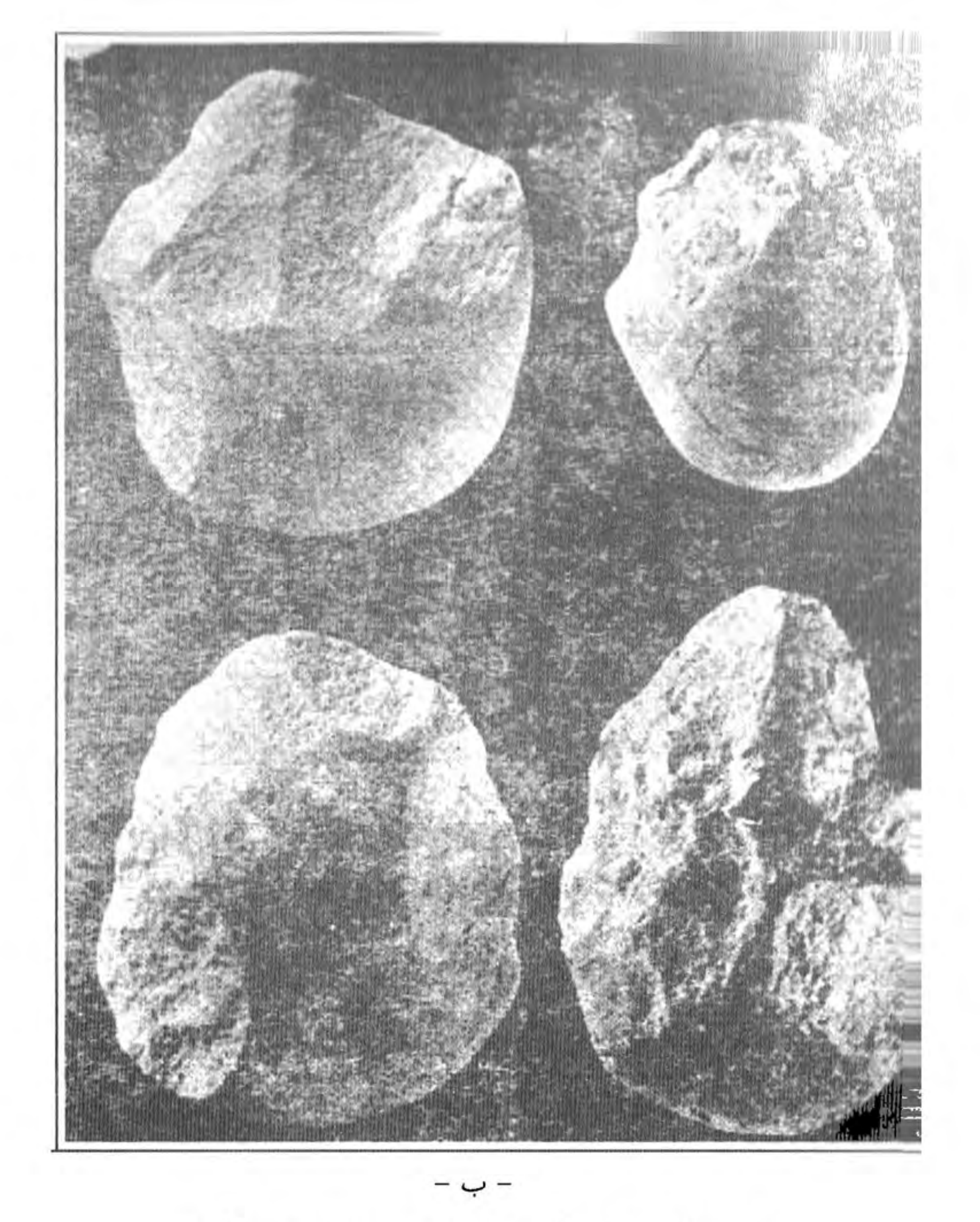
(4) - L. Balout, op. cit., P. 243.



– أ –

موقع قفصة بتونس

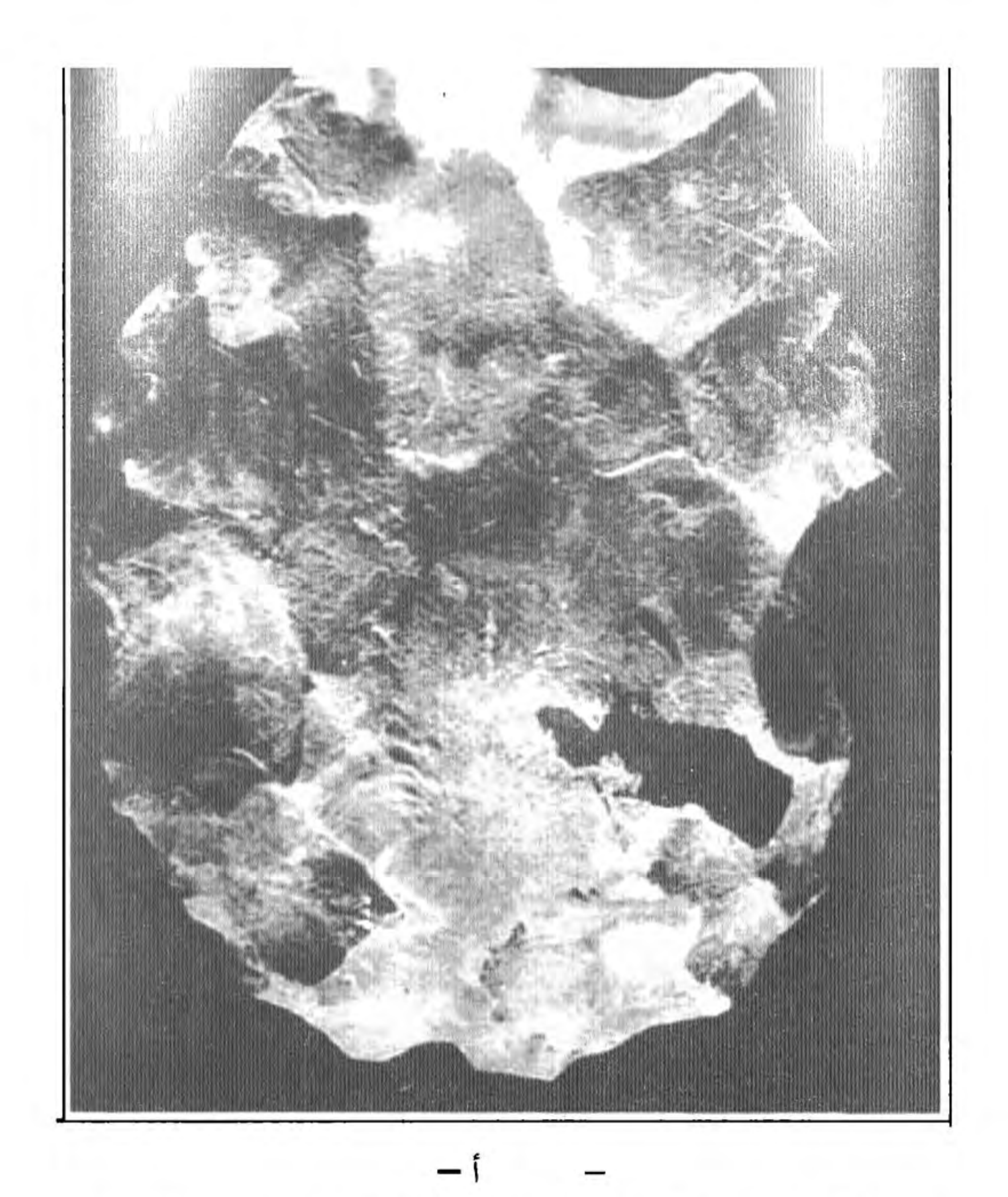
الشكل رقم 13 (أ)



– ب –

فؤوس عائدة للفترة الأشولية المتطورة عثر عليها بسوق الأربعاء

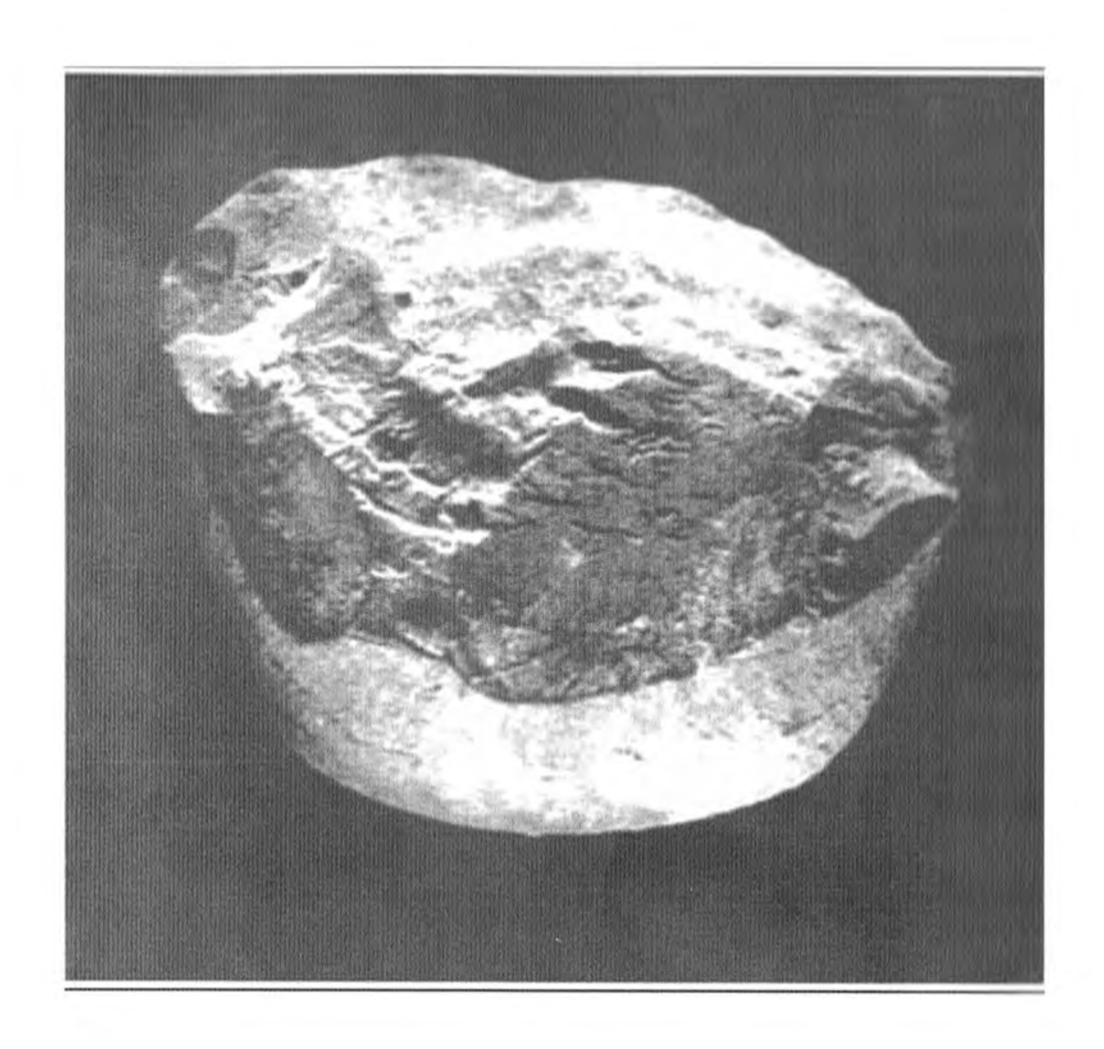
الشكل رقم 13 (ب)



– أ –

صناعة حجرية تعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل عثر عليها بموقع سيدي الزين – تونس

الشكل رقم 14 (أ)



- ب -

صناعة حجرية تعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل تظهر عليها لمسات التشذيب،
عثر عليها بموقع سيدي الزين – تونس

الشكل رقم 14 (ب)

4- المواقع الحضارية الليبية:

- بئر دوفان:

رغم أن المعلومات قليلة جدا إن لم تكن نادرة على المواقع الليبية، فإن المخلفات الحضارية العائدة إلى العصر الحجري القديم الأسفل التي اكتشفت بقاياها في موقع بئر دوفان شمال طرابلس بالقرب من مصبات أحد روافد وادي مردوم تدل على أن المنطقة نالت نصيبها من التطور أثناء العصر الحجري القديم الأسفل.

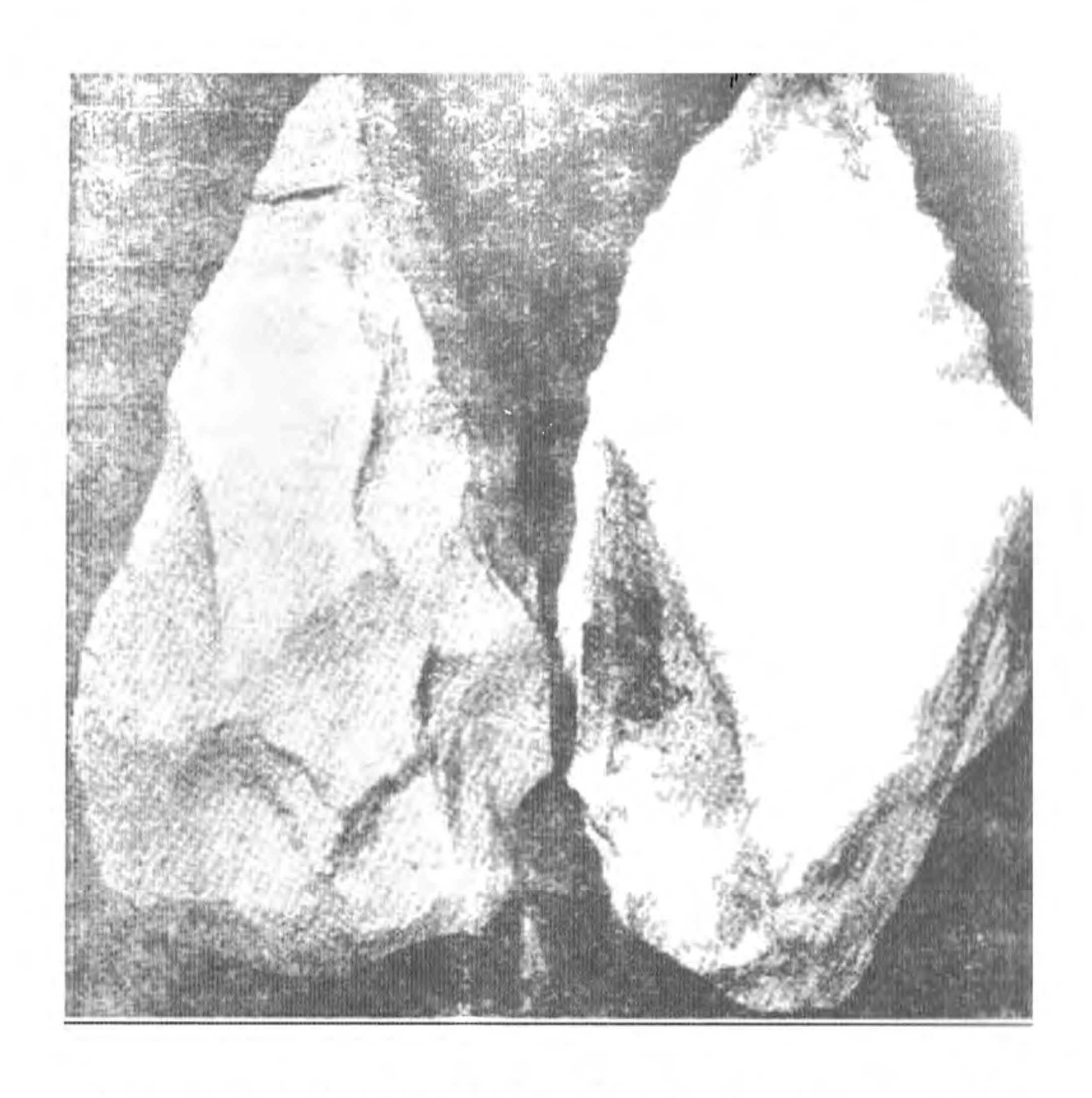
كما التقطت من منطقة توكرة ببرقة آلة بيفاس وعدة أدوات حجرية أخرى تحمل ملامح الحضارة الأشولية السفلى(1). [أنظر الشكل15 (أ) ص. 54].

خلاصة القول يمكن أن نلاحظ بأن فترة العصر الحجري القديم الأسفل كانت أطول وأصعب فترة في حياة الإنسانية الأولى. ذلك لأن الإنسان كان فيها خاصة يتلمس طريقه في محيط شديد القسوة مشوب بالصبغة العدائية، مع ذلك فإن ذكاءه بدأ يعطيه التفوق المبدئي على ما حوله شيئا فشيئا حتى وصل إلى الكفاية الذاتية التي جعلته يتنقل إلى المرحلة الموالية التي هي مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط.

يلاحظ أنه في نهاية العصر الحجري القديم الأسفل الذي استغرقت مدته أكبر فترة من الزمن كان الإنسان قدا استفاد من تجاربه خلال تلك الفترة، وبالتالي أصبح يتطلع إلى خوض تجربة أخرى تكون تقنيات أدواتها الحجرية أحسن وأدق من صناعة النواة التي عاصرته في حياته الأولى. وبذلك عمد إلى صناعة الشظايا في الصوان التي أصبح يصنع منها رؤوس سهامه العاثرية وبقية الأدوات.

وعلى العموم نقول بأن تجارب الإنسان المحلية كانت قد أهلته للانتقال من العصر الحجري القديم الأسفل دون عناء شديد.

(1) مصطفى عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي. 1955، ص. 2.



أدوات حجرية ذات لمسات كلاكتو أبفيلية تعود إلى الحضارة الأشولية السفلى– ليبيا

الشكل رقم 15.

الفصل الثاني :

محطات العصر الحجري القديم الأوسط:

- الحضارة الموستيرية
- الحضارة العاترية
- مراحل الحضارة العاترية
- التدرج التاريخي للاكتشافات العاترية
- التوزيع الجغرافي
- محطات العاترية في الجزائر.
- العاترية في الصحراء
- العاترية في تونس
- مواقع العاترية في ليبيا ومصر.

محطات العصر الحجري القديم الأوسط:

حلت صناعة الشظايا المميزة للعصر الحجري القديم الأوسط تدريجيا محل صناعة الحصى المشذبة التي سادت خلال العصر الحجري القديم الأسفل. وكان ذلك ناتجا عن التجارب التي اكتسبها الإنسان خلال المراحل الطويلة السابقة من حياته

فقد رأى الإنسان أنه من الضروري أن يطور أدواته الحجرية وفقا للظروف الجديدة التي أصبح يمر بها والتي تتجاوز متطلباتها أدواته الحجرية التي كان يستعملها قبل ذلك والمتمثلة في الفأس البيفاسية وصناعة النواة بأنواعها وكذا الصناعة الكلاكتو- ابفيلية والأشولية في مراحلها الأولى.

ويلاحظ أن التغيير المشار إليه في حضارة الصناعة الحجرية يتزامن مع التغيير المناخي الذي ساد القارة الأوربية والمعبر عنه بفترة جليد ريس -فورم التي تقابلها المرحلة السلطانية المطيرة في بلاد المغرب القديم[1]. وخلال تلك الفترة الجليدية ظهر إنسان نياندرتال صانع الحضارة الموستيرية في أوربا وفي بعض المناطق الأخرى من آسيا وإفريقيا[2]. ولعل السبب في اجتياز بعض الجماعات النياندرتاليين إلى شمال إفريقيا يرجع إلى فرارهم من الزحف الجليدي الذي غطى القارة الأوربية. وبذلك التجأوا إلى المواقع المغربية التي بقيت آثارهم ماثلة فيها. وعرفت تلك الآثار فيما بعد بالصناعة أو الحضارة الموستيرية.

- الحضارة الموستيرية:

تتميز الصناعة الموستيرية(*) بطريقة تحضيرها التي تعتمد على التقنية اللوفالوازية. وفي بعض الأحيان توجد متأثرة بالصناعة الأشولية المتطورة.

وتتمثل أدوات الموستيرية في المكاشط ورؤوس السهام ذات القاعدة وكذا النــصال التي تصنع الشظايا.

---

(1) - M. Daloui, Notes sur la classification du pliocène supérieur et du quaternaire de l'Algérie, Bull. de société de Géographie et d'archéologie d'Oran. T. LXI, 1940, P.42.

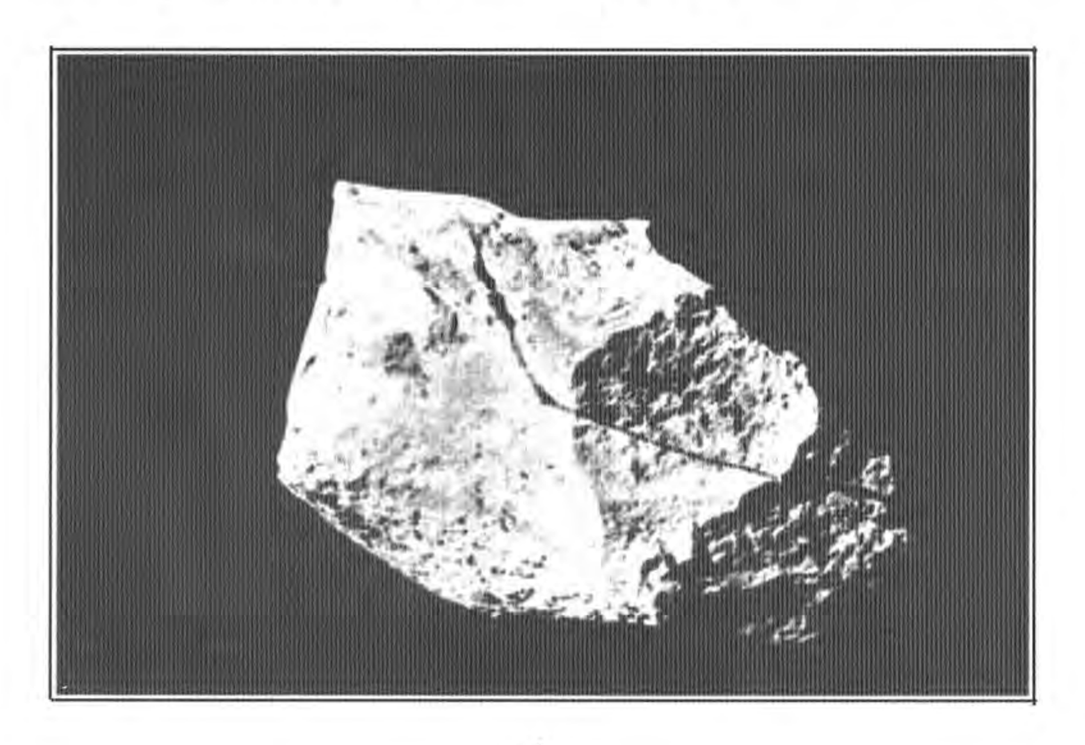
(2) - G. Camps, les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara, PP. 12- 13 ; M. Antoine, Paléolithique dictionnaire encyclopédique d'histoire bordas, Paris 1974, P.348.

(*) الموستيرية: نسبة إلى موقع موستير (Monstier) بموقع الدردوني، وقد استعمل ذلك المصطلح منذ سنة 1870 على يد الباحث الفرنسي ديمورتيلي وتتميز الموستيرية بصناعة الشظايا ذات التقنية اللوفالوازية.

وقد قسم الباحثون الصناعة الموستيرية إلى نوعين من الأدوات:

1- الأدوات الموستيرية ذات التقاليد الأشولية وتتمثل في ذات الوجهين بنوعيها المتمثلة والشبيهة باللوزة، يضاف إلى ذلك المكاشط ورؤوس السهام المذبية.

2 - الأدوات الموستيرية الحقة وتشمل الشظايا ذات التقنية اللوفالوازية ورؤوس السهام ذات القاعدة وكذا المكاشط المحدبة والمناقب والمسننات[1]. [أنظر الشكل 16 (أ،ب) ص.57، 58].

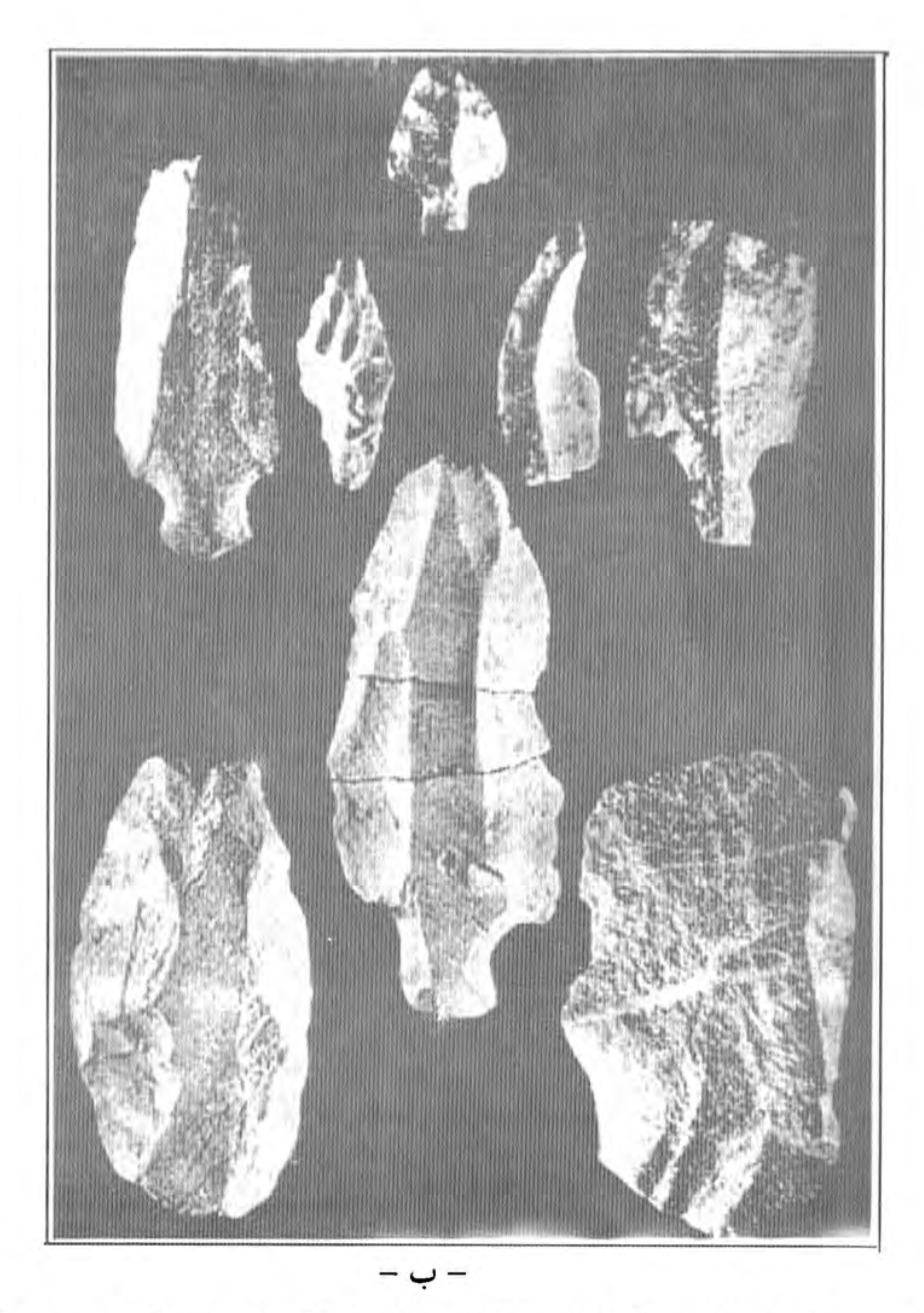


- أ -

صناعة عاترية ساحلية عثر عليها في الرأس الأبيض شرق الجزائر العاصمة

الشكل رقم 16 (أ)

(1) S. Bordas, l 'âge de pierre, que sais-je ?, éd. puf., Paris 1965, P. 83.



– ب –

رؤوس سهام عاترية مصنوعة من حجارة الكوارتز عثر عليها في موقع بئر العاتر جنوب تبسة

الشكل رقم 16 (ب)

ومع أن محطات الموستيرية في شمال إفريقيا تكاد تكون نادرة، إلا أنها تتمثل في بعض المحطات القليلة مثل تافورالت وكيفان بلغوماري وجبل أرحود بالمغرب الأقصى. ثم رأس تنس ورتيمية بالغرب الجزائري وحي مالكي بالجزائر العاصمة وبعض المواقع في الأطلس الصحراوي الجزائري، يضاف إلى ذلك محطات القطار بوادي عكريت ثم سيدي منصور وعين ماترشم وسيدي الزين بتونس. والجدير بالملاحظة أن الأدوات الموستيرية التي عثر عليها في بلاد المغرب القديم فيما عدا موقع القطار تكشف عن صناعة رديئة وغير متطورة. مما أدى ببعض الباحثين إلى تسميتها بالعاترية البدائية(1).

وعلى العموم أنه بينما كانت تسود صناعة الحضارة الموستيرية في أوربا وبعض المناطق من إفريقيا وآسيا. ظهرت هناك في شمال إفريقيا حضارة أخرى عرفت بالحضارة العاترية نسبة إلى موقعها الأصلي في بئر العاتر بالشرق الجزائري(2).

ولعل الموستيرية تلتقي مع العاترية في كثير من الأدوات، غير أن الفرق بينهما وجود الساق في قاعدة رؤوس السهام العاترية الأمر الذي يسهل لها أن تركب في أذرع خشبية أو عظيمة. هذا بالإضافة إلى تطور الصناعة العاترية إذا ما قورنت بالموستيرية وكذا اتخاذ أدواتها في كثير من الأحيان، لاسيما في الداخل من حجر الصوان بدلا من الكوارتز(3). [أنظر الشكل17 ص. 61].

بناءا على ما أشرت إليه سابقا، فإن كثيرا من الباحثين يعتقدون بأن الموستيرية في شمال إفريقيا هي عبارة عن مرحلة أولى من مراحل تطور العاترية في المنطقة.

– الحضارة العاترية:

يمكن أن نعرف الحضارة العاترية، بأنها الصناعة الحجرية التي ظهرت في بلاد المغرب القديم خلال العصر الحجري القديم الأوسط وقد أخذت تسميتها من موقعها النموذجي ببئر العاتر جنوب تبسة بالشرق الجزائري وتتميز عن الموستيرية المعاصرة لها بوجود ساق في قاعدة أدواتها.

---

(1) - G. Camps, op. cit., P. 25.

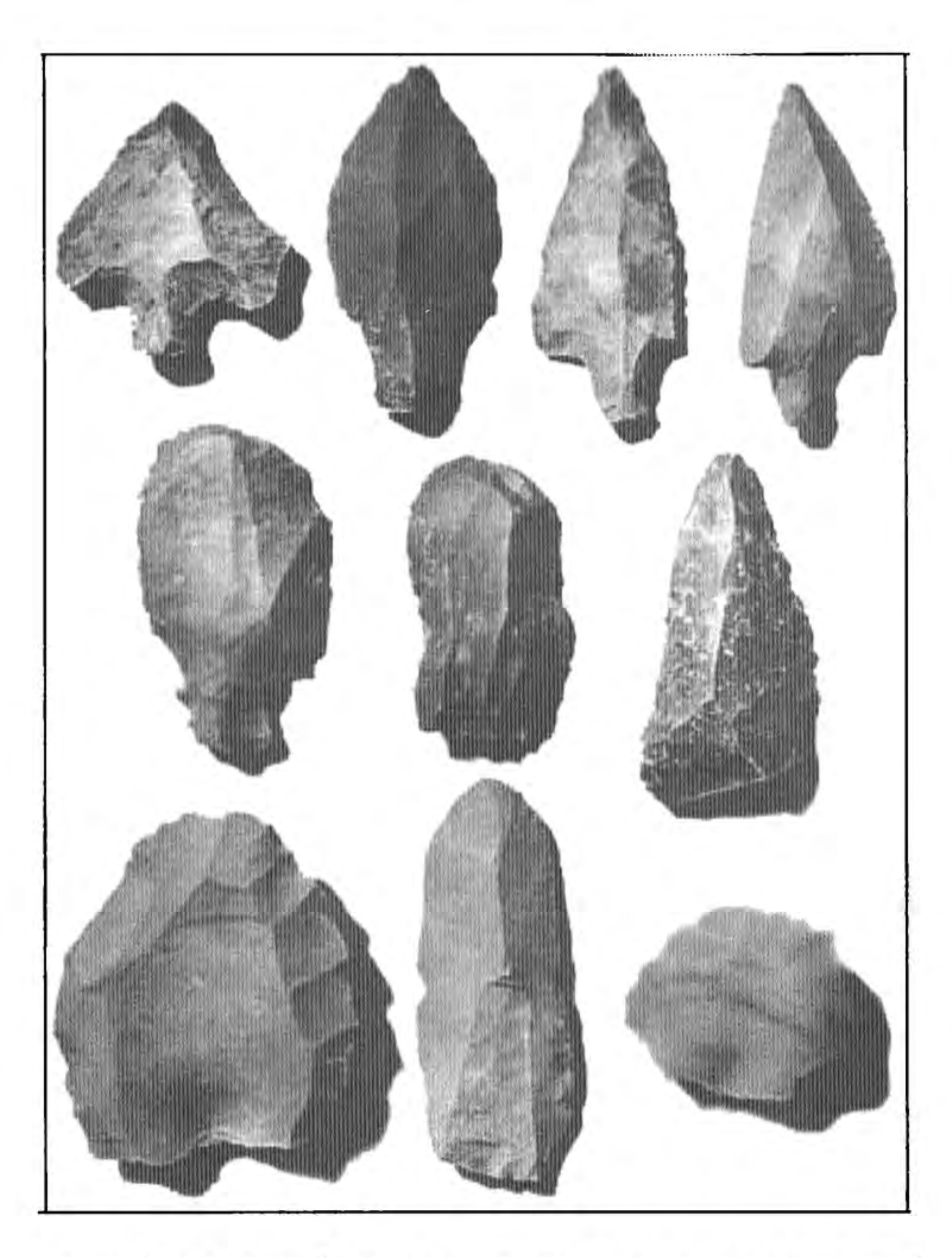
(2) - M. Reygasse , - Etudes de paléthnologie, maghrébine(nouvelle série) Rec. Des notes et mém. de la soc. (2) Archéol , de Constantine, T. III, 1919 – 1920, PP. 534 – 535.

(3) - H. J. Hugot, le Sahara avant le désert, éd., des Hespérides, Paris 1974, P. 68

وقد اتفق الباحثون على استعمال مصطلح العاترية منذ سنة 1922 وذلك انطلاقا من مؤتمر مونبلي (Montpellier) لنفس السنة. وكان الباحث الفرنسي ريجاس قد استعمل نفس المصطلح منذ سنة 1918 تاريخ بداية اهتمامه وتنقيباته الأثرية وكذا دراسته ومسحه الأثري لكامل المنطقة الموجودة في الجنوب الشرقي من تبسة[1].

---

(1) - L. Balout, - préhistoire de l'Afrique du Nord, arts et Métiers graphiques, Paris1965, P.269



أدوات عاترية صنعت من حجر الصوان (رؤوس سهام مذنبة أو مزودة بعقب) عثر عليها في منطقة وادي جوف الجمل قرب بئر العاتر

الشكل رقم 17

ويلاحظ بأن الأدوات العاترية وجدت منتشرة في مناطق كثيرة من إفريقيا. وقد امتدت تأثيراتها من المحيط الأطلسي غربا وحتى وادي النيل شرقا. هذا إذا لم تتجاوز ذلك حتى سواحل البحر الأحمر وفقا للدراسات الحديثة[1].

كما تمتد جنوبا حتى السودان والصحراء وأعالي بلاد النيجر وتتميز العاترية عن غيرها بصناعة رؤوس السهام المزودة بساق في قاعدتها وكذا الشظايا ذات التقنية اللوفالوازية وبعض الأدوات الأخرى الدقيقة التي تصنع من الصوان.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أهم أدوات الصناعة العاترية تتمثل في المكاشط والمسننات ورؤوس السهام المزودة بساق وكذا السكاكين والشظايا الخام التي وجدت بكثرة، لاسيما على السواحل حتى اعتبرت مواقعها عبارة عن مستودعات[2].

- مراحل الحضارة العاترية:

حاول الباحثون الأثريون أن يقسموا الصناعة العاثرية إلى عدة مراحل وذلك انطلاقا من تقنية أدواتها، وقد جاء تقسيمهم على الشكل الآتي:

1 - العاترية القديمة: على السواحل وتتميز بصناعة أقرب إلى الموستيرية ذات التقاليد اللوفالوازية ويلاحظ عليها ندرة القطع ذات العنق.

وقد توافر هذا النوع من الأدوات في كل من موقع الحنك ودار السلطان وعين جمعة وكهف الختزيرة بالمغرب الأقصى وكذا الخروبة وبيرار بالجزائر العاصمة والرأس الأبيض والمونستير بتونس[3]. [أنظر الشكل 19 ص 65].

ويلاحظ أن أدوات العاترية القديمة كانت في معظمها مصنوعة من الكوارتز.

2 - **النموذجية أو الوسطى** : تسيطر على هذا النوع من أدوات العاترية التقنية اللوفالوازية –الموستيرية وتزود سهامها بساق في قاعدتها وتتوافر فيها كثير من المكاشط ورؤوس السهام. وتصنع من حجر الصوان والكوارتز، وقد وجدت أدواتها في كل من موقعها النموذجي بوادي جبانة ببئر العاتر بئر الشعاشعة ولوبيرة على الحدود الجزائرية التونسية[4]. [أنظر الشكل 18 (أ، ب). ص63]

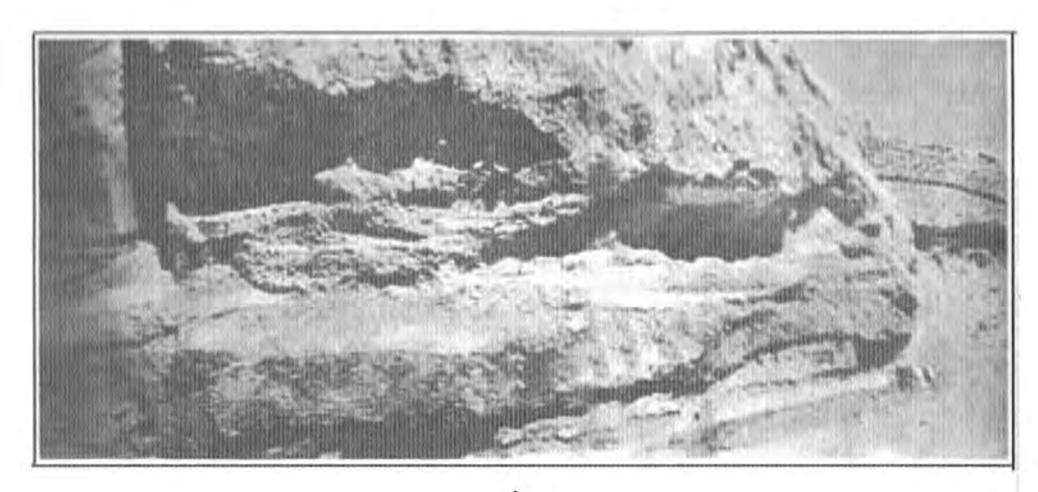
---

(1) حسن بكر أحمد الشريف، العصر الحجري الحديث في مصر، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية 1980، تحت رقم 3052 – 3055، ص.36.

(2) - G. Marchand, Les civilisations préhistoriques littorales de la province d'Alger, Rec,. Des notes et mém. De la soc. – archéol. De Constantine, vol., LXIII, 1935-36, P.12.

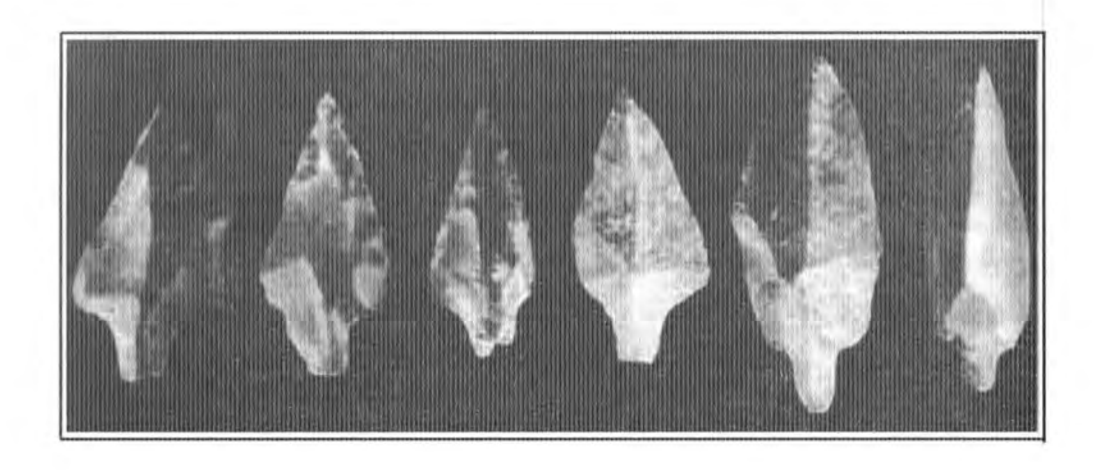
(3) - Ibid. P.12.

(4) - Balout, op. Cit., P.229.



– أ –

شكل يوضح موقع وادي جبانة في منطقة بئر العاتر جنوب تبسة



– ب–

رؤوس سهام عاترية مذنبة مصنوعة من حجر الصوان عثر عليها بوادي جبانة بالقرب من

بئر العاتر

الشكل رقم 18

3 - **العاترية العليا**: تتميز أدواتها بتهذيب دقيق وتغلب عليها رؤوس السهام المزودة بساق في قاعدتها. وهي منتشرة بكثرة في محطات المغرب الأقصى مثل المغارة العالية وموقع الخنزيرة. وكذا الصحراء الوسطى الجزائرية التي تواصلت بها حتى بداية العصر الحجري الحديث[1]. [أنظر الشكل 28 ص.99].

- التدرج التاريخي للاكتشافات العاترية:

كان الباحث الفرنسي ف. مورو (F. Moureau) أول من تعرف على أدوات العاترية والصفات المميزة لصناعتها الصوانية ذات الساق. غير أنه لم يوفق في إعطائها التسمية التي عرفت بها فيما بعد، وقد نشر مورو أعماله تلك فيما بين سنوات 1883 - 1887 وكانت مخصصة للأدوات التي التقطها من وادي سلجة بالقرب من قفصة بتونس[2]. واشتمل وصفه للصناعة الجديدة المغايرة للموستيرية على أنها صناعة دقيقة تتمثل في رؤوس سهام حادة مزودة بعنق أو بساق وهي ظاهرة لم يتعرف عليها الباحثون قبل ذلك في الموستيرية.

أما غ. كارير (G. Carrière) الذي درس المحطات الأثرية الواقعة في الغرب الجزائري والعائدة إلى العصر الحجري القديم الأوسط فقد ضمن دراسته تلك وصفا لرؤوس السهام التي عثر عليها والتي كانت في كثير من الأحيان لا تخلو من الساق أو العاقب الذي يرتب بواسطته السهم في الأذرع الخشبية أو العظمية، إلا أن بالاري (P. Palary) الذي درس نفس المنطقة المشار إليها آنفا فيما بعد عارض رأي كارير وحاول أن يأتي بمصطلح جديد للدلالة على تلك الأدوات التي اكتشفها على سطح المواقع الأثرية مختلطة بأدوات العصر الحجري الحديث، ومن ثم أعطاها تسمية النيوليتي البربري وهي فرضية غير دقيقة ولا تستند إلى أسس عملية مما جعلها لا تصمد كثيرا، وقد ناقشها فيما بعد س.جزيل (St. Gsell) في الأطلس الأثري للجزائر[3].

---

(1) - G. Camps, op. cit., P. 30.

(2) - M. Reygasse, - Etudes de paléthnologie maghrebine, (nouvelle série), rec. Des notes De la soc. Archéol. de Constantine, T. LII, 1919-1920, PP. 534- 535.2et mém.

(3) - P. Pallary, -état du préhistorique dans le département d'Oran, XXé Congé de l'A.F. A. A., Marseille1891 ;T. II, P. 605 ; St. Gsell, Atlas archéol. de l'Algérie, Paris 1911, P. 36.



خريطة تمثل توزيع بعض مواقع الحضارة العاترية في بلاد المغرب القديم

الشكل رقم 19

وكان لاتابي (Latapy) وديبروج (Debruge) بدورهما قد قاما بدراسة مشتركة على محطات لوبيرة الأثرية الواقعة بالحدود الجزائرية التونسية[1].وقد جمعا عدة مكاشط ورؤوس سهام مزودة بساق كلف ديبروج الذي كان يعمل في قسنطينة بدراستها، إلا أنه لم يوفق في الوصول إلى تسميتها وذلك راجع لعدم اختصاصه في الموضوع.

وفي سنة 1918 درس ريجاس بقايا التنقيبات الأثرية التي تمت قبل ذلك في لوبيرة وبئر الشعاشعة ثم شرع بعد ذلك في التنقيب في موقع ببئر جبانة ببئر العاتر. وعلى عمق ثلاثة أمتار ظهرت له الصناعة العاترية بارزة بكل أدواها، ومنذ ذلك التاريخ بدأ ريجاس في استعمال مصطلح العاترية للدلالة على الأدوات ذات الساق المصنوعة من حجر الصوان بعد تأكده بأن الأدوات التي عثر عليها ذات طابع محلي أصيل وهي معاصرة للموستيرية في المنطقة[2].

وعلى العموم فقد ظهر للباحثين المختصين من خلال أعمالهم في المنطقة بأنه غالبا ما تتوسط أدوات العاترية في الحفرية الواحدة في بعض الأحيان الصناعة الأشولية ذات التقاليد اللوفالوازية وصناعة العصر الحجري اللاحق. ولذلك فهي كثيرا ما تأتي بعد الأشولي النهائي وقبل الأيبيرو مغربي في المواقع الساحلية[3].

أما المناطق الداخلية والجنوبية فيكون موقعها أسفل الحضارة القفصية مباشرة أو أنها تأتي بعد الصناعة الموستيرية، وقد توافر ذلك في موقع القطار بتونس، ويمكن أن يتراوح عمق العاترية في الطبقات الأرضية في الحفرية الواحدة ما بين 6 إلى 9 أمتار. وقد تزيد على ذلك عمقا[4].

وبصدد التأريخ للحضارة العاترية، فإن نتائج الكاربون رقم C14 التي أجريت على المواد العضوية التي عثر عليها في كل من هوافتيح وكهف الدبة بليبيا أعطت حوالي 45

---

(1) - A. Debruge, - les outils pédonculés de la station préhistorique de Aïn El-Mouhâad. Près de Tebessa, 8è Congrés préhist. De Fr., Angoulème, 1912, PP. 356- 357.

(2) - M. Reygasse, - Les techniques paléolithiques de l'Afrique du Nord, Rec. Des Notes de la soc. Archéol. de Constantine, 8è vol. Constantine 1919, P. 272.

(3) - G. Camps, Le gisement altérien du camp- franchet d'Esprey, Libyca., T. III, Alger, 1955, P.5.

(4) - J.Tixier, les pièces pédonculées de l'atérien, Libyca., T. VI- VII, Alger 1958- 59, 146

ألف سنة قبل الميلاد كتاريخ لبداية العاترية، وهذا وفقا لتوقعـات العـالم الإنجليـزي م. بيرني(Mc Burny) الذي قام بدراسته في تلك المنطقة الليبية[1]

ومن جهته يشير كامبس (G. Camps) بعد مقارنته للدراسات التي تمت في منطقة الساورة بالصحراء الغربية الجزائرية، لاسيما تلك التي قدمتها الباحثة هـ. أليمان (H. Aliman) فإنه لا يستبعد أن يعود تاريخ العاترية في المنطقة الصحراوية إلى حوالي 40 ألف سنة ق.م وقد حاول نفس المؤرخ أن يجد الصلة بين أدوات العاترية في الصحراء وتلك التي عثر عليها في مواقع أرزيو بالساحل الغربي الجزائري، واقترح بعد ذلك أن يعود تاريخ الأدوات العاترية في هذا الموقع الأخير إلى حوالي ما قبل 30 ألف سنة ق.م[2]

التوزيع الجغرافي للحضارة العاترية:

يرى الباحث بالو (L. Balout) الذي تتبع دراسات العاترية في شمال إفريقيا ثم حاول أن يكتشف أغوارها وأن يوحد مسارها الطبيعي الذي سلكته في المنطقة محاولا طرح عدة أسئلة حول مكانها الأصلي واتجاهها. وقد توصل بعد إمعان النظر في كل معطيات تلك الحضارة الإفريقية بأن أصلها المغربي لا ينازع فيه ولا يستبعد أن تكون قد ظهرت في بداية الأمر في مغارة تافورالت وبقية المواقع المغربية التي وجدت بقاياها فيها مختلطة بالأدوات الموستيرية، ثم زحفت بعد ذلك إلى المواقع الساحلية الجزائرية.

أما موقعها النموذجي في منطقة بئر العاتر والمواقع التونسية فقد ظهرت فيها فيما بعد، ثم توجهت بعد ذلك نحو الشرق[3].

غير أنه يمكن أن نستكشف من بحوث ك. تومسن (C. Thompson) حول العاترية ما يعارض الرأي الذي أورده بالو، حيث أنها ترى أنه يمكن أن تكون العاترية قد نشأت في آسيا منطقة فلسطين وشبه الجزيرة العربية الحاليين، ثم هاجرت بعد ذلك نحو شمال إفريقيا، على اعتبار أنه وجدت هناك أدوات حجرية شبيهة بالعاترية[4].

---

(1) - Mc. Burny, The Hawa Fteah, (Cyrenaica) and the stone of the south east, mediterranean Cambridge, University press, 1967, P. 168.

(2) - G. Camps, les civilisations préhistoriques…, P. 33.

(3) - L. Balout, op. cit., P. 334.

(4) - C. Thompson, the aterian industry, its place and significance in the paleolithic 1946, P 119. world,J.R.A.I, V. London

ومن جهته سلك رشيد الناضوري نفس المسلك في كتابه المغرب الكبير، فقد حاول أن يجد الشبه بين الصناعتين الموستيرية ذات التقاليد اللوفالوازية في فلسطين والعاترية في بلاد المغرب القديم ثم خلص من ذلك إلى القول بأن الحضارتين ينتميان إلى فترة زمنية واحدة ويعزز رأيه هذا بالالتقاء الانثروبولوجي بين بقايا الإنسان النياندرتال الفلسطيني وهو افتيح الليبي، ثم نستنتج من ذلك بأن العلاقات بين منطقتي جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا كانت متوفرة خلال تلك الحقبة، وليس مهما أن تكون العاترية قد اتجهت من الغرب إلى الشرق أو العكس[1].

وفي رأينا يمكن أن تتضح الآراء التي سقتها آنفا وذلك بتوفر الدراسات الجادة التي تتناول فترة العصر الحجري القديم الأوسط بما فيها بقايا الحضارتين العمودية والسبيلية اللتين ظهرتا في منطقة الشرق القديم ومصر وكانتا معاصرتين تقريبا للعاترية في شمال إفريقيا، لاسيما في مرحلتها الأخيرة بالنسبة للسبيلية.

وحتى نتتبع مواقع العاترية في توزيعها الجغرافي لا بد أن ننطلق من المغرب الأقصى الذي يمكن أن يكون الموستيريون قد هاجروا إليه من أوربا عبر مضيق جبل طارق الحالي، لاسيما بعد الزحف الجليدي الأخير فورم) الذي كان قد عم القارة الأوربية أثناء العصر الحجري القديم الأوسط، ثم نتجه بعد ذلك نحو الشرق حتى مصر دون أن نغفل الامتداد الصحراوي للعاترية.

– محطات الحضارة العاترية في المغرب الأقصى:

يسود معظم المحطات العاترية في المغرب الأقصى طابع الصناعة الموستيرية المتطورة التي قد لا يفرق بينهما وبين الأدوات العاترية العائدة إلى المرحلة الأولى.

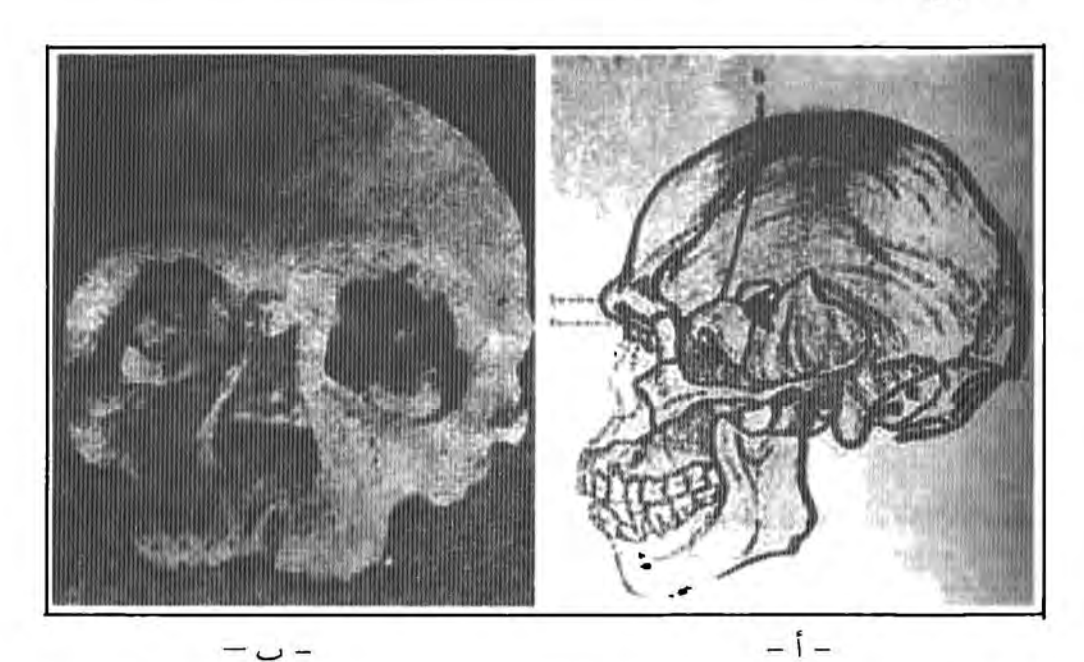
ومن أهم محطات العاترية في المغرب الأقصى نشير إلى محطة جبل أرحود التي اكتشفت فيها جمجمتان بشريتان أخذت إحداهما كنموذج للإنسان النياندرتالي في بلاد المغرب القديم[2]. [أنظر الشكل 20 (أ، ب،ج)ص، 70، 71].

---

(1) رشيد الناضوري، المغرب الكبير جـ 1، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1966، ص 98.

(2) - J. Tixier, op. cit., PP. 152 – 153. ; L. Balout L'intelligence des hommes

يضاف إلى ذلك محطة تيت مليل الواقعة في جنوب غربي الدار البيضاء، ويلاحظ بأن الأدوات المجنحة هي المرحلة الأكثر تطورا في الصناعة العاترية وشبيهة برؤوس السهام الصحراوية[1].



– ب –

بقايا جمجمة إنسان نياندرتال عثر عليها في جبل أرحود بالمغرب الأقصى

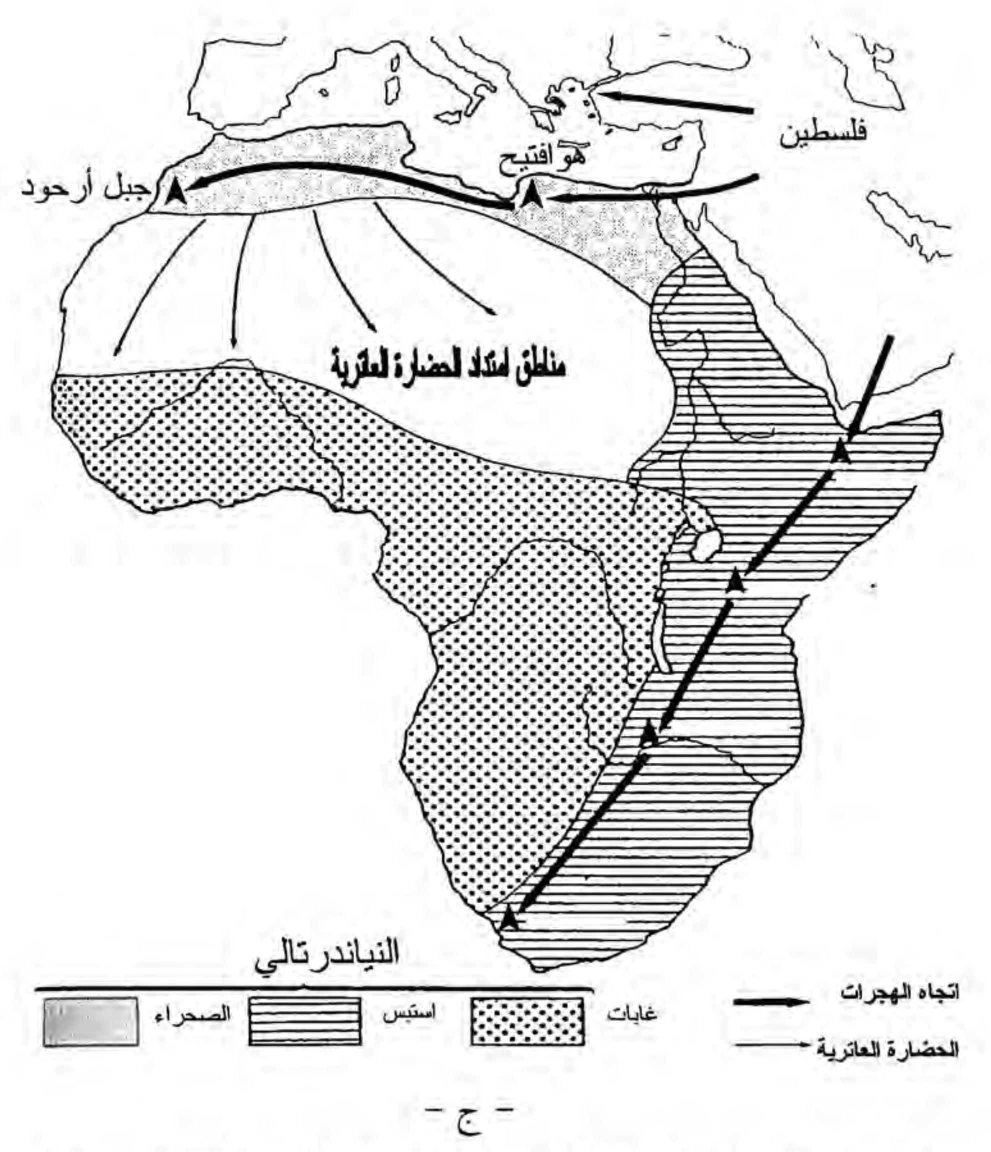
– أ –

بقايا جمجمة متحجرة للإنسان النياندرتالي الفلسطيني

الشكل رقم 20 (أ، ب)

---

(1) - H. Aliman, Préhistoire de l'Afrique, éd. Boule et cie, Paris 1955, P. 63.



- ج -

خريطة تمثل انتشار الحضارة العاترية مع اتجاه هجرات الإنسان النياندرتالي ومحطات استقراره

الشكل رقم 20 (جـ)

أما محطة تافورالت الواقعة غربي مدينة وجدة بشرقي المغرب الأقصى، فقد تم التنقيب فيها سنة 1952 وأعطت أدوات عاترية متطورة، وهناك محطة دار السلطان التي نقب فيها الباحث الأثري روحلمان (Rhulman)[1] .

ويعتبر موقع الخنزيرة طبقة (أ) في المغرب الأقصى من أقدم مراحل العاترية في شمال إفريقيا، يحتمل أن تكون أدوات هذا الموقع قد استمرت لمدة طويلة في الاستعمال ولذلك ظهرت أكثر تطورا من تلك التي عثر عليها في موقع لوبيرة بالحدود الجزائرية التونسية[(2)].

وهناك من الباحثين من يخلط بين أدوات الموستيرية والعاترية للشبه بينهما ووجود أدواتهما في مواقع واحدة نظرا لتزامنهما واختلافهما في الأهمية.

إن كل الذي يمكن أن نتأكد منه هو وجود تشابه كبير من حيث النمطية والتقنية بين العاترية النهائية في كل من دار السلطان والمغارة العالية بالمغرب الأقصى وبين الأدوات العاترية المتطورة في منطقة الصحراء الوسطى موقع تيوريرين (Tiouririne) بأدرار، ويعتقد بأن تواجد العاترية بهما قد استمر حتى العصر الحجري الحديث[(3)].

وعلى العموم، فإن أدوات العاترية في كهوف المغرب الأقصى فيما عدا المغارة العالية لم تتطور كثيرا، وقد انقطعت فجأة عند ظهور الأقوام الايبيرومغربية في المنطقة.

- محطات الحضارة العاترية في الجزائر:

تتوزع المحطات الأثرية العاترية في الجزائر في كامل المنطقة الساحلية والداخلية والصحراوية وكثيرا ما تكون أدواتها مصاحبة للصناعة الموستيرية التي سبقتها.

ولعل أقدم المحطات العاترية في الجزائر هي تلك التي وجدت على الساحل، لاسيما موقع أرزيو[(*)] الواقع في الغرب الجزائري[(4)].

---

(1) - H. Aliman, op. cit., P. 63.

(2) - G. Camps, Les Civilisation préhistoriques..., P. 30

(3) - Ibid., P. 63:

(*) موقع أرزيو : يعرف هذا الموقع في المؤلفات الفرنسية تحت اسم كامب فرانشي دي اسبري (Camp Franchét d'espry) وهو واقع في الشمال الغربي من مدينة أرزيو، وقد نقبه المؤرخ والأثري كامبس في الخمسينات من هذا القرن(العشرون).

(4) - G. Camps, La place du gisement du camp Franchet d'espey dans l'atérien littoral, Libyca., VIII, 1955, P. 53.

أما محطة وادي جبانة ببئر العاتر التي تنتمي إلى المرحلة العاترية الوسطى النموذجية فقد اعتبرها ريجاس (M. Reygasse) من المواقع التي اكتملت فيها الشروط التقنية اللوفالوازية للشظايا الصوانية ولذلك اعتمدت تسميتها وعممها على كامل المواقع التي وجدت فيها أدوات مزودة بساق في قاعدتها في شمال إفريقيا، وكان ذلك منذ سنة 1918 وهي السنة التي قام فيها بنشر دراسة حول العاترية في الشرق الجزائري ثم شرع بعد ذلك في التنقيب في موقع بئر العاتر، ولم تتوقف دراسته تلك على هذا الموقع فحسب، بل قام بما يشبه المسح الأثري لكامل المنطقة الجنوبية الشرقية من تبسة والتي تشمل لوبيرة ووادي جوف الجمل وبئر الشعاشعة و غيرها من المواقع السطحية التي اختلطت أدواتها في بعض الأحيان ببقايا الحضارة القفصية اللاحقة(1).

وقد عمل ريجاس على تثبيت وتعميم مصطلح العاترية في مؤتمر سنة 1922 بمومبليي انطلاقا من الدراسة التي قدمها في مجال العاترية، ومنذ ذلك التاريخ أصبح مصطلح العاترية علما لكل الأدوات المزودة بساق في قاعدتها حيث ما وجدت، لاسيما في شمال القارة الإفريقية.

ومن بين المحطات الأثرية الأخرى التي توافرت فيها أدوات عاترية في الجزائر نشير إلى محطة كدية بوغرارة الواقعة شمال شرقي مدينة تيارت، وقد تم اكتشاف تلك المحطة من قبل ب. كادنة (P. Cadnat) وذلك سنة 1938(2). كذلك نشير إلى محطة الخروبة الواقعة شمال مدينة مستغانم وقد تم اكتشافها ودراستها من قبل ب. بالاري (P. PIlary) ولاحظ بأن الأدوات العاترية فيها تعلو مباشرة الأدوات الموستيرية(3).

أما محطة أرزيو التي سبقت الإشارة إليها فهي واقعة على الساحل الشمالي لمدينة أرزيو بين عين غزال ورأس كربون. ويرجع اكتشافها إلى ج. كامبس الذي نشر نتائج أبحاثه في مجلة ليبيكا لسنة 1955(4). يضاف إلى كل ذلك محطة بيرار الواقعة غربي الجزائر العاصمة

---

(1) - M. Reygasse, Etudes de paléthnologie maghrébine (nouvelle série), rec. des notes et mém. de soc. Archéol. De Constantine, XLII, 1919- 1920, P. 556.

(2) - P. Cadnat, Les objets pédonculés du Koudiat Boughrara, bull. de la soc. de géographie et d'archéol. D'Oran, T. –LX, 1939, P. 58.

(3) - H. Alimen, op. cit., P. 60.

(4) - G. Camps, les gisements du camp frachet d'espery, dans l'atérien littoral, libyca., V, III, 1955, PP.52-53.

والتي عثر فيها هي الأخرى على أدوات عاترية مصنوعة من الكوارتز تعلو السويات التي توجد بها الموستيرية في عمق الموقع[1].

والملفت للانتباه فيما يخص المواقع الجزائرية أنه لم يعثر حتى الآن على بقايا الآدميين الذين تركوا بصماتهم ماثلة في تلك المواقع. وكل الذي تم اكتشافه يتمثل في جمجمة إنسان جبل أرحود بالمغرب الأقصى وكذلك بقايا جمجمة إنسان هوافتيح بليبيا الذي يعتقد بأنه كانت له صلة بإنسان نياندرتال الفلسطيني الذي شارك بجهده في الحضارة الموستيرية.

- العاترية في الصحراء:

لقد درست بقايا العاترية في الصحراء من قبل كثير من المهتمين الغربيين والعرب ويأتي على رأسهم أرامبورغ (C. Arambourg) الذي اكتشف موقع أحنات (Ahnat) بالهوجار[2]. وكذا هـ. هوجو (H. Hugot) الذي درس موقع تيديكالت (Tidikalet) الواقعة بمنطقة عين صالح وبعض المناطق الأخرى المجاورة لها[3].

وقد درست بقايا العاترية في منطقة وادي الساورة من قبل الباحث شفايون (Chavaillon) الذي لاحظ بأن منطقة الصحراء ذات مناخ رطب واستشهد على ذلك بتوافر الوديان الجافة الموجودة في المنطقة في وقتنا الحالي[4].

ويلاحظ بأن الصناعة العاترية في الصحراء كانت تتخذ من الكوارتز المتواجد في المنطقة وتقل فيها نسبة حجر الصوان وغالبا ما كانت توجد مواقعها في الحمادات بالقرب من منابع المياه وقد انفردت أدواتها بالأزاميل والأدوات المثلثة والسهام المجنحة، ويمكن أن يكون أشهر سهم ظهر بالصحراء في تلك الفترة هو سهم تبلبالة المشظى على الوجهين. [أنظر الشكل 21 (أ، ب) ص.76، 77].

---

(1) - H. Marchand, Répartition des industries moustéro- atériennes sur le littoral de la province d'Alger, XI ème Congrès préhistorique de Fr. Périqueux 1934, PP. 130 – 137.

(2) - C. Arambourg et Balout, l'ancien lac du Tihodaine, et ses gisements préhistoriques, Act. du II congrés panafricain du préhistoire, Alger 1952 – 55, PP. 281 – 292.

(3) - H.J. Hugot, préliminaire une étude du moustéro-atérien du Tidekellete, Libyca., T. I, 1953, PP. 89-102.

(4) - N. Chavillon- l'Atérien d'Anchol. Mont d'Ougarta, sahara nord- occidental, Bull. soc. Préhistorique Français, T, LIII, 1956, PP. 639 – 642.

وتجدر الإشارة إلى أنه التقطت عدة أدوات ذات تقاليد لوفالوازية من منطقة الهوجار. وقد اقترح هوجو بأن تلك الأدوات يمكن أن تنسب إلى الأشولية الرابعة أكثر منها إلى الموستيرية ذات التقاليد الأشولية[1].وفي رأي هوجو أيضا بأن العاتريين كانوا قد قدموا إلى الصحراء من الجنوب الشرقي القسنطيني في حوالي 30 ألف سنة ق.م. وقد توزعوا بعد ذلك في شمال الصحراء، لاسيما في المنطقة الوسطى منها ومنطقة الساورة ثم الصحراء الغربية. وكان ذلك خلال المرحلة العاترية الثانية[2].

أما في المرحلة الثالثة من العاترية فقد تجمعوا حول الشطوط والبحيرات الداخلية الصحراوية وهناك وجدت أدواقم العاترية متوضعة في سويات سفلى عن تلك العائدة إلى العصر الحجري الحديث في الصحراء.

هل يمكن أن نعتقد بناء على رأيي كامبس وهوجو المشار إليهما بأن العاترية في الصحراء كانت قد تأخرت في الظهور عنها في بلاد المغرب الشمالية ؟ قد يكون ذلك ممكن إذا استطعنا أن نبرهن بأن أدوات المرحلة الأولى من العاترية غير متوفرة في الصحراء.

– محطات العاترية في تونس:

لعل أهم محطات العاترية في تونس تتمثل في موقع القطار الواقع على بعد 15 كلم جنوب شرقي قفصة وذلك بالقرب من نبع تقليدي. ويتكون هذا الموقع في حقيقته من عدة طبقات موستيرية متطورة تظهر عليها اللمسات اللوفالوازية وكثير من أدواقا غير المذنبة شبيهة بتلك التي عثر عليها في فلسطين[3].

ويلاحظ بأن أدوات العاترية ذات الساق تظهر في هذا الموقع ابتداء من السوية السابعة وأغلبها يتمثل في المكاشط ورؤوس السهام المزودة بساق في قاعدها وكذا النصال يضاف إلى ذلك محطة عين ماترشم الواقعة شمال غربي جبل الشعنبي بالقرب من الحدود التونسية الجزائرية، فقد أعطت هي الأخرى أدوات موستيرية ذات تقنية لوفالوازية في أسفل الموقع وأعلاه وجدت الأدوات المذنبة ذات السيمات العاترية والبدائية، وهناك محطة سيدي منصور الواقعة شرقي مدينة قفصة وربما أيضا وجدت بها أدوات عاترية تعود إلى المرحلة الأولى[4].

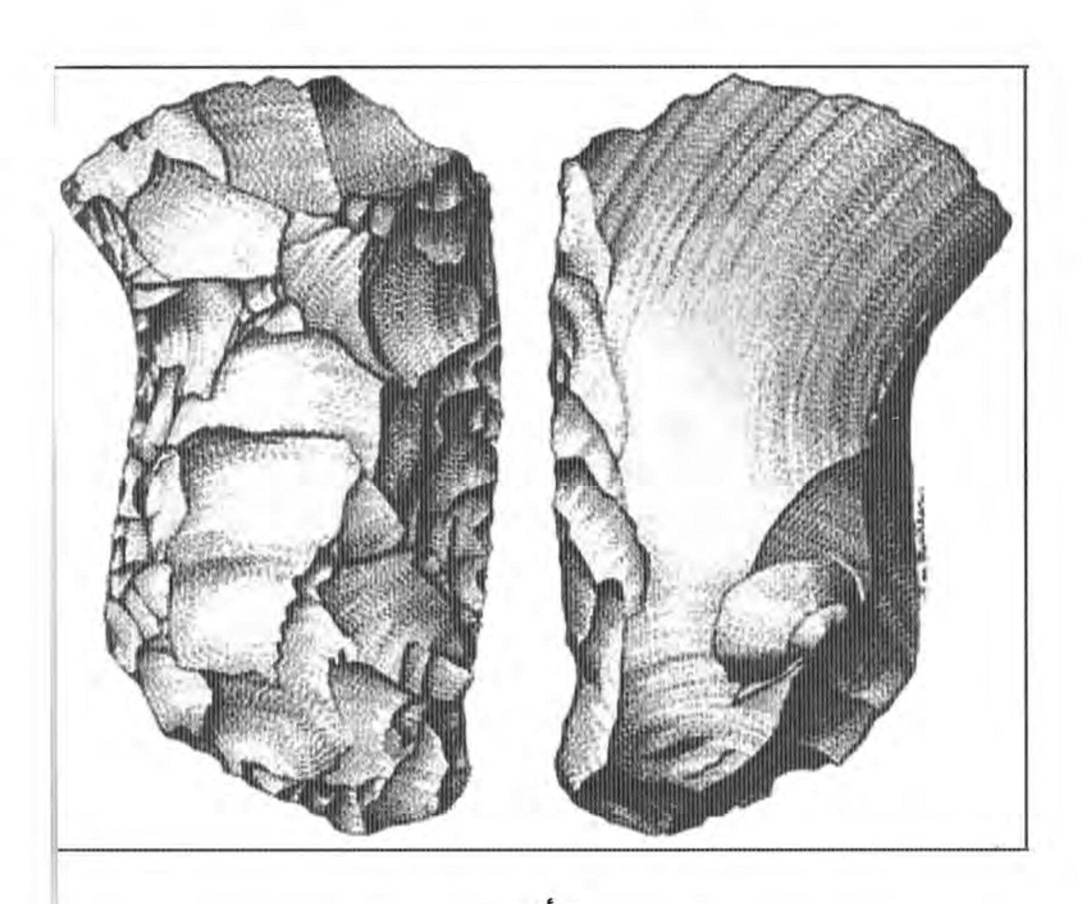
---

(1) - G. Camps les civilisations préhistoriques, P. 25.

(2) - Ibid, P. 36 ; Hugot, op. cit., PP. 91- 102.

(3) - L. Balout, Préhistoire de l'Afrique du Nord…, P. 292:

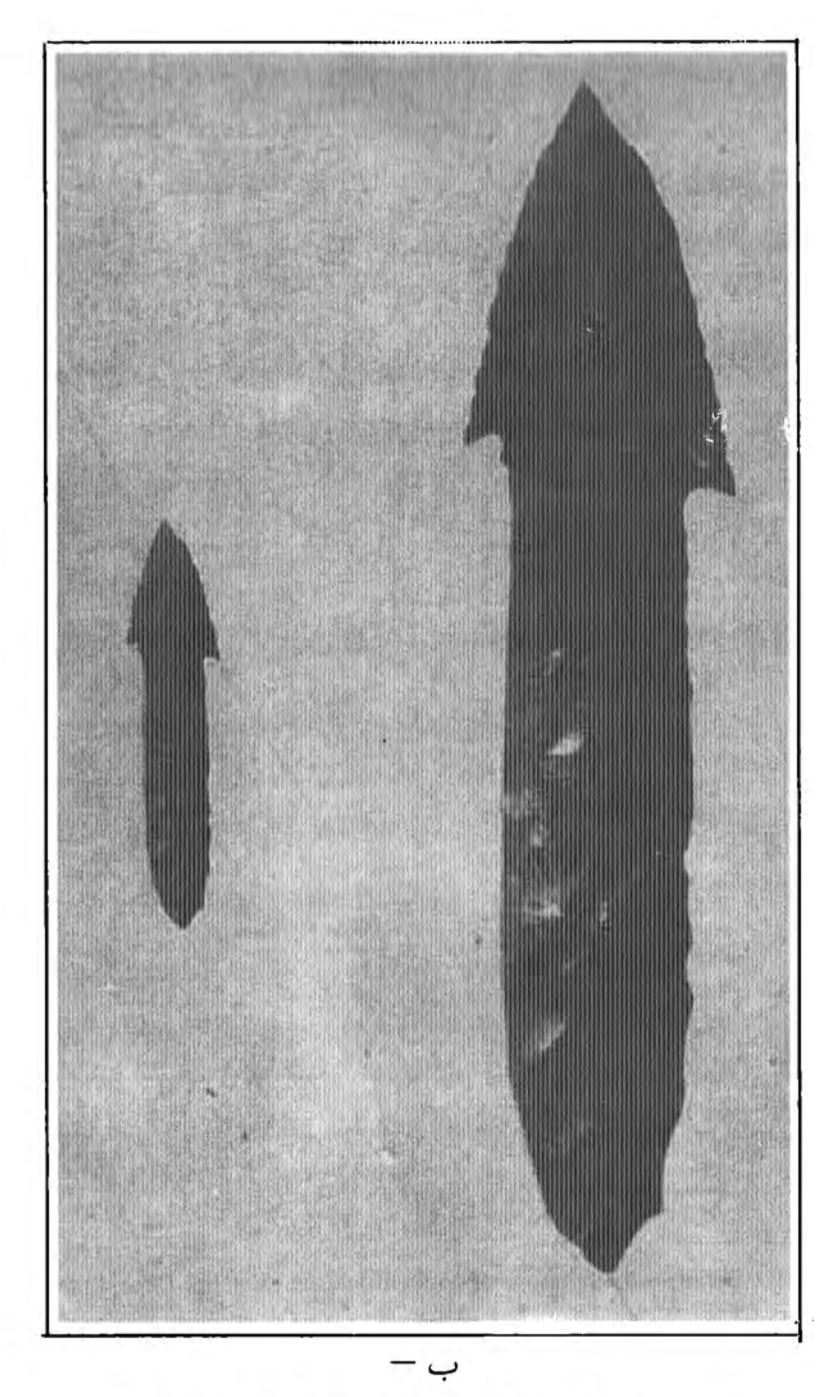
(4) - E. G. Gobert, - Notions générales acquises sur la préhistoire dans la régence, Actes du II Congrés panaf. de préhistoire, Alger, 1952 (1955), PP. 224- 255.



- أ -

فأس أشولية عثر عليها في موقع تاشنغيت بتبلبالة منطقة الساورة بالجنوب الجزائري

الشكل رقم 21 (أ)



ب —

رؤوس سهام صحراوية يلاحظ عليها تطور تقنية صناعتها

الشكل رقم 21 (ب)

- العاترية في ليبيا ومصر:

يعد موقع هوافتيح بمنطقة برقة في ليبيا من بين أهم وأشهر المحطات العاترية في ليبيا، وقد تم اكتشافه من قبل م. بيرني (Mc.Berney) وذلك سنة 1950 بعد اكتشافه لمواقع وادي ماصودا ووادي درنة وحجفة الطير[1].

ويعتبر هوافتيح في ليبيا في رأي الباحثين بمثابة جسر حضاري بين المشرق والمغرب، لاسيما بعد احتواء طبقاته الأثرية العائدة إلى العصر الحجري القديم الأوسط على جمجمة لإنسان نياندرتال شبيهة بتلك التي عثر عليها في جبل الجليل بفلسطين[2]. كما أن توافر بقايا أدوات الحضارة العاترية بهوافتيح يدل على أن الجماعات البشرية الحاملة لتلك الحضارة كانت قد اتخذته كمحطة عبور نحو الواحات المصرية الغربية ووادي النيل، لاسيما في فترة المرحلة العاترية الثالثة. [أنظر الشكل 22 ص.79].

حول موضوع العاترية في مصر تشير الباحثة ك. تومسن التي قامت بعدة أبحاث في المنطقة تتعلق بالعصور الحجرية، بأن الأدوات العاترية في مصر غالبا ما تتوضع فوق طبقات الصناعة اللوفالوازية الموستيرية[3].

وقد احتوت مصر على عدة محطات عاترية تتمثل في مواقع واحة سيوة والخارجية ثم الداخلية بالإضافة إلى تلك التي عثر عليها في مصر العليا بالقرب من الأقصر وكذا ذلك القريب من نقادة والمراشدة وهذا الأخير لا يبعد كثيرا عن نجع حمادة[4]، وتجدر الإشارة إلى أن ك. تومسن ضمنت رأيها حول العاترية في مصر بأنها لم تتجاوز وادي النيل شرقا. وقد بنيت عليها أصول أدوات العصر الحجري الحديث وأدوات عصر ما قبل الأسرات في مصر[5].

---

(1) - C.B.M. MC. Burney, - the stone age of north; africa, ed. A. pelica Book, London 1960, PP. 174-177.

(2) - H. J. Hugot, le Sahara avant le désert, éd. Des Hespérides, 1974, PP. 63 – 64

(3) - C. Thompson, - Khartgo oasis in préhistory, University of London, Athlone press, 1952, P. 31.

(4) - A. Fakhry, Siwa. Oasis, Cairo 1944, P.71.

(5) C. Thompson, op. cit., P.31

غير أن الدراسات التي وجدت في مصر حول العاترية بعد الخمسينات تحاول إيصال تأثيرات العاترية حتى البحر الأحمر شرقا[1].

هل لنا بعد استعراض التوزيع الجغرافي للحضارة العاترية أن نتساءل عن الظروف الباكرة التي تمت فيها العلاقات بين المغرب والشرق القديم؟ هل يمكن أن نعتبر أن الإنسان النياندرتالي الموستيري العاتري الذي ينتمي إلى شمال إفريقيا هو أول من حاول ربط تلك



كهف هوافتيح الذي يمثل جسرا حضاريا ما بين المشرق والمغرب

الشكل رقم 22

---

(1) حسن بكر أحمد الشريف العصر الحجري الحديث في مصر، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة الإسكندرية 1980، تحت رقم 3050 – 3055 ص ص. 34-41

العلاقات؟ وأن الاتجاه كان من الغرب إلى الشرق ؟ أم أن الإنسان الفلسطيني النياندرتالي هو أساس تلك الهجرات؟ فانتقل عبر مصر إلى هوافتيح بليبيا ومن هذه الأخيرة انتشر غربا حتى المغرب الأقصى وفقا للكرونولوجي الخاص بالباليونتولوجيا الإنسانية المنتمية إلى العصر الحجري القديم.

إن عناصر الإجابة في رأينا على مثل هذه الأسئلة لا تزال غير مكتملة في وقتنا الحاضر ولعل الدراسات المقبلة يمكن أن تعثر على اللبنة الضائعة في البناء السابق المتداخل الأطراف والأشكال.

الفصـــل الثـــالث

المخلفات الحضارية للعصر الحجري اللاحق

أولا: مخلفات الحضارة اللايبيرومغربية

1 - أنواع الصناعة الحجرية الايبيرومغربية

2 - مراحل الحضارة الايبيرومغربية

أ- المرحلة القديمة

ب- المرحلة المتوسطة

ج- المرحلة المتطورة

د- التدرج التاريخي

هـ- التوزيع الجغرافي

ثانيا : مخلفات الحضارة القفصية

- التسمية

1 - الحضارة القفصية النموذجية

2- القفصية العليا والحديثة

3 - التدرج التاريخي

4 - الامتداد الجغرافي

المخلفات الحضارية للعصر الحجري اللاحق:

يبدو أن الإنسان المغاربي كان قد طرح على نفسه فكرة أسلوب التطور بعد لقاءات التأثير التي تمت بينه وبين الموستيريين الأوربيين والنياندرتاليين الفلسطينيين خلال العصر الحجري القديم الأوسط. ولا يستبعد أن يكون موقع هوافتيح الليبـــي كان قد لعب دور جسر حضاري في تلك اللقاءات التي تمت بين بلاد الشرق القديم عن طريق مصر العليا والواحات المصرية المغاربية.

وبالمقابل، فإن مضيق جبل طارق من الناحية الغربية من بلاد المغرب القديم كان قد ساهم بدوره في تلك اللقاءات غير أننا لا يمكن أن نجزم بأنها كانت قد تمت من طرف واحد لا غير، أي أن الايبريين هم الذين انتقلوا إلى شمال إفريقيا وكونوا ما عرف بالحضارة الايبيرومغربية كما تحاول المدرسة الأوربية الحديثة أن تقنع الدارسين بذلك. قد يكون العكس هو الذي تم، ذلك لأن الإنسان بإمكانه أن ينتقل في المناطق المطيرة أكثر من المناطق التي يغطيها الجليد وذلك شأن القارة الأوربية حينذاك.

وسيرا على التقليد الذي دأبت عليه الدراسات خلال العصر الحجري القديم الأعلى الأوربي، فإننا سنركز على حضارتين كانتا قد ظهرتا خلال العصر الحجري اللاحق في شمال إفريقيا وهما الحضارتان الايبيرومغربية والحضارة القفصية دون تغيير المصطلح.

أولا: مخلفات الحضارة الايبيرومغربية:

يعود الفضل في اكتشاف موقع المويلح بالغرب الجزائري إلى الباحث بول بالاري (P. Pallary) الذي زار المنطقة خلال سنة 1899. ثم لاحظ أدواتها الميكروليتية التي تتصدرها النصال. وقد شرع في تنقيب الموقع للمرة الأولى في سنة 1907 على يد الباحث أ. باربان (A. Barbin)، ثم تبعه فيما بعد س.جزيل(St. Gsell) وذلك سنة 1910. ونشرت نتائج الحملتين في مجلة الغرب الجزائري حينذاك[1]. وكانت التسمية التي أطلقت على أدوات المويلح منذ ذلك التاريخ هي "الصناعة الايبيرومغربية" اعتقادا من الباحثين الذين درسوا أدوات الموقع بأنها ذات صلة بحضارة العصر الحجري القديم الأعلى في شبه جزيرة ايبرية.

---

(1) - A. Barbin, et St. Gsell, un compte rendu in. Bull. de la soc. de géog. Et d'archéol. D'Oran, T. XXX, 1910, PP. 77 – 99 et XXXII, PP. 389 – 402.

وقد حاول ج. جوبير (E. G. Gobert) ور. فوفري (R. Vaufrey) في بحوث لهما متعلقة بالايبيرومغربية في الغرب الجزائري أن يستبدلا مصطلح الايبيرومغربية بالوهرانية غير أنهما لم ينجحا في ذلك، باعتبار أن التسمية الوهرانية محلية حسب مزاعم أصحاب الانتقاد الذي وجه للباحثين المشار إليهما. وكان يمكن في رأي المعترضين عن التسمية الوهرانية أن يطلق على أدوات الموقع مصطلح الصناعة المويليحية(*) نسبة إلى الموقع الأصلي الذي اكتشفت فيه تلك الصناعة[1].

كذلك وجهت انتقادات أخرى للمصطلح الوهراني تتعلق بأهمية المواقع الايبيرومغربية الأخرى الموزعة في بقية بلاد المغرب مثل تافورالت بالمغرب الأقصى، وأفالوبوريمال بالقرب من بجاية بالجزائر ووشتاته بتونس. ومع ذلك لم تعط أسماءها للصناعة التي اكتشفت فيها. وبذلك ثبت مصطلح الايبيرومغربية بعد أن طرحت حوله عدة أسئلة لفترة من الزمن.

1 - أنواع الصناعة الحجرية الأيبيرومغربية:

تشمل صناعة الحضارة الايبيرومغربية التي عثر عليها في المواقع المغربية عدة أنواع من الأدوات الحجرية التي تتميز على العموم بمواصفاتها القزمية بحيث لا يتجاوز طول نصالها ثلاثة إلى سبع سنتيمترات. وكثيرا ما تغلب على أدواتها صناعة النصال المضروبة الظهر التي تصل نسبتها إلى أكثر من 70% في بعض المواقع.

وهناك عدة أشكال تأخذها النصال ونذكر منها:

ذات الاستقامة غير منتظمة والمدببة وكذا تلك المشذبة القاعدة، ويلاحظ أنه إلى جانب النصال توافرت الأزاميل العادية والدقيقة والمكاشط وكذا بعض القطع المحززة والمسننة. وقد صنعت الأدوات الايبيرومغربية من حجارة الكوارتز والحجارة البركانية بالإضافة إلى حجارة الصوان[أنظر الشكل 23 ص. 85].

(*) كان (م. ريجاس) و (ج. جوبير) هما أول من اقترح مصطلح المويليحية للإطلاق على الأدوات المويليحية وقد أيدهما في ذلك كل من بول بالاري وروبي وإبراهيمي، غير أن مصطلح الوهرانية والمويحلية لم يصمدا أمام مصطلح الايبيرومغربية وذلك انطلاقا من توجهات المدرسة الغربية التي ينتمي إليها الباحثون الذين درسوا الموضوع باعتبار أن كل الحضارات منطقلتها المواقع الأوربية وفي رأينا فإن مصطلح الوهرانية صالح للتعميم، وقد استعمل من قبل المدرسة الانجلوسكونية (ماك بيرني) والمدرسة الشرقية (رشيد الناضوري) والمدرسة الجزائرية (ما بعد الاستقلال)

(1) - R. Vaufrey, préhistoire de l'Afrique T. I, le Maghreb , éd. Masson, Paris 1955, PP. 88- 89.

ويلاحظ أنه غالبا ما تأخذ الأدوات الأيبيرومغربية أشكالا عديدة نذكر منها المثلثة وهي متوفرة جدا وكذا المستطيلة، أما أشباه المنحرفة فهي نادرة[1].

تظهر نواة الصناعة الحجرية الايبيرومغربية بيضاوية الشكل وأحيانا تكون مربعة وذات قاعدة مزدوجة، وهي في ذلك شبيهة بمثيلاتها التي توافرت في مواقع الحضارة السبيلية في مصر[2].

أيضا شملت الأدوات الأيبيرومغربية أجزاء المطاحن غير المنحوتة التي ربما كانت تستعمل لسحق المغرة بقصد تلوين الأجسام وكذا سحق الحبوب البرية التي كانت تدخل في غذاء الأقوام الأيبيرومغربيين.

والجدير بالذكر أن الحضارة الايبيرومغربية لا تقتصر فقط على الصناعة الحجرية بأنواعها، بل تتمثل أيضا في الصناعة العظمية وأدوات الزينة وكذا مخلفات العظام البشرية[3]. وقد استعمل أناس الحضارة الايبيرومغربية صناعة العظام في الثقب والقطع، وكانت في بداية الأمر عبارة عن عظام طويلة مشظاة طوليا. واتصفت الأدوات المحصل عليها بالطول وقلة العرض. أما القاعدة فكانت غالبا ما تأخذ شكلا دائريا أو بيضاويا [أنظر الشكل 24 ص. 86].

تجدر الإشارة إلى أن الباحثين يعترفون بأن صناعة العظام خلال فترة الحضارة الايبيرومغربية كانت قليلة جدا إذا ما قيست بمثيلتها الحجرية وأنها لم تشارك بكيفية واضحة في تحديد معالم تلك الحضارة[4] ومن بين الأدوات العظمية التي توافرت صناعتها حينذاك نشير إلى الخناجر والمقاص والدبابيس والمخارز وكذا العقود التي كانت تتخذ للزينة.

ومن جهتها تصف هـ. كامبس فبرار (H. Camps. F) صناعة العظام حينذاك بأنه كان يغلب عليها الاستقامة والطول في كثير من الأحيان مع استدارة القاعدة[5].

---

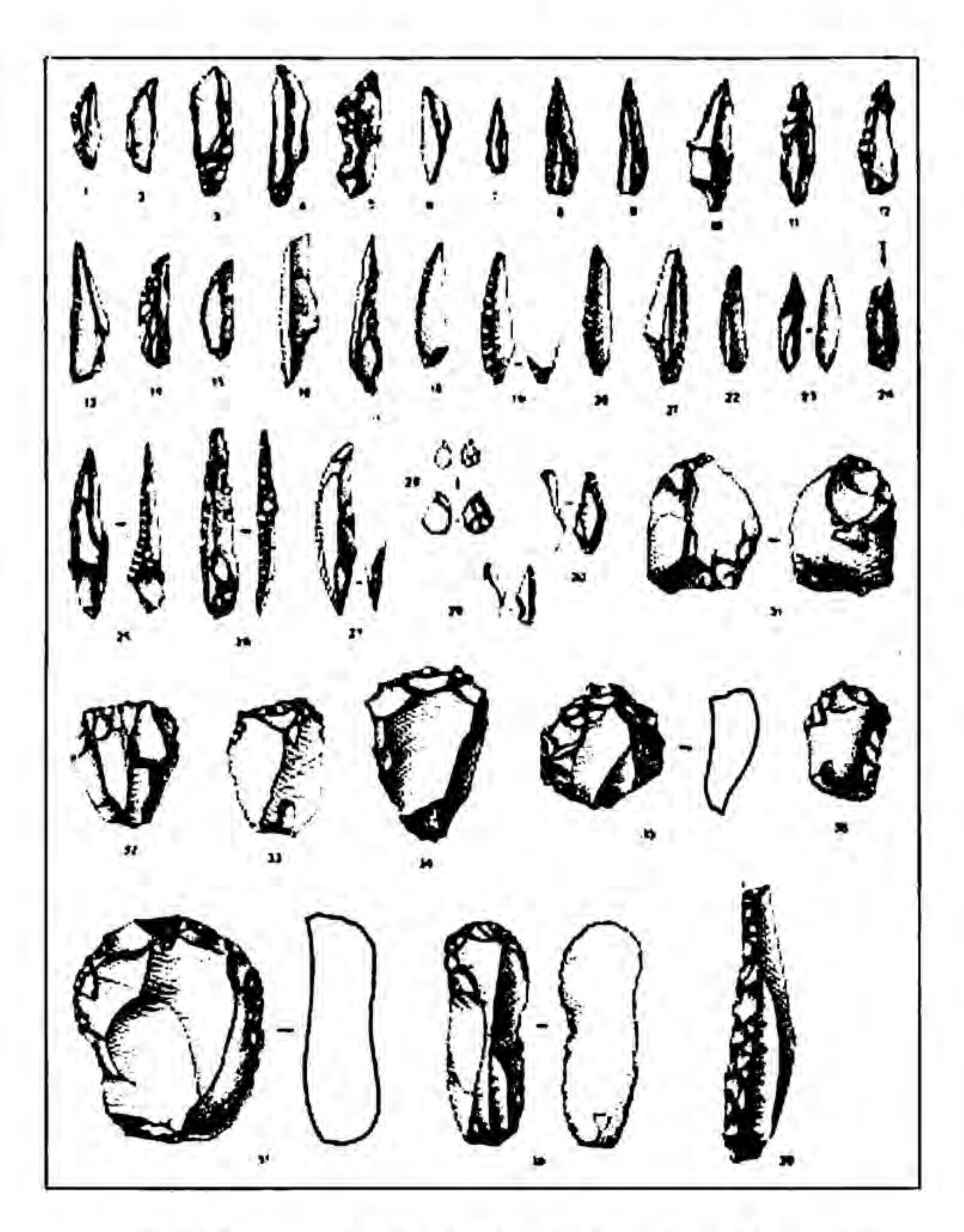
(1) - G. Camps, Les civilisations préhistoriques de l'Afrique et du Sahara, éd. doin, Paris 1974, P. 60.

(2) - H. Aliman, Préhistoire de l'Afrique, éd. Boule et cie,Paris 1955, PP. 82 – 84-

(3) - G. Camps, op. cit., P. 62.

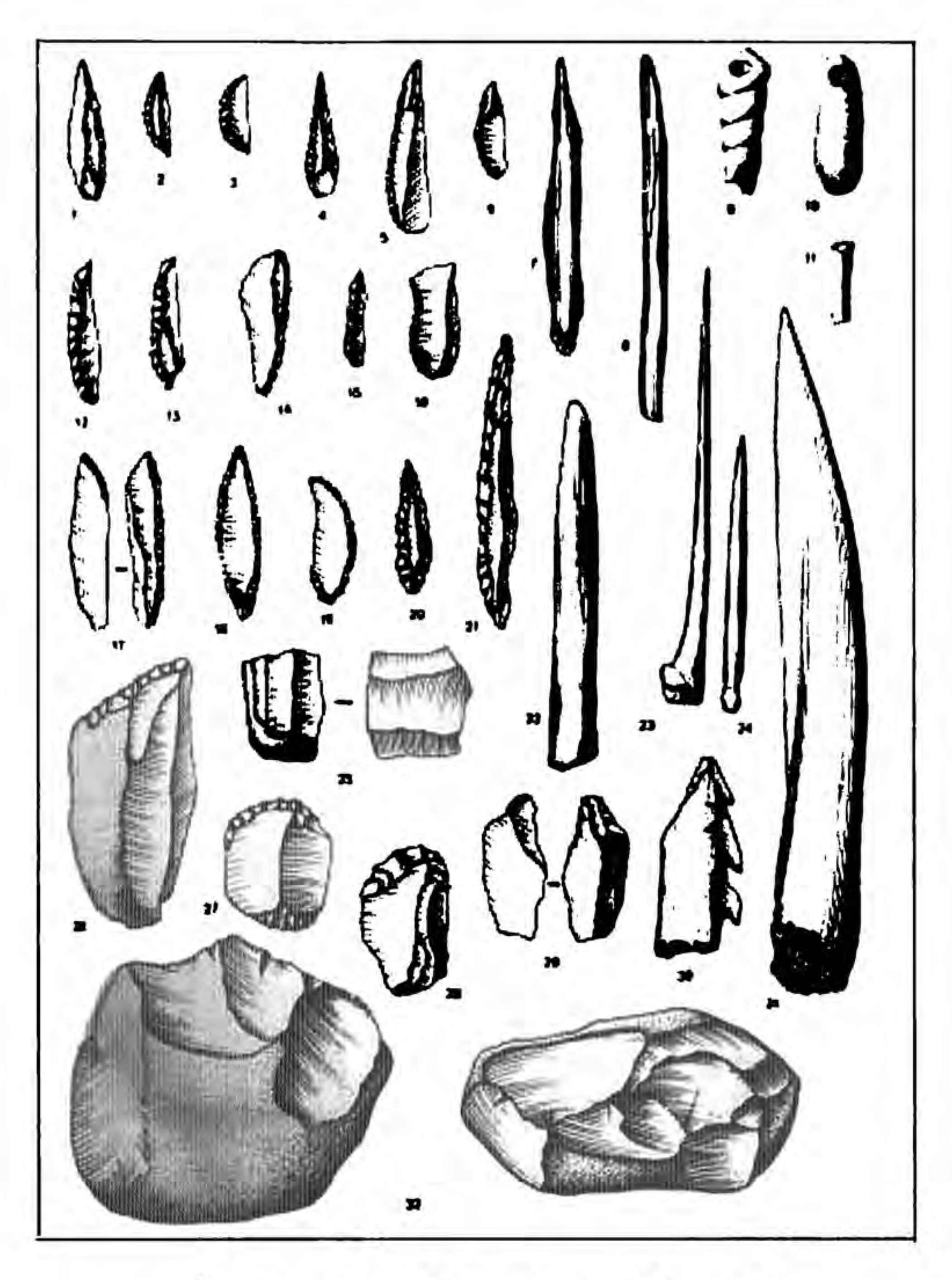
(4) - H. J. Hugot, le Sahara avant le désert, éd. des hespérides, Paris 1974, PP. 155- 156.

(5) - H. Camps Fabrer , industrie de l'os néolithique et de l'âge des métaux, centre Nation. de la recherche scientifique, Paris 1979, PP. 17 – 18.



صناعة حجرية ايبيرومغربية عثر عليها في موقع مغارة راسل جبل الشنوة بالقرب من شرشال

الشكل رقم 23



صناعة حجرية ايبيرومغربية عثر عليها في تافورالت بالمغرب الأقصى

الشكل رقم 24

2 - مراحل الحضارة الايبيرومغربية:

حاول الباحثون الذين درسوا مخلفات الحضارة الايبيرومغربية أن يقسموها وفقا لتطور الأدوات الحجرية والعظمية إلى ثلاث مراحل هامة تتمثل في المرحلة القديمة والمتوسطة والمتطورة

أ- المرحلة القديمة:

حددت بداية امتداد تاريخ هذه المرحلة حسب التقريب بحوالي منتصف الألف الرابع عشر قبل الميلاد وتواصلت بعد ذلك حتى الألف العاشرة قبل الميلاد. وهذا انطلاقا من تطابق سويات موقع تافورالت بالمغرب الأقصى. وهي بذلك سابقة لظهور الحضارة القفصية. كما تتميز بكبر حجم أدواتها التي تمثلت في المحكات وقلة الأزاميل والنصال المضروبة الظهر.

كذلك يلاحظ في هذه المرحلة ندرة الأدوات ذات المقاييس الهندسية مثل المثلث والمنحرف وبقية الأشكال الأخرى. وقد ترسبت أدوات هذه المرحلة في السويات التاسعة وحتى السادسة (9 – 6) في موقع تافورالت المشار إليه آنفا، وكذا في الطبقة السفلى في موقع راسل (Rassel) بجبل الشنوة بالقرب من شرشال وتمرهات بخليج بجاية، بالإضافة إلى موقع المقطع بالقرب من قفصة بتونس[1].

ب- المرحلة المتوسطة:

تمتد هذه المرحلة فيما بين عشرة آلاف إلى تسعة آلاف سنة قبل الميلاد، هذا وفقا لسويات تافورالت كما أشرت إلى ذلك آنفا حيث تتواجد أدوات هذه المرحلة ابتداء من السوية الخامسة وتعرف بالأدوات الميكروليتية ذات الأشكال الهندسية، يضاف إليها بعض الصناعات العظمية. وقد وجدت أدوات هذه المرحلة في كل من موقع الختزيرة ومغارة تافورالت بالمغرب الأقصى وموقعي الهامل وكوليمناطة بالجزائر، ثم وشتاتة بتونس[2].

---

(1) - C. Brahimi, initiation à la prèhistoire de l'algérie; éd, SNED, 1978; P 44

(2) - G. Camps, op. cit, P. 72.

ويلاحظ على أدوات هذه المرحلة كثرة النصال المضروبة الظهر التي بلغت نسبتها حوالي ما بين 75 و 90 % لاسيما في موقعي المويلح وتافورالت(1).

ج. المرحلة المتطورة:

تلت هذه المرحلة التي سبقتها، ومن الصعب تحديد الفترة التاريخية التي ظهرت فيها بالضبط إلا أن أدواتها المتطورة التي عثر عليها في كل من الهامل وكوليمناطة تظهر مدى التطور الذي وصلت إليه الصناعة الايبيرومغربية، لاسيما من حيث دقة صناعة نصالها المضروبة الظهر وكثرتها. وقد تداخلت أدوات هذه المرحلة المتطورة مع أدوات الحضارة القفصية المعاصرة لها. وهي بذلك تمثل أوج ما وصلت إليه الحضارة الايبيرومغربية. من حيث التطور في صناعة الأدوات الحجرية والعظمية. وقد تمثلت مواقع هذه المرحلة الأخيرة في كل من مواقع سواحل المغرب الأقصى الأطلسية وذلك مثل موقع تمارا Temara وبوسكورة (Bouskoura) وكذا الطبقات العليا من موقع الهامل ومدرجات الحويطة بالقرب من الأغواط، بالإضافة إلى موقع جيجل الغربي(2).

د– التدرج التاريخي :

لقد درست الصناعة الابيرومغربية في بلاد المغرب القديم من قبل كل من جـ. جوبير (G. Gobert) ول. بالو(L. Balout) وجـ. مورال (J. Morel) وغيرهم كثيرين. كما حددت أنماط صناعتها كذلك من قبل الباحث جـ. تيكسي (J. Tixier) الذي درس باهتمام موقع الهامل(3).

وتعتبر الحضارة الايبيرومغربية في حقيقتها حضارة ساحلية في توزيعها، غير أن ذلك لا يمنع من أنها امتدت نحو الداخل بحيث ظهرت لها مواقع في كل من كوليمناطة والهامل. وقد أرخ لأدوات الحضارة الايبيرومغربية في السوية 17 من موقع هوافتيح بليبيا بحوالي منتصف الألف الرابع عشر قبل الميلاد. واعتبر بالو هذا التاريخ مساويا لذلك الذي قدر

---

(1) - P. Pallary Découvertes préhistoriques dans le Maroc oriental (1923 – 1926), l'anth., T. XXXVII, 1927, PP. 58 – 59.

(2) - j. Bourrilly, Découvertes préhistoriques au Maroc oriental, Bull de la S.P.F, T. XII, 1915, PP. 353- 356

(3) - J. Tixier, Le gisement préhistorique d'EL- Hamel, Libyca., T. II, 1954, PP. 79 – 120.

للطبقات السفلى (11 و12) الموالية للعاترية في موقع تافورالت بالمغرب الأقصى[1].وهو ما أما الباحث الإنجليزي ماك بيرني(M. Bernier) لأن يستنتج بأنه لا يستبعد أن تكون هجرة الأقوام الحاملة للحضارة الايبيرومغربية نحو الغرب كانت قد تمت في فترة متقدمة من الطبقة 17 من موقع هوافتيح بليبيا. وقد دامت فترة الحضارة الايبيرومغربية في بلاد المغرب القديم حوالي 6 آلاف سنة، بحيث أنه منذ الألف التاسعة قبل الميلاد تظهر الأدوات القفصية وتنتشر بعد ذلك التقاليد القفصية أكثر من غيرها في منطقة بلاد المغرب القديم[2].

وعلى العموم، فإن رتابة التدرج التاريخي الخاص بالحضارة الايبيرومغربية يبدو صعب المنال وكل الذي يمكن أن يلاحظ من تطابق سوياتها في المواقع الأثرية بأنها موالية من حيث الزمن للحضارة العاترية وسابقة لصناعة العصر الحجري الحديث وتحتل مكانة متوسطة صحبة الحضارة القفصية تقريبا. وينطبق هذا الرأي على معظم مواقعها التي تشترك فيها مع القفصية وذلك مثل موقع سيدي منصور بالقرب من قفصة والحويطة غربي الأغواط وكذا كوليمناطة بتيارت حيث يلاحظ أسبقية أدوات الحضارة الايبيرومغربية للحضارة القفصية[3].

هـ - التوزيع الجغرافي:

تنتشر مواقع الحضارة الايبيرومغربية في كامل سواحل بلاد المغرب القديم تقريبا ابتداء من سواحل المحيط الأطلسي غربا وحتى برقة بليبيا شرقا باستثناء السواحل الشرقية التونسية التي تبدو منعدمة فيها تلك المواقع، فيما عدا وادي عكريت بالقرب من خليج قابس. وقد حظي المغرب الأقصى بعدة مواقع هامة نذكر منها على سبيل المثال تافورالت وقد بدا للباحثين الأثريين بعد دراسة أدواتها بأنه لا يستبعد أن تمثل بقاياها أقدم موقع أثري يمثل الحضارة الايبيرومغربية، لاسيما في سوياته (12 - 11) يضاف إلى ذلك موقع كيفان بلغوماري والحنك ثم عين الرومان وبوسكورة والخترية[4].

أما المواقع الجزائرية فتمتد من المويلح غربا حتى جبل ايدوغ بالقرب من عنابة شرقا، ومعظم مواقعها ساحلية وتلية.

---

(1) - L. Balout, préhistorique de l'Afrique, op. cit., P. 357

(2) - R. Furon, Manuel de préhistoire générale, 5ème éd. Payot, Paris 1966, PP. 262 – 285.

(3) - G. Camps, Les civilisations, op. cit., P. 67.

(4) - L. Balout, préhistoire, op, cit., P. 373.

وقد توغلت الحضارة الايبيرومغربية إلى الداخل في منطقة الوسط الجزائري حيث وجدت لها مواقع في كل من كوليمناطة بالقرب من تيارت بالهضاب العليا وكذا موقع الهامل بالقرب من بوسعادة في التخوم الصحراوية[1] . [أنظر الشكل 25 ص.91]

ومن بين أهم المواقع الجزائرية الساحلية التي تمثلت فيها صناعة الحضارة الايبيرومغربية نشير إلى موقع المويلح ورأس تنس وراسل بجبل الشنوة بالقرب من شرشال[2] ثم أفالوبوريمال وعلي باشا وتمارهات في ضواحي بجاية[3] يضاف إلى ذلك موقع جيجل الغربي وجبل ايدوغ بالقرب من عنابة[4].

وتتوافر المواقع التلية الايبيرومغربية بدورها في الجزائر في المنطقة الغابية التي كانت توفر لأناسها مصادر الغذاء كالصيد والنباتات.

---

(1) - J. Tixier, op. cit., P. 86.

(2) - H. Marchand, Faune préhistorique de la grotte du chenoua, Bull. de la soc. D'histoire pat- de l'Afrique du Nord, T. XXIII, 1932, P. 75.

(3) - A. Debruge, La station quaternaire, Ali Bachaà Bougie (Moustérien en place) Rec. des notes et mém. de la soc. Archéol. de Constantine T. XL, 1906, PP. 119 – 133.

(4) - J. Morel, Contribution aux recherches préhistoriques dans le massif de l'édough, L XX ème cong. de L'A.F.A.S., Tunis 1951 (1953) , PP. 154 – 162.



خريطة تمثل مناطق امتداد الحضارة الإيبيرومغربية و القفصية

الشكل رقم 25

ويلاحظ في هذا الصدد التقاء الحضارتين الايبيرومغربية والقفصية في منطقة التل الشرقي الجزائري بموقع مشتى العربي الذي ينسب إليه الإنسان المشتوي الذي يمثل الحضارة الايبيرومغربية في شمال إفريقيا. وهناك مواقع تلية أخرى مثل بونوارة وكاف أم التويزة[1]. يضاف إلى ما ذكرنا موقعي كوليمناطة بتيارت والهامل بالقرب من بوسعادة واللذين يمثلان المرحلة المتطورة من الحضارة الايبيرومغربية في سوياتهما العليا[2].

وتتواجد أدوات الايبيرومغربية في كل من موقع وشتاتة على الساحل الشمالي التونسي والذي يعد من بين المواقع الهامة في شمال إفريقيا. وقد وجد هناك تشابه كبير بين أدوات هذا الموقع والأدوات التي عثر عليها في مصر العليا شمال أسوان وسنشير إلى ذلك فيما بعد.

ويخلو الساحل التونسي من الأدوات الأيبيرومغربية فيما عدا موقع وادي عكريت بالقرب من خليج قابس والذي يمثل حلقة اتصال مع المواقع الليبية في كل من حجفة الضبع وهوافتيح.

وحول المواقع الليبية يشير الباحث الإنجليزي ماك برني بأنه يمكن التأريخ للطبقة 17 من موقع هوافتيح وفقا للكاربون رقم 14 بحوالي الألف الرابع عشر قبل الميلاد. ويعتقد بأن هجرة الأقوام الايبيرومغربية من الشرق إلى الغرب كانت قد تمت قبل ترسبات السوية 17 في الموقع المشار إليه[3].

وبالمقابل يذكر جـــ. جوبير وبالو بأن هناك تشابه كبير من حيث الأدوات الحجرية الايبيرومغربية بين موقع وشتاتة التونسي وحجفة الضبع الليبي. ويقترح رشيد الناضوري بناء على ذلك بأن الحضارة الأيبيرومغربية كانت قد انتقلت من المواقع الليبية إلى تونس ثم عمت بعد ذلك كامل بلاد المغرب القديم[4]. هذا إذا ثبتت صحة الفرضية القائلة بانتشار

---

(1) - J. Morel, L'outillage lithique de la station du Ref, oumtouiza dans l'est Constantinois, Libyca., (1) T. I, 1951, PP.157 – 179.

(2) - P. Cadenat, La station préhistorique du columnata, commune mixte de Tiaret .département d'Oran, Bull. de la soc. de géog. et d'archéol. D'Oran, T. XX, 1948, PP. 3 – 66.

(3) - C. B. MC. Burney, The Hawa Fteah (Cyeenaïca) and the stone age of saouth east Mediterranean, Cambridge University presse, 1967.

(4) رشيد الناضوري، المغرب الكبير ج 1، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1966، ص 112.

هذه الحضارة ابتداء من الشرق إلى الغرب، لأنه بالمقارنة بين السويات في كل من هوافتيح بليبيا وتفورالت بالمغرب الأقصى نجد أن التأريخ للموستيريين يكاد يكون متقاربا، وعليه فإن إشكالية الهجرة من الشرق إلى الغرب تبقى محل أخذ ورد.

ومن جهته يلاحظ الباحث فاربريدج (R. Farbridge) بعد دراسته لمواقع وادي الحلفاء بالسودان والتي ميزت أدواتها الميكروليتية النصال بنسبة 92.7 % بأن حضارة ذلك الموقع تعود وفقا للكاربون رقم 14 إلى حوالي 17 ألف سنة قبل الميلاد، وأنها قد هاجرت إلى الشمال بعد ذلك إلى كل من منطقة أسنا وبلانة (Ballana) بمصر العليا.

وقد حاول ف. وندورف (F. Wendorf) بعد دراسته لبقايا الحضارة الايبيرومغربية في المنطقة أن يستنتج بأنه لا يستبعد أن تكون الأقوام الايبيرومغربية قد هاجرت إلى شمال إفريقيا بعد مغادرتها لوادي الحلفاء وبلانه بمصر العليا وذلك عبر ليبيا[1].

أما فليب جيمس(Ph. James) فيلخص بعد دراسته للتشابه القائم بين المواقع المغربية في شمال إفريقيا والمصرية -السودانية بأن هناك لقاء كبير فيزيولوجي بين إنسان النوبة ومشتى العربي خلال الفترة الإيبيرومغربية[2].وهنا يمكن الرد على من يرجحون انتقال الحضارة الايبيرومغربية من شبه جزيرة ايبيريا إلى بلاد المغرب القديم خلال تلك الفترة التي كان فيها الإنسان أعزلا من كل تقنية تساعده على ركوب البحر.

ثانيا: ملامح مخلفات الحضارة القفصية:

التسمية:

عرف الباحثون الأثريون وفي مقدمتهم دي مرجان (De Morgane) سنة 1910 تلك الأدوات الميكروليتية التي عثر عليها في منطقة قفصة بالجنوب الغربي التونسي والجنوب الشرقي الجزائري المحاذي له – بالحضارة القفصية نسبة إلى مدينة قفصة التي اشتهرت بهذا الاسم منذ القدم[3].

(1) - F. Wendorf, the prehistory of nubia, T. II, Dallas, Texas, US, 1968, P. 1050.

(2) - PH. James, The nile Vally, Final paliolithic, and external Relations University , Microfilm international, Michigan U. S. A, 1983, P. 202.

(3) J. de Morgane, Les premières civilisations, le roux, Paris 1909, PP. 135 – 136.

وعلى ما يبدو، فإن القفصيين كانوا قد عاشوا في بداية الأمر في تلك المناطق السهبية، ثم امتد نشاطهم فيما بعد إلى المناطق التلية دون أن يصل إلى الساحل(*) وكانت مواقعهم قد أقيمت في الهواء الطلق وتحت الملاجئ والأماكن المحصنة بالقرب من السباخ والأودية. وقد عرفت مواقع القفصيين تلك لدى الباحثين الأثريين بالرماديات (Les Escargotières) أو الحلزونيات، وهي عبارة عن أكوام من رماد المواقد والفحم والصخور وبقايا عظام الحيوانات والإنسان في بعض الأحيان، بالإضافة إلى كميات كبيرة من مواقع وأصداف الحلزون التي تراكمت فوق بعضها لتغطى مساحات قد تمتد إلى مئات الأمتار، وقد يصل سمكها إلى خمسة أمتار(1). [أنظر الشكل 26 (أ، ب) ص.95، 96].

(*) جل الباحثين يؤكدون بأن المسافة التي تفصل المواقع القفصية على الساحل لا تقل عن 40 كلم.

(1) - R. Vaufrey, Le capsien des environs de Tébessa, Bull. de la soc. De préhist. Et d'archéol. de (4) Tébessa, T. I, 1936 – 1937, PP. 130 – 172.



– أ –

رمادية قفصية

الشكل رقم 26 (أ)



- ب -

بقايا جمجمة إنسان أم علي عثر عليه في أرضية رمادية قفصية بالقرب من تبسة

الشكل رقم 26 (ب)

ويظهر من فضلات طعام القفصيين، بأنهم كانوا يتناولون إلى جانب الحلزون لحوم الحيوانات التي كانوا يصطادونها، بالإضافة إلى النباتات البرية التي كانت تنبت في المنطقة التي يقيمون بها[1].

ومن المواقع القفصية المشهورة في تونس نشير إلى موقع المقطع النموذجي قرب مدينة قفصة والذي تمثل فيه معظم أدوات القفصية الميكروليتية بأنواعها[2].

(1) - M. Reygasse, L'escargotière de Chéria, Rec. des Notes et Mém. de la soc. Archéol. de Constantine, T. LI , 1917 – 1918, P.266

(2) - J. Gobert, El Mekta, station principe du capsien, Carthago, T. III, 1951 – 1952, PP. 35 – 41.

أما في الجزائر فقد توافرت بقايا صناعة تلك الحضارة في كل من عين الذكارة وخنقة المهاد وريلايلي بالقرب من تبسة ثم مواقع السهول العليا القسنطينية والسطيفية بالشرق الجزائري وموقعي كوليمناطة وعين كيدا بالقرب من تيارت بالغرب الجزائري.

ومن المواقع القفصية الهامة في الصحراء نشير إلى موقع وادي منقوب بالقرب من أولاد جلال ووادي سوف(1).

وقد تعزز رأي دي مورجان المشار إليه سابقا حول قفصة عندما نشر كل من جـــ. جوبير وفوفري لأبحاثهما وذلك في الخمسينات من هذا القرن حيث بدت لهما صناعة الحجارة القزمية الهندسية منتشرة في مواقع مختلفة تعود إلى القفصية(2).

ويلاحظ بأن القفصيين لم يصنعوا نصالا كثيرة مثل الايبيرومغربية وقد ركزوا في صناعتهم على الشفرات المضروبة الظهر والشظايا بكثرة، إضافة إلى المحكات والمخارز والأزاميل العادية لاسيما في الفترة القفصية النموذجية.

أيضا تميزت الصناعة القفصية العليا بالأشكال الهندسية وذلك مثل المثلثات والأشكال المنحرفة والمستقيمة بالإضافة إلى صناعة العظام المتنوعة. [أنظر الشكل 27 ص. 98].

وقد قسم الباحثون الذين درسوا بقايا الحضارة القفصية اعتمادا على الأدوات التي عثر عليها -أي الفترة التي استغرقتها- إلى مرحلتين هامتين هما:

1 - الحضارة القفصية النموذجية:

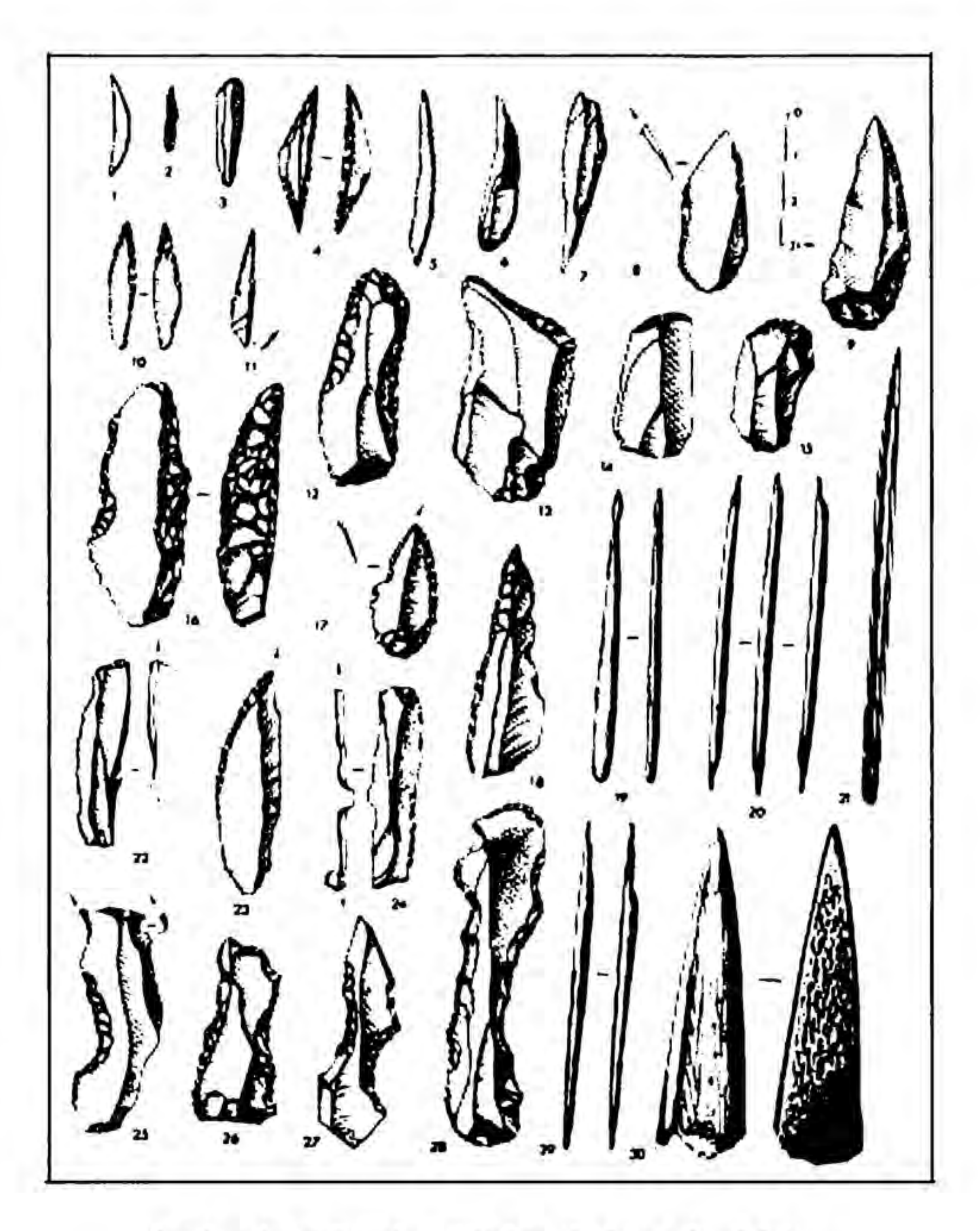
كانت الحضارة القفصية النموذجية خلال هذه المرحلة محدودة المكان بحيث لم يتجاوز اشعاعها منطقتي قفصة وتبسة وهي ممتدة في شكل نصف دائرة تشمل منطقة النمامشة مارة بجنوب الرديف وقفصة بتونس(3). [انظر الشكل 29 ص.101].

---

(1) - H. Breuil et Dr Clergean, œuf d'autruche gravé et peint et autres travaux paléolithiques du territoire des Ouled Djellal (Sahara septentrional) , l'anth., T. XLI, 1931, PP. 53 – 54.

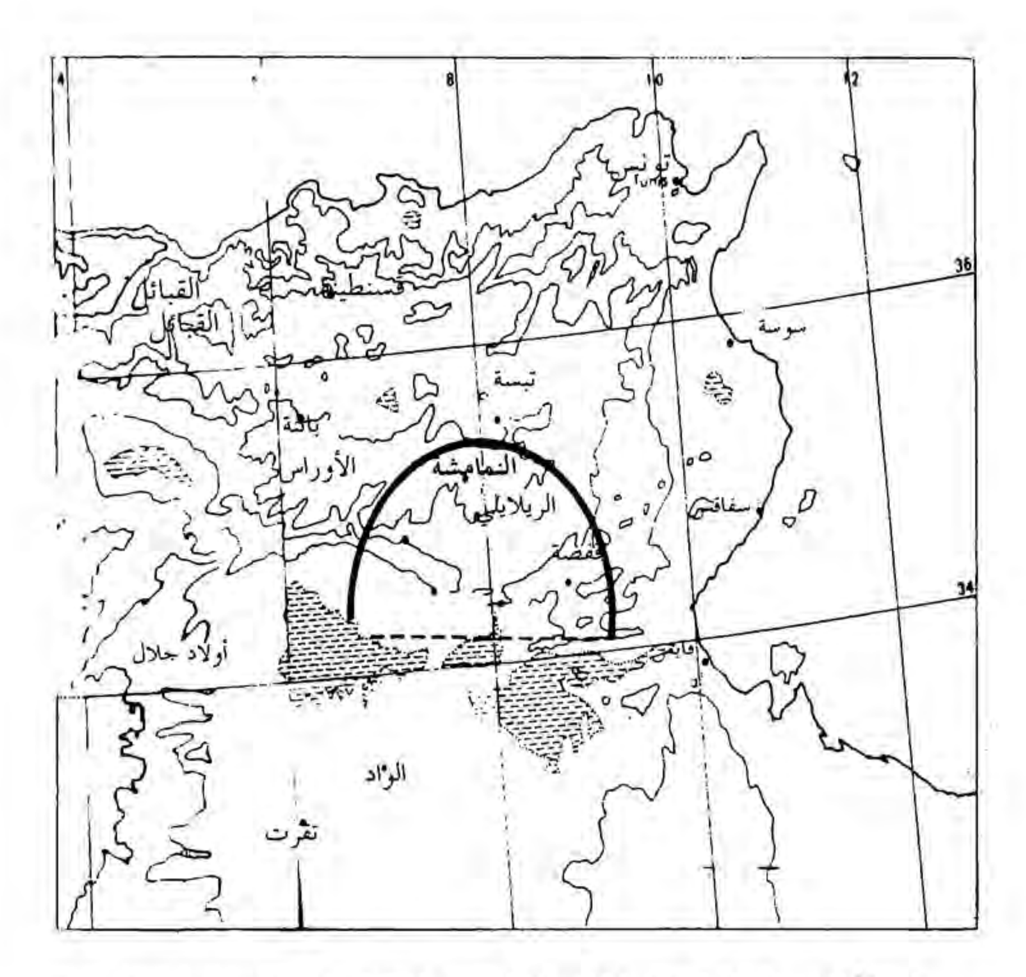
(2) - R. Vaufrey, op. cit., PP. 137 – 167.

(3) - G. Camps, Les civilisations préhist., de l'Afrique du Nord et du sahara, op. cit., P.110.



صناعة قفصية حجرية تظهر ميكروليتية عظمية ذات لمسات هندسية

الشكل رقم 27



خريطة تظهر امتداد الحضارة القفصية النموذجية تتمثل في نصف دائرة تشمل ما بين منطقة تبسة وقفصة

الشكل رقم 28

وقد اتصفت أدوات الحضارة القفصية النمودجية بالخشونة والطول وقلة التشذيب واعتبرت فقيرة من حيث الأدوات القزمية ذات اللمسات الهندسية. وتتكون معظم أدواتها من المحكات التي تصل نسبتها إلى حوالي 27 % من مواقعها. إضافة إلى النصال المضروبة

الظهر حيث تصل نسبتها هي الأخرى إلى 20 % وقد كانت شفراتها عبارة عن شظايا ونصال عريضة مزودة بحافة [أنظر الشكل 30 ص.103].

أما الصناعات العظمية العائدة إلى هذه الفترة ولو أنها قليلة، فإنها تتمثل في المخارز، وقد أرخ الكاربون رقم (C 14) لهذه الفترة النموذجية بحوالي 6650 سنة ق م[1].

1 - القفصية العليا أو الحديثة:

يغلب على أدوات هذه المرحلة الصناعة القزمية ذات الأشكال الهندسية والتي غالبا ما تصنع أدواتها من حجارة الصوان وقد تمثلت أدوات القفصية العليا في الأزاميل الدقيقة والنصال المثلثة والمستديرة وأشباه المنحرفة. وقد أشار إليها جـــ. جوبير تحت اسم الحضارة القفصية النيوليتية. ولا يتردد ج. كامبس دون أن يشير إلى أن هناك عدة ثقافات كانت قد سادت في المنطقة القفصية فيما بين الألف السابعة والخامسة كانت قد عرفت تحت اسم الحضارة القفصية العليا الأولى والثانية والثالثة. هذه الأخيرة عرفت بالمتطورة، وقد سادت خلالها الشفرات المحززة بحيث وصلت نسبتها 60 % بالإضافة إلى الأدوات الميكروليتية الهندسية. ووجدت أمثلة لها في عين الخنقة بالقرب من تبسة وذراع الماء الأبيض ومجاز الثانية، ثم عين بوشريط بالقرب من العلمة وكوليمناطة بتيارت وأقدم تاريخ لها هو 5000 سنة ق.م[2].[أنظر الشكل 31 ص. 104].

1 - التدرج التاريخي:

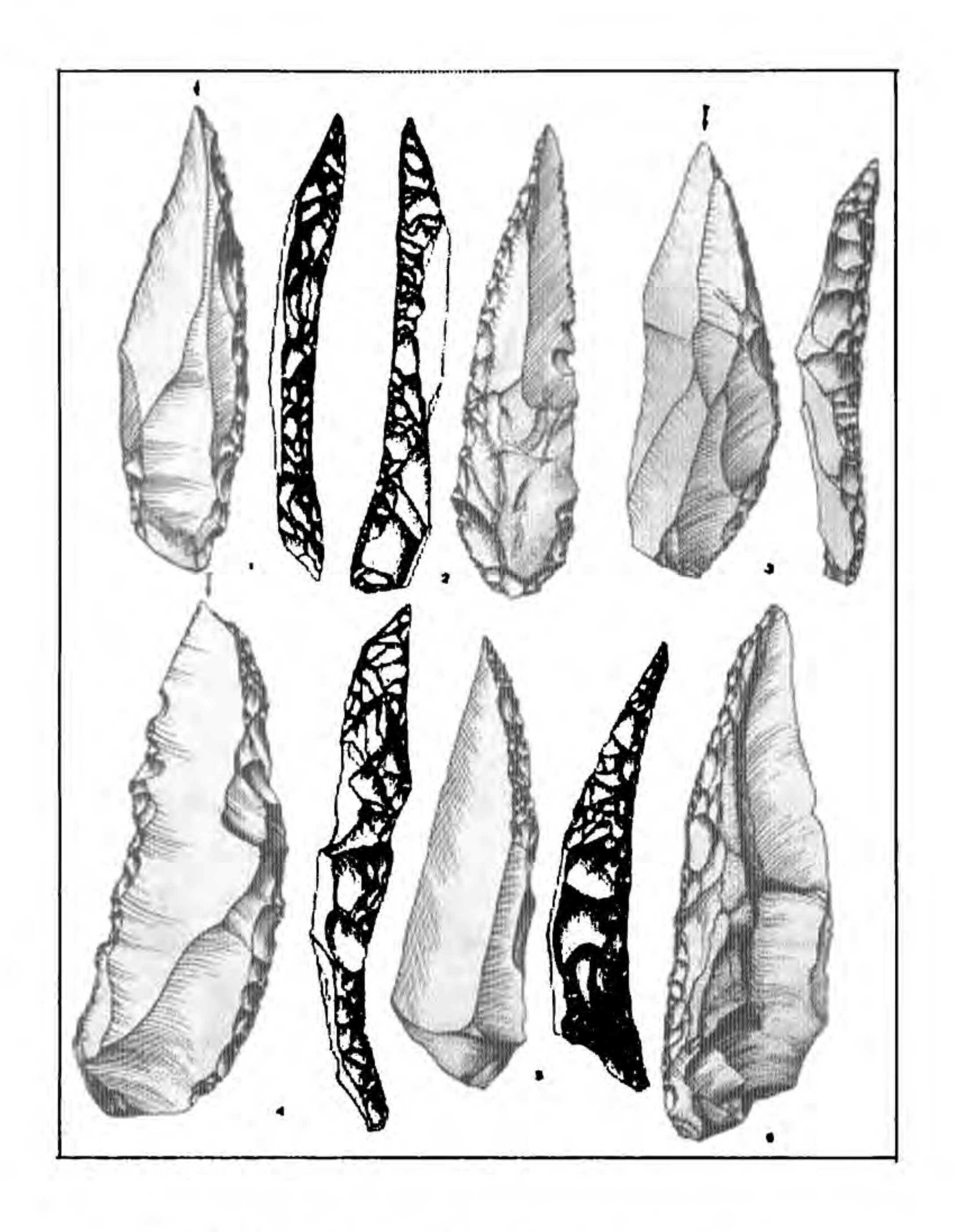
لا نستطيع أن نلتمس الامتداد التاريخي للحضارة القفصية إلا من خلال تطور أدواتها الحجرية التي استعملها الإنسان في حاجياته اليومية. وقد تم العثور على تلك الأدوات في مواقعها الأصلية في كل من الجنوب الغربي التونسي والشرق الجزائري لاسيما في منطقتها وقد حدد تاريخ أدوات الحضارة القفصية في موقع عين الناقة بالقرب من الأغواط بحوالي 7350 سنة قبل الميلاد. واستمرت الحضارة القفصية العليا بعد ذلك حتى حوالي 4390 ق.م وذلك في موقع كوليمناطة القفصي بتيارت مما أعطى فكرة للباحثين إلى أن فترة القفصية في شمال إفريقيا كانت قد استمرت أكثر من ألفي سنة[3].

---

(1) - Ibid, P. 110.

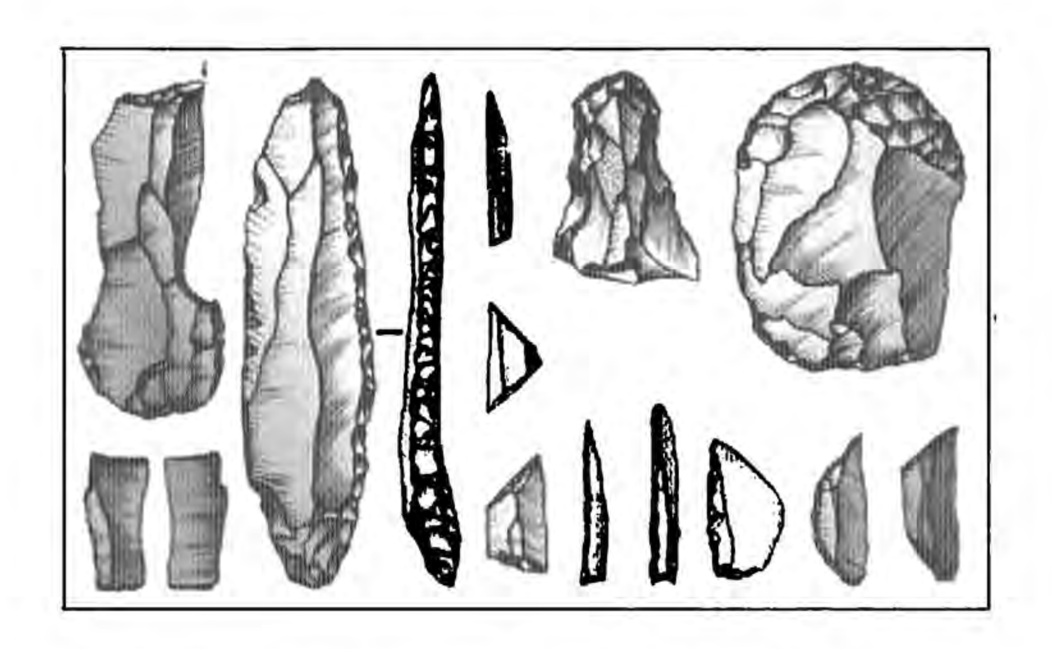
(2) - H.J. Hugot, l'Afrique préhistorique, Hatier Université Afrique 1970 , P. 30.

(3) - L. Balout, Préhistoire de l'Afrique, op. cit., P. 414.



شفرات قفصية نموذجية مضروبة الظهر عثر عليها في الشرق الجزائري

الشكل رقم 29



أدوات قفصية عليا عثر عليها في موقع أثري يعود إلى فترة ما قبل التاريخ بمنطقة النمامشة بالجزائر

الشكل رقم30

ويمكن أن نلاحظ هنا انطلاقا من الأدوات القفصية في بلاد المغرب القديم، أن القفصية النموذجية وفقا لأدواتها الخشنة والمتسمة بالطول والخلو من الأشكال الهندسية بأنها كانت أقدم في استعمالاتها من القفصية العليا.

غير أنه لا يستبعد وفقا للتوزيع الجغرافي الذي سنشير إليه فيما بعد بأن مواقع ليبيا ومصر القفصية تعودان إلى فترة متقدمة عن تلك التي حددت للمواقع المغربية الأخرى[1].

(1) - M. Burney, op. cit., P. 332.

- أرخ الكاربون رقم 14 للطبقة التي وجدت بها الأدوات القفصية بهوافتيح بليبيا بحوالي ما بين 9000 و 7000 سنة ق.م وبذلك تكون القفصية في هذا الموقع أقدم من مكانها النمودجي في المقطع بتونس.

4 – الامتداد الجغرافي:

يذهب كثير من الباحثين إلى أن الحضارة القفصية في بلاد المغرب القديم والسبيلية في مصر والنطوفية في فلسطين تعتبر كلها متعاصرة أو قريبة من بعضها من حيث التزامن. وهي أيضا معاصرة للحضارتين الأوربيتين التردنوازية والأزيلية في أوربا. وقد ذهب هؤلاء الباحثون إلى أكثر من ذلك فأشاروا إلى تأثير الحضارة القفصية في تلك الحضارات الأوربية المعاصرة لها[1].

ويلاحظ فيما يخص الامتداد الجغرافي للحضارة القفصية، إن منطقة تأثيراتها والمتمثلة في الرماديات والأدوات القزمية بنوعيها العادي والهندسي فإنها كانت قد امتدت في السهول العليا السطيفية والقسنطينية وبالذات من منطقة البيبان وبرج بوعريريج غربا حتى منطقة تبسة والمقطع بالجنوب الغربي التونسي. [أنظر الشكل 38 ص.129].

ومن جهته عثر ب. كادنة (P. Cadnat) على أدوات ذات طابع هندسي قفصي في منطقة تيارت. وقد التقطت أدوات القفصية النمودجية والعليا من منطقة وادي جدي وأولاد جلال بالتخوم الصحراوية[2]. كذلك قام ل. بالو بما يشبه عملية سبر (Sondage) في عين القطارة بالقرب من تادمايت فكانت النتيجة أن عثر على عدة أدوات ميكروليتية من بينها تلك التي تأخذ أشكالا ذات طابع هندسي مثل المثلث والمنحرف والمستطيل، مما جعل الباحث المشار إليه يتساءل عن مكانة تلك الأدوات بين ترتيب الصناعة القفصية[3].

وتجدر الإشارة إلى أن ريجاس كان بدوره قد جمع عدة أدوات من منطقة مرجومة بالصحراء. وقد وضعت في متحف باردو بالجزائر العاصمة وقد شملت محكات ونصال خشبية ذات حزوز وشفرات ذات ظهور سميكة[4].

وهي كلها تدل على مدى تأثير مرحلة الحضارة القفصية النموذجية في الصحراء وكان ل. بالو قد تحفظ على الامتداد الغربي للحضارة القفصية في الجزائر وذلك فيما يخص المنطقة السهبية والصحراوية لاسيما بعد نتائج الأبحاث التي نشرها كل من جـ. تيكسي

---

(1) - H. Breuil, l'Afrique préhistorique, Paris 1931 , PP. 61 – 122.

(2) - L. Balout, op. cit., P. 409.

(3) - Ibid., P. 411.

(4) - Dr H. Marchand, stations préhistoriques nouvelles de la région des Ouled Djellal, L'interatéro - capsien, Bull. de la S.P. F. , T. XXXVI 1939, PP. 312 – 317

في بوسعادة ود. جريبنار (D. Grébenart) في منطقة مسعد (عين الناقة) وقد اعتقد هذا الأخير أن الأدوات القفصية العليا كانت قد غطيت بطبقة عائدة إلى العصر الحجري الحديث في الموقع المشار إليه آنفا[1].

ونفس المنهج المتأني سلكه بالو أيضا فيما يخص السيمات القفصية بوادي سوف والتي أشار إليها جـــ. بوبو (J. Bobo) في الخمسينات من هذا القرن[2].

ويلاحظ أن مواقع القفصية النموذجية كانت قد تركزت في منطقة تبسة والجنوب الغربي من تونس حيث توافرت في منطقة تبسة وحدها حوالي 90 رمادية منتشرة في كامل المنطقة[3].

أما موقع المقطع القريب من قفصة بتونس فيقع على الضفة الشرقية لوادي بوياش. وقد تمثلت صناعته في الأدوات القزمية التي مثلت النصال منها نسبة 57 % بينما انخفضت نسبة السهام المثلثة إلى 15.8%.

وتجدر الإشارة إلى أن الباحث الإنجليزي ماك بيرني يشير إلى وجود آثار الحضارة القفصية في الطبقة العاشرة من موقع هوا فتيح بليبيا ويعيد تاريخها إلى ما بين 9000 و 7000 سنة ق.م وتتناقص أدواتها كلما غصنا داخل الموقع حيث توجد أدوات الحضارة الايبيرومغربية في أساسها[4].ونفس النتائج أعطتها بعثة كامبريدج وفقا لتحاليل الكاربون رقم (C 14) وذلك سنة 1955[5].

ويلاحظ بأن أدوات الحضارة القفصية الحجرية في هوافتيح بليبيا كانت قد امتزجت بالصناعة العظمية وقشور بيض النعام. وهناك فرضية تحاول أن تجد صلة تقارب أو تأثير على الأقل بين القفصيين في هوافتيح والنطوفيين في فلسطين، مما يجعلنا نعتقد بأنه كانت هناك اتصالات قديمة بين بلاد المغرب القديم والشرق تعود إلى فترة ما قبل التاريخ[6].

---

(1) G. Camps, op. cit., P. 118.

(2) - Dr. Roffo, La station capsienne de l'oued el- hamara, sud des ouled Djellal, Bull. de la S. P. F., (2) T. XXXV, 1938, PP. 288 – 290.

(3) - E.J Gobert, Les escargotières, le mot et la chose, IIIème Congr. De la féd. Des soc. Savantes de l'Afrique du nord, Constantine T. II, P. 639.

(4) - G. B. M. Mac. Burney, op. cit., P.333.

(5) - Ibid., P. 332.

(6) - E. Vignard, une nouvelle industrie lithique, le sebilien, Bull. de la S. P. F., T. XXV, 1928, PP. 200- 240



أسهم تمثل اتجاه المؤثرات الحضارية في بلاد المغرب القديم، خلال العصر الحجري الحديث

الشكل رقم 31

الفصل الرابع

الملامح الحضارية للعصر الحجري الحديث

1 - الملامح التقنية.

- المناخ وتأثيراته.

أ. العصر الحجري ذو السمات الصحراوية – سودانية.

ب. العصر الحجر ي ذو الملامح القفصية.

ج. العصر الحجري ذو المظاهر البحر متوسطية

د. تقنية الصناعة الحجرية.

2 - الملامح الفكرية

- الرسوم الصخرية

أ. بدأ الاهتمام بالرسوم الصخرية.

ب. النطاق الجغرافي للرسوم الصخرية.

ج. المواضيع التي تناولتها الرسوم.

د. الطرق المتبعة في تنفيذ الرسم.

هـ. الجانب الكرونولوجي.

3 - الملامح الاقتصادية.

أ. الجمع والالتقاط.

ب. استئناس الحيوانات وتدجين الزراعة.

الملامح الحضارية للعصر الحجري الحديث

1 - الملامح التقنية:

– المناخ وتأثيراته:

لقد أظهرت تحليلات ترسبات المواد العضوية التي التقطت من عدة مواقع أثرية عائدة إلى ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم أوضاع الطقس التي كانت سائدة خلال الألف السابعة قبل الميلاد، بحيث أبانت تلك المؤشرات، بأن المناخ الرطب هو الذي كان يسود المنطقة مما جعل الثروة النباتية والغابية تغطي كامل المناطق الجبلية[1]. وقد استمرت تلك الأشجار الغابية تغطي جبال الهوجار والتاسيلي وذلك حتى الألف الثالثة قبل الميلاد على أقل تقدير وهي الفترة التي بدأ الجفاف فيها ينتاب المنطقة الصحراوية[2].

وعلى هذا الأساس، فإنه قبل بداية فترة الجفاف التي انتابت المنطقة المشار إليها، كانت الشروط الطبيعية ملائمة لبداية التجمعات الحضارية مثلها في ذلك مثل بلاد ما بين النهرين ومصر وغيرهما من مناطق العالم التي عرفت ظهور المستقرات البشرية منذ بداية العصر الحجري الحديث.

ومن جهة أخرى يلاحظ أنه بانتهاء العصر الحجري القديم الأعلى وبداية الحديث تكون البشرية قد طوت عصر البلايستوسين بفتراته الأربعة الباردة والمتجمدة في أروبا والدافئة الممطرة في الشرق القديم وشمال إفريقيا. وقد جاءت بعد ذلك فترة الهولوسين التي أتاحت المجال لإنسان العصر الحجري الحديث أن يقود ثورة إنتاج الطعام التي عرفتها الإنسانية حينذاك[3].

ويلاحظ أنه من بين مميزات العصر الحجري الحديث في شمال إفريقيا نشير إلى انتقال الإنسان من حياة الصيد والجمع والالتقاط التي بدأ يمارسها منذ الفترة القفصية إلى الاستقرار النسبي، ثم الارتباط بالأرض وحدها ومزاولة الرعي والزراعة الموسمية[4]. [أنظر الشكل 32 (أ، ب) ص.111، 112].

---

(1) - H. J. Hugot, Le Sahara avant le désert, éd. des Hespérides, 1974, PP. 83 – 86.

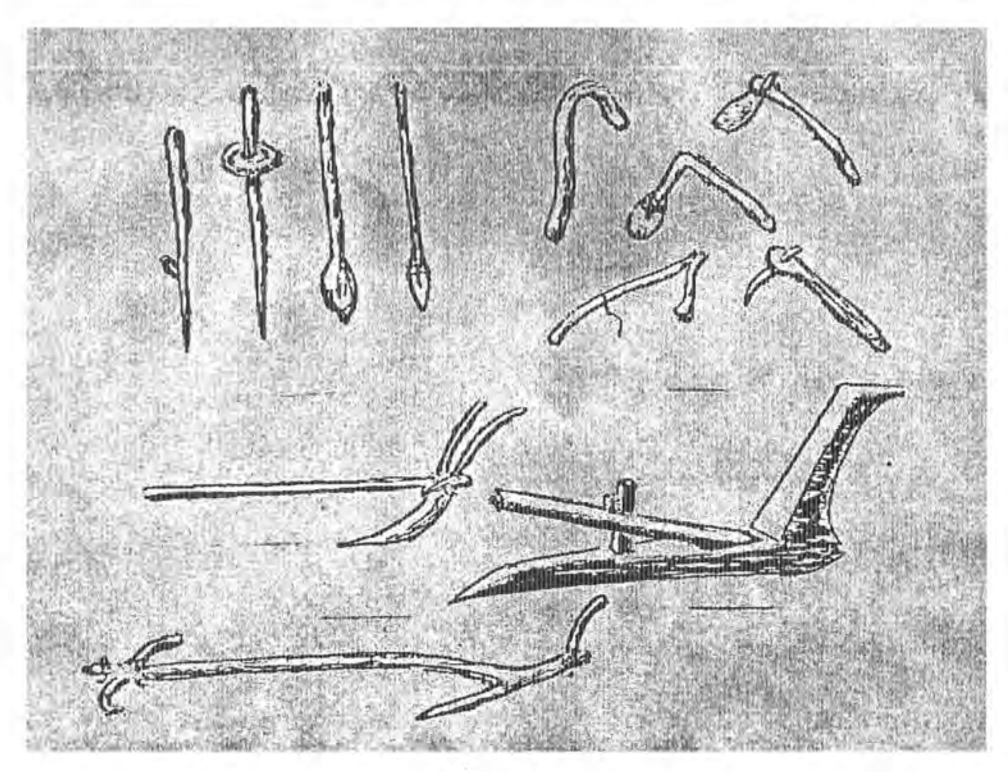
(2) - Ibid, 83.

(3) - L. Balout, préhistoire de l'Afrique du nord…, P. 81.

(4) رشيد الناضوري، المغرب الكبير، الجزء الأول، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1966، ص. 124.

وهكذا يلاحظ استقرار بعض الجماعات البشرية منذ ذلك الحين على أطراف الأنهار وحول العيون والآبار والواحات ثم الشطوط والبحيرات. وقد ساعدهم على ذلك ميول المناخ إلى الأمثل الذي يمتد تاريخه من 5500 ق.م حتى منتصف الألف الثالثة ق.م على وجه التقريب(1).

وبالمقارنة يمكن أن نشير إلى أن بداية العصر الحجري الحديث في بلاد الشرق القديم يمكن أن تعود إلى حوالي منتصف الألف السادسة ق.م وتستمر حتى منتصف الألف الرابعة حيث يليها بعد ذلك العصر النحاسي، وما قبل الأسرات.



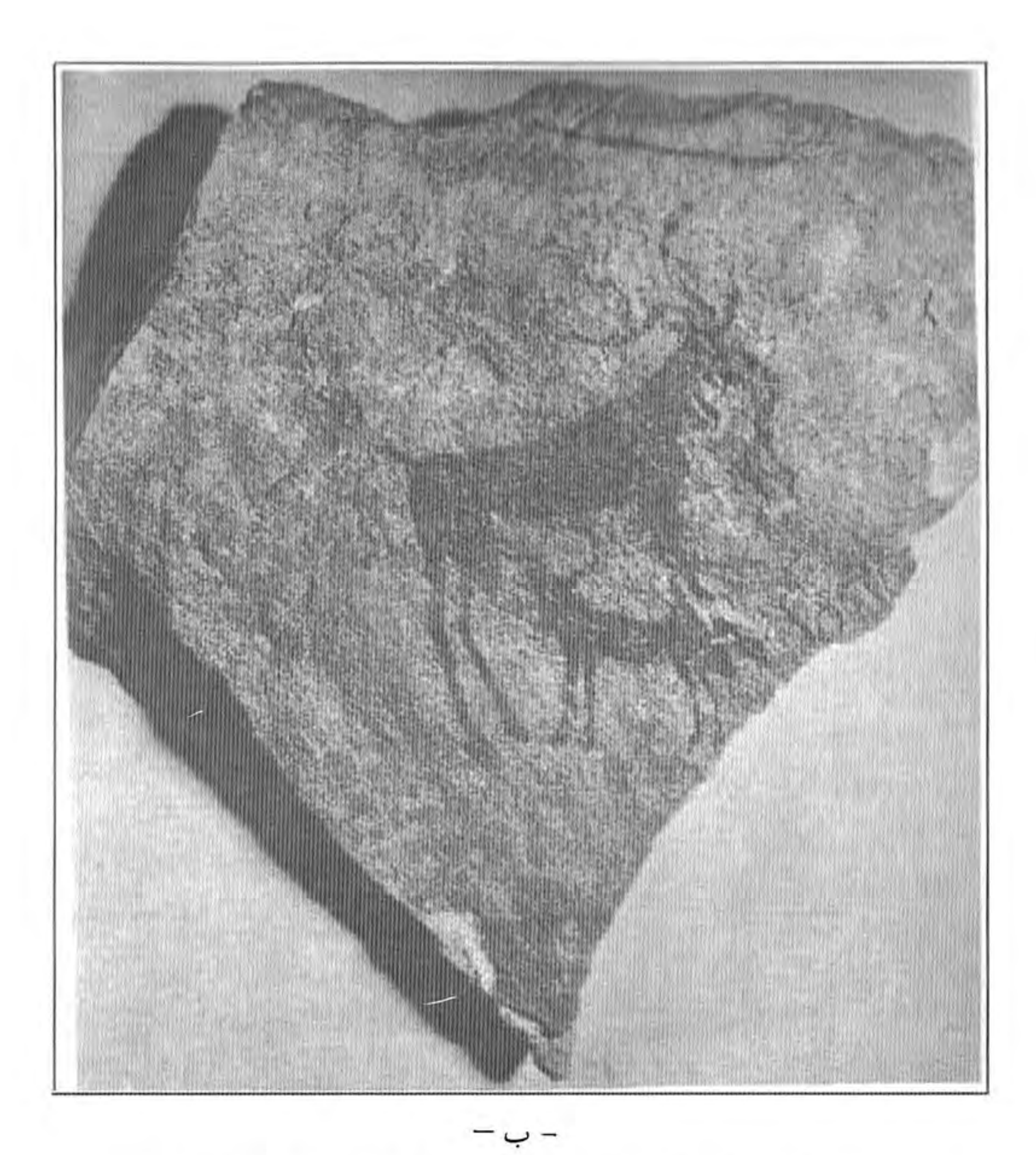
- أ -

معاول وأدوات زراعة بدائية استعملها الإنسان عند تدجينه للزراعة

الشكل رقم 32 (أ)

---

(1) - Sandford (K. S), Palaéolithic Man and the nile Valley in apper and Middle Egypt, the universty of Chicago, (5) oriental industrie Publication, vol. XVIII, 1934, PP. 125 – 126.



– ب –

عنزة ترضع ابنها عثر على رسمها في موقع أمقيد بالصحراء الجزائرية

الشكل رقم 32 (ب)

أما في بلاد المغرب القديم، فالأمر يختلف على ذلك من حيث يبدأ العصر الحجري الحديث منذ الألف الخامسة ق.م ويستمر حتى نهاية الألف الثانية ق.م تقريبا[1].

وقد يسمح خط التزامن التاريخي أن نذهب بعيدا فنتساءل عن موقع الصحراء في هذه التركيبة الكرونولوجية! أو ليس من الممكن أن تكون هي المهد الأول لأناس النيوليتي الذين صنعوا الفخار الذي يحمل التقاليد الصحراوية – السودانية[2].

ورغم اختلاف وجهات نظر الباحثين في الأدوات الحضارية الخاصة بالعصر الحجري الحديث، فإن جميع المصادر تتفق على تدرج الإنسان في استعمال الصناعة الحجرية. ووفقا لذلك يمكن أن نلخص أدوات العصر الحجري الحديث في المكاشط المصقولة والمصنوعة في غالب الأحيان من الظران أو حجر الكوارتز وكذا النصال الدقيقة والسهام ذات الحد الواحد.

هذا بالإضافة إلى المثاقب والأزاميل ثم المطاحن وغيرها من الأدوات الأخرى التي كان يستعين بها الإنسان في حياته اليومية.

أما الصناعة العظمية فقد تمثلت في الإبر والدبابيس والمناخز والخناجر والقطع الأخرى التي كانت تستعمل في صقل الحجارة والخشب.

يضاف إلى ذلك القطع الصغيرة التي كانت تتخذ كحلي أو تمائم سحرية[3]، والجدير بالذكر أن التغيير الذي حصل في الحياة الإنسانية خلال هذه الفترة لم يكن يمر بالسرعة والرتابة اللتين نتوقعهما. بل كانت الأمور تسير ببطيئة استفاد منها الإنسان بكل التجارب التي كانت تصادفه في حياته. ولذلك فإنه قد يكون من الخطأ أن نحدد بدقة الجوانب الاقتصادية التي يعايشها الإنسان حينذاك فنشير إلى أنه انتقل من الجمع والالتقاط إلى حياة إنتاج الطعام في فترة معينة وفي مكان محدد بالذات. ذلك لأن حياة الجمع والالتقاط قد امتدت عند بعض الشعوب حتى وقت متأخر[4].

---

(1) رشيد الناضوري، المرجع السابق ص. 125.

(2) - H. J. Hugot, op. cit., P. 137.

(3) - H. F. Camps, Matière et Art mobilier dans la préhistoire Nord- Africaine et Saharienne, éd. Arts et métiers, graphi., Paris 1966, P. 18.

(4) - G. Camps, Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara..., P. 218.

وهنا يحق لنا أن نتساءل عن مدى ربط حياة الاستقرار النسبي عند الإنسان القديم. ماذا نعني بمصطلح الاستقرار! هل يعني التحكم في سبل الحياة الاقتصادية البدائية وتسخيرها لاحتياجاته اليومية ؟ أم أنه يعني فقط بالنسبة للإنسان القديم الانتقال من الجمع والالتقاط وبداية تأسيس النواة الأولى لحياة التمدن التي تتمثل في الاكتشاف التلقائي للزراعة؟

للإجابة عن التساؤل الآنف الذكر يتوجب علينا تسليط الضوء على موضوعين هامين في الحياة الإنسانية حينذاك يتمثلان في اكتشاف الزراعة واستئناس الحيوانات. غير أنه قبل الإشارة إلى هذين الموضوعين، لابد من أخذ المواقع الجغرافية للمنطقة المغاربية بعين الاعتبار، واستنادا إلى رأي المؤرخ الفرنسي ل. بالوا (L. Balout) فإن منطقة شمال إفريقيا خلال العصر الحجري الحديث كانت مقسمة جغرافيا إلى قسمين هامين هما:

أ شمال إفريقيا الحقة أو ما يعرف في وقتنا الحاضر ببلاد "المغرب القديم ".

ب منطقة الصحراء الواقعة جنوب الأطلس الصحراوي والتي تعتبر امتداد للصحراء الكبرى الإفريقية ولا يفصلها عن شبه الجزيرة العربية إلا مسطحات مياه البحر الأحمر[1].

أما عن الفروق التاريخية المرتبطة بالمصادر المادية التي عثر عليها مبعثرة في المنطقة، فإنه يمكن تقسيمها انطلاقا من الجنوب نحو الشمال إلى:

أ. العصر الحجري ذو السمات الصحراوية – سودانية وتمثله المواقع الصحراوية (أمكني) والسودانية، والمقصود بالسودانية هنا هو نسبة إلى أصحاب البشرة الزنجية[2]. [أنظر الشكل 33 ص. 116].

ب. العصر الحجري ذو السيمات القفصية ويتركز في جنوب غربي تونس وشرقي الجزائر دون الاقتراب من الساحل – وتمتد آثاره حتى المحيط الأطلسي عبر التخوم الصحراوية.

---

(1) - L. Balout, op. cit., P. 76.

(2) حاول بعض الباحثين وعلى رأسهم كامبس أن يقسموا سكان إفريقيا إلى سكان بيض ينتمون إلى الجنس البحر المتوسط وإلى سكان سود يحشرون امتدادا لإفريقيا جنوب الصحراء ولذلك حاولوا في كتاباتهم أن يستعينوا بمصطلح سوداني ويوظفوه للإطلاق على من له شرة سمراء قانية.

ج. العصر الحجري ذو المظاهر البحر متوسطية والتلية وعلى مايبدو من تسميته فإنه يشمل البحر المتوسط والمنطقة التلية الموالية له. [أنظر الشكل 50 ص 167].

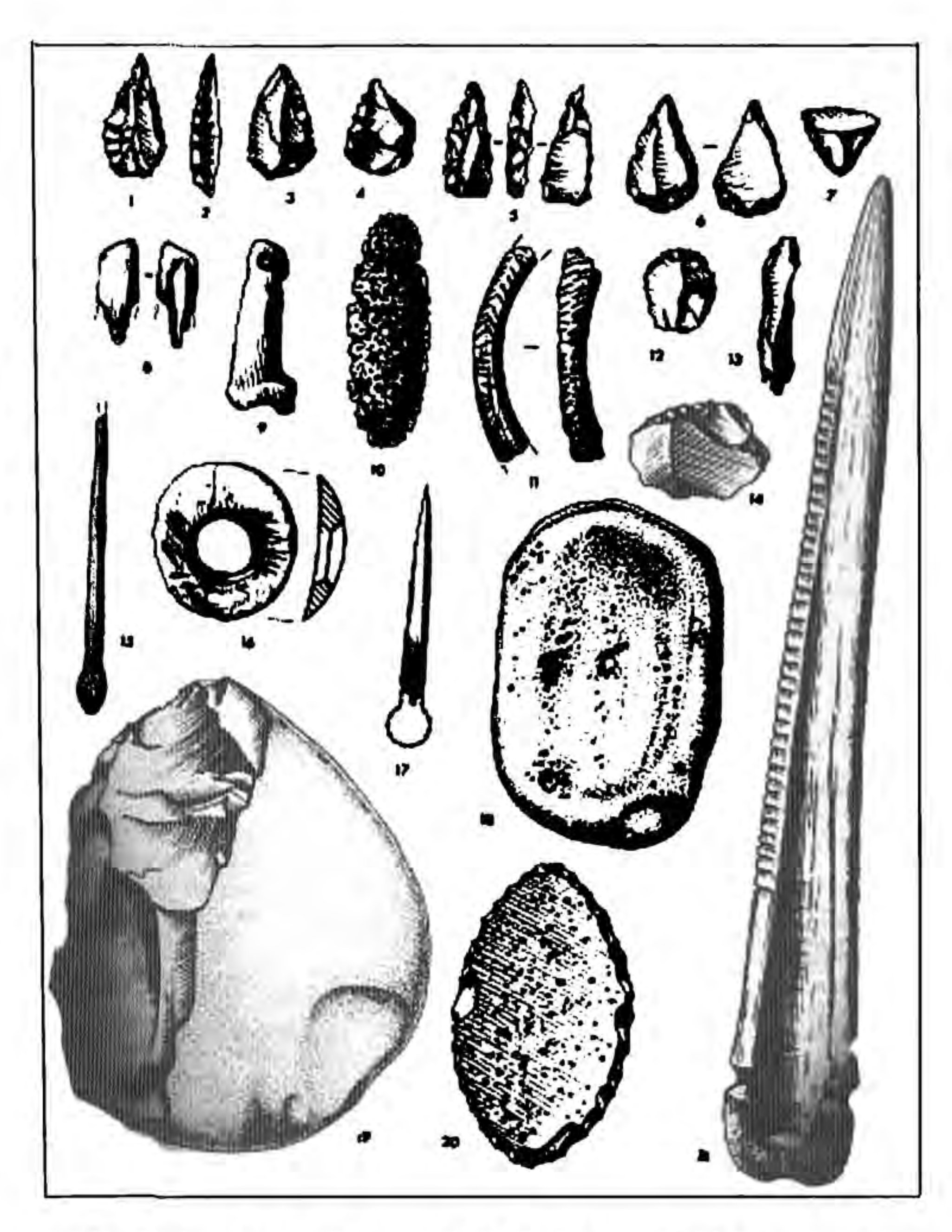
ومهما يكن، فإن التقييم الذي سبقت الإشارة إليه يبقى تقريبيا فقط. ذلك لأنه يمكن أن تتوافر أدوات كل عصر في مجال العصر الذي يليه أو يكون سابقا عليه، مما يدعونا إلى القول بأن السيمات الحضارية متداخلة ولا يمكن ضبطها في تلك الفترة لا تاريخيا ولا حتى جغرافيا. ويمكن أن نفصل القول على الشكل الآتي:

أ- العصر النيوليتي ذو السيمات الصحراوية- السودانية:

وفقا للدراسات والتنقيبات الأثرية التي أجريت في المناطق الصحراوية –سودانية والخاصة بفترة النيوليتي، فإن أدوات هذه المرحلة كانت قد اكتشفت في أعماق الصحراء. وقد كانت في بداية الأمر تأخذ مصطلح النيوليتي ذي التقاليد السودانية على اعتبار أن الأدوات الأولى لهذا النيوليتي كانت قد التقطت من مواقع محاذية للنيل وذلك بالقرب من منطقة الخرطوم بالسودان(موقع شهيناب).[أنظر الشكل 34 (أ، ب) ص.117، 118].

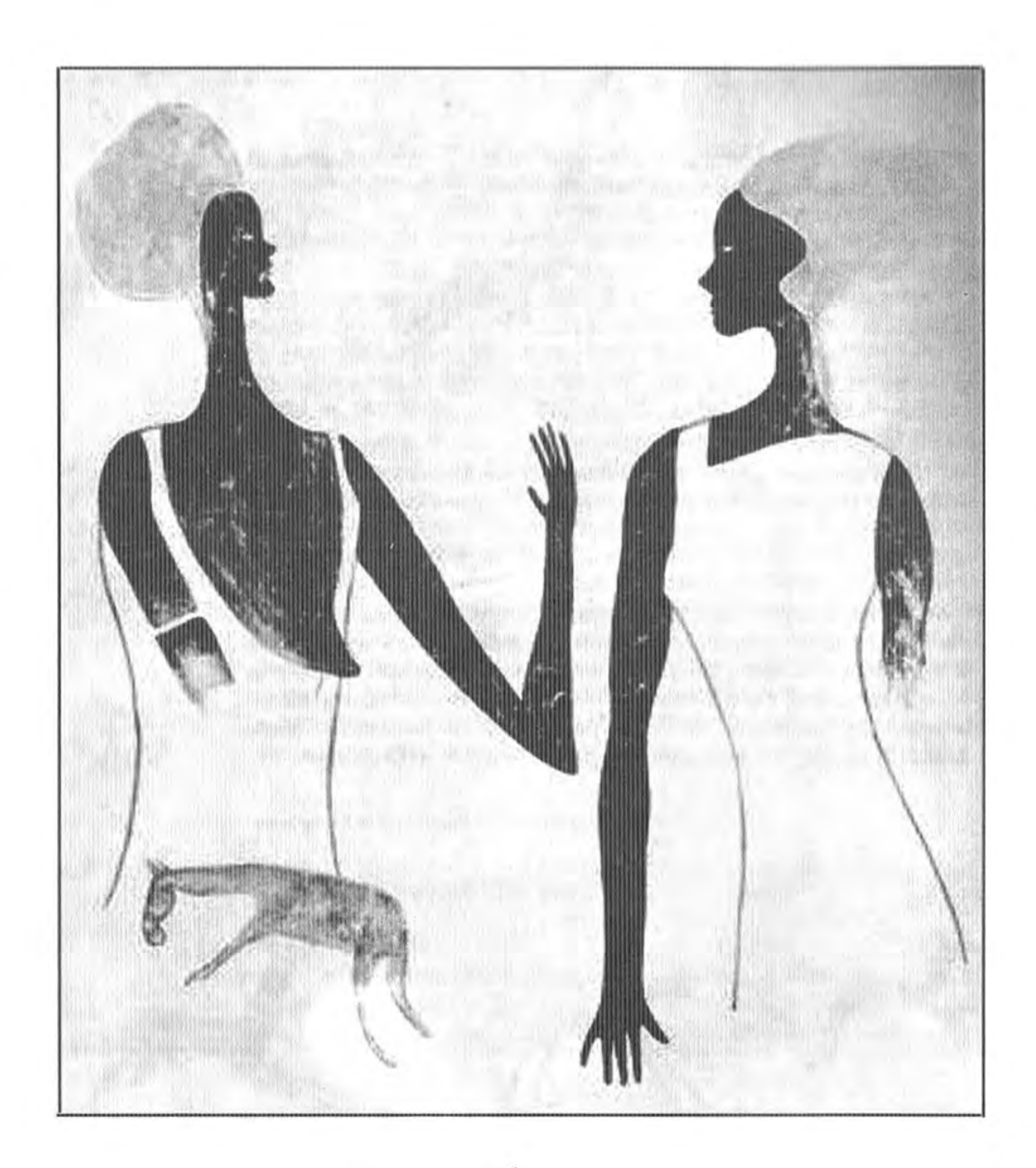
غير أن المصطلح السابق لم يعمر طويلا، لاسيما بعد الاكتشافات الأثرية والدراسات التي قادها بعض الباحثين الأوربيين وعلى رأسهم جــ. كامبس الذي درس بعمق مواقع كل من أمكني بالهوجار وتيويوين (Tiououigne) بأدرار ومواقع أخرى بالقرب من تامنغاست وقد خلص كامبس من دراسته تلك بأن مناخ الصحراء كان يختلف على ماهو عليه في الوقت الحالي حيث كانت تتوفر فيها شبكة من المياه تتمثل في بعض البحيرات المغلقة وجريان بعض الأودية مثل وادي تفاسيت الذي يتجه نحو الجنوب ووادي الساورة في الشمال الغربي وكذا وادي إغرغار الذي يتجه نحو الشمال الشرقي ومن تم فإنه لا يستبعد أن يكون الاستقرار في المواقع الصحراوية قد تم خلال الألف السابعة قبل الميلاد، لاسيما في موقع أمكني الذي اعتبرت أدواته الأثرية سابقة للمواقع السودانية أو على الأقل معاصرة لها في بداية الاستقرار بها وهذا ما يبرر إعطاء المصطلح الحديث "الصحراوي – سوداني"[1].

(1) - G. Camps, op. cit., PP. 218 – 226.



صناعة حجرية عظمية نيوليتية تمثل النطاق الصحراوي السوداني عثر عليها في موقع أمكني بالصحراء الجزائرية وهي عائدة إلى الألف السادسة قبل الميلاد.

الشكل رقم 33



– أ –

لوحة تمثل سيدتين تظهران ملامح العصر الحجري الحديث ذو السيمات الصحراوية السودانية عثر عليها في جبارين

الشكل رقم 34 (أ)

- ب -

رقصة إيقاعية وجدت مرسومة على واجهات كهوف جبارين بالصحراء الجزائرية

الشكل رقم 34 (ب)

وهناك عنصر لا يستهان به في إعطاء الأهمية لموقع امكني تمثلت في وجود الفخار بكثرة في السويات الأكثر قدما في هذا الموقع. وقد تمثل فخار أمكنى في الأواني الكبيرة الحجم والبسيطة الصنع التي وصل قطرها حتى 60 سم. وفي غالب الأحيان فإن الأواني في أمكنى كانت خالية من العنق والمقابض والكثير منها كان يشبه حبة القرع[1] [أنظرالشكل 35 (أ،ب) ص.120، 121].

وعلى العموم، فإن تنقيبات أمكنى التي أجراها كامبس كانت قد كشفت للعيان ثلاثة قبور تشتمل كل واحدة منها على جثة آدمية[2]، وعلى ما يبدو من بقايا تلك الجثث، فإن الطابع الزنجي لأصحابها لا غبار عليه وهو مؤشر من مؤشرات النيوليتي الصحراوي سوداني الذي قدر تاريخه بالألف السابعة والسادسة قبل الميلاد[3].

ويلاحظ بأنه من بين خصائص النيوليتي الصحراوي الافتقار إلى الصناعة الحجرية، كذلك اتصفت أدواته الحجرية بالرداءة، ذلك لأنها اعتمدت في معظم صناعتها على الحجارة البركانية مثل البازلت والكوارتز. ويظهر ذلك واضحا في رؤوس السهام والصناعة الميكروليتية.

ومن المواقع النيوليتية الصحراوية الأخرى نشير إلى موقع عبد العظيم الذي حدد مكانه بأقصى جنوب القرن الغربي الكبير على ضفة وادي الساورة ويرجع الفضل في اكتشافه إلى الباحث ريجاس (M. Reygasse) يضاف إلى ذلك موقع رمادية رقان التي بلغ سمكها حوالي 5 أمتار.

أما موقع تبلبالة الذي يوجد غربي الساورة، فإن رؤوس سهامه تقترب في مواصفاتها من تلك التي اكتشفت في المواقع المصرية المعاصرة لها[4].

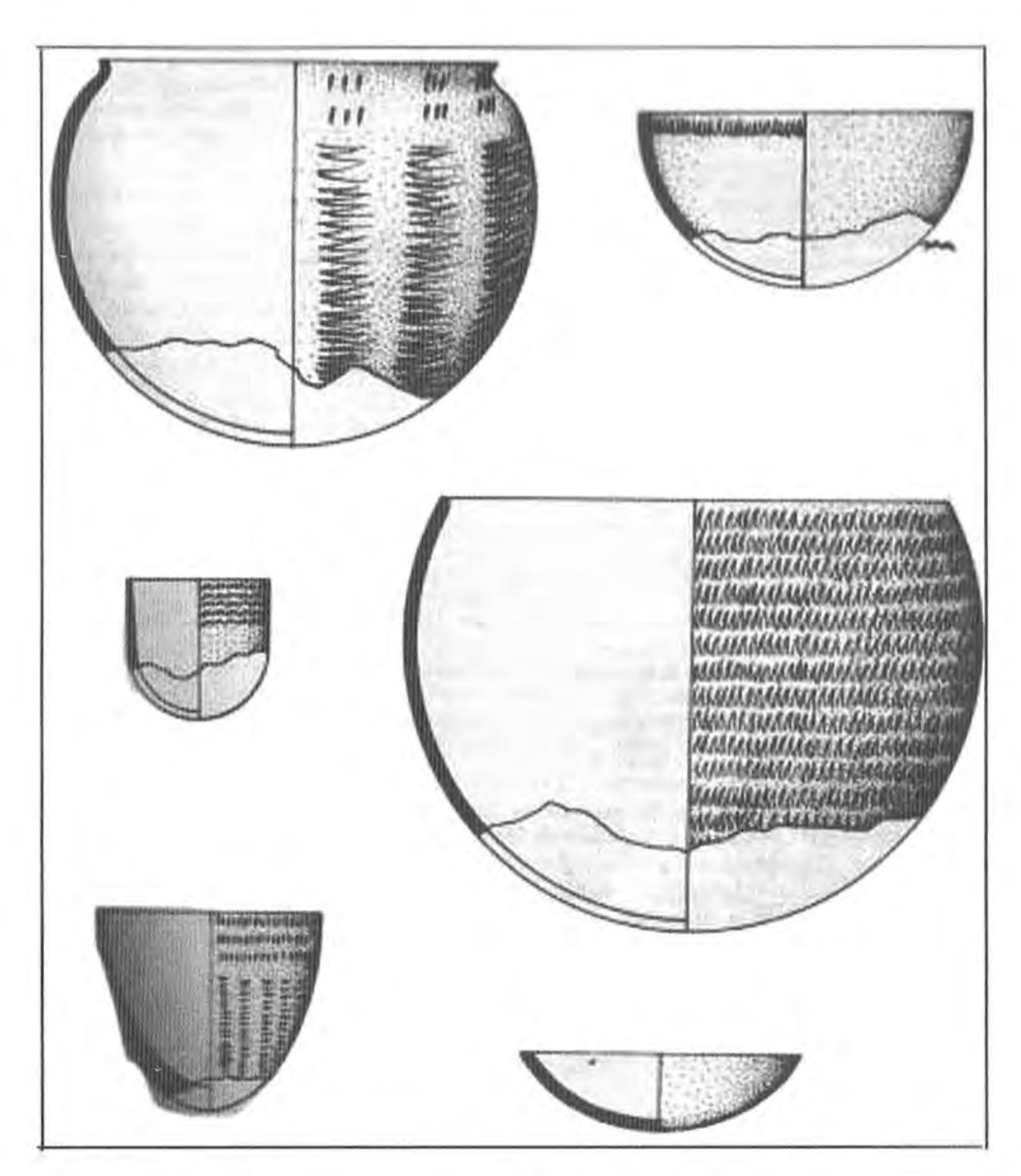
---

(1) - Ibid, P. 224.

(2) - Mauny ® Catalogue des restes osseux humains préhistoriques trouvés dans l'ouest africain, Bull. de l'int. Français de l'Afrique noire, Paris 1961, PP. 388- 410.

(3) - M. C. Chamla, Les populations anciennes du Sahara et des régions limitrophes, éd. Arts., 1968, PP. 98 – 99.

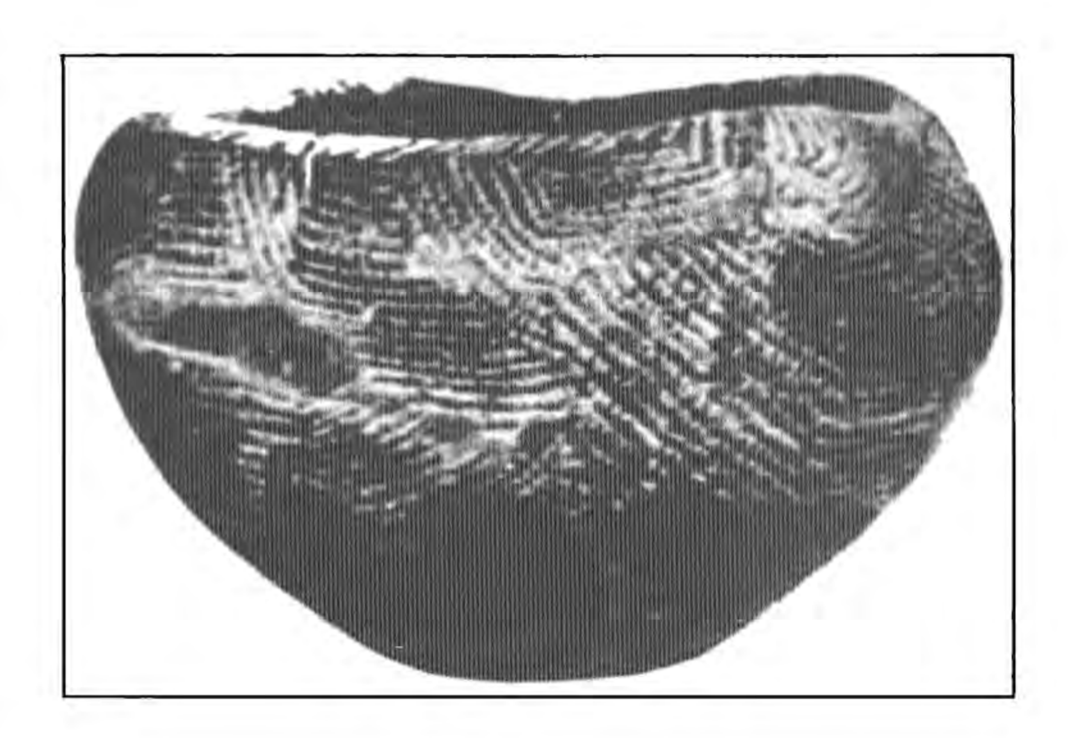
(4) - M. Reygasse, Etude sur une station ancienne du néolithique découverte à Abd- el-Adhim, rec. des Not. et mém. de la soc- archéol. De Constantine N° 55, PP. 217 – 236.



- أ -

نماذج لأشكال فخار أمكني الذي يظهر عليه تقليد صناعة السلال عثر عليه بمنطقة أمكني بالصحراء الجزائرية

الشكل رقم 35 (أ)



- ب -

فخار قلد فيه الصانع السلال وتمت زخرفته بواسطة الضغط على العجينة قبل أن تجف

الشكل رقم 35 (ب)

ومن جهته يشير فورلامي (Foure lamy) في أعماله الأثرية التي خصصها لمواقع العرق الشرقي الكبير، بأن السيمات العامة لأدوات تلك المواقع كانت تتمثل في أدوات حجرية مصقولة قزمية لا يتجاوز طول بعضها 3 سم وبعض الفخاريات المزخرفة وقشور بيض النعام[1]. [أنظر الشكل 36 (أ) ص.123].

وغالبا ما كانت الفخاريات الصحراوية- سودانية تحمل على ظهرها زخرفة تمت إما بواسطة أصابع اليد أو بمسحة المشط، ثم عن طريق جر الحبل، وفي بعض الأحيان تأخذ شكل خطوط متموجة تحتل وسط ظهر الآنية الفخارية. [أنظر الشكل 36 (ب) ص. 124].

---

(1) أم الخير العقون: العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال إفريقيا رسالة ماجستير في التاريخ القديم، كلية الآداب جامعة الإسكندرية 1988 ص.44 (لم تطبع بعد).

ومهما يكن من أمر، فإن النيوليتي الصحراوي سوداني كان يغطي مساحة صحراوية واسعة تتخللها مظاهر متعددة للأدوات الأثرية مما يجعل ضبط العامل الزمني غير سهل.

كما أن قلة التنقيبات الأثرية فيها، واتصاف أدواتها الحجرية بالقلة أحيانا وضعف المستوى التقني أحيانا أخرى جعل الباحثين يترددون في كثير من الأحيان في أحكامهم التي تهدف إلى تصنيف تلك المواقع وإعطائها ما تستحقه من الدراسة.

وعلى ما يبدو، فإنه من موريطانيا غربا وحتى ضفاف النيل شرقا رغم وحدة المناخ، فإن الحياة النباتية والحيوانية تبدو في بعض الأحيان مختلفة أثناء فترة النيوليتي الصحراوي – سوداني ولذلك فإن التسمية الثقافية هي الأخرى لم تستطع أن تتوحد أو تتشابه على الأقل في تلك المنطقة الشاسعة.

غير أن ما يمكن أن يعتبر لا غبار عليه هو وحدة سكان المنطقة من حيث لون البشرة التي تغلب عليها السمرة القانية في كثير من الأحيان. سواء أكان ذلك في منطقة الصحراء الوسطى والغربية والشرقية(1).

كما يلاحظ أن رداءة الصناعة الحجرية فيما عدا بعض المواقع مثل تلمس بموريطانيا وتبلبالة بالجزائر.

ولا يجب أن نغض النظر عن دور المواقع الليبية (برقة) والسودانية (شهيناب) بالقرب من الخرطوم على الضفة الشرقية لنهر النيل، وكذا مواقع الفيوم والبداري بمصر العليا – في تصدر صنع أدوات هذه الفترة من العصر الحجري ذو السيمات الصحرواية – السودانية، لاسيما فيما يخص تقنيات الصناعة الحجرية الميكروليتية وكذا صناعة الفخار والمحاولات الأولى لتدجين الزراعة واستئناس الحيوانات(2).

ب- العصر النيوليتي ذو الملامح القفصية:

تمتد المنطقة النيوليتية ذات السيمات القفصية فيما بين منطقة البحر المتوسط النيوليتية شمالا والمناطق ذات التقاليد الصحراوية سودانية في الجنوب، ويبدو أن النطاقات الثلاث المشار إليها تمتد في شكل أحزمة تتجه من الشرق إلى الغرب تتقارب أحيانا وتبتعد أخرى، وفي كثير من الأحيان تكون متداخلة.

---

(1) - M. C. Chamla, op. cit. PP. 112 – 178.

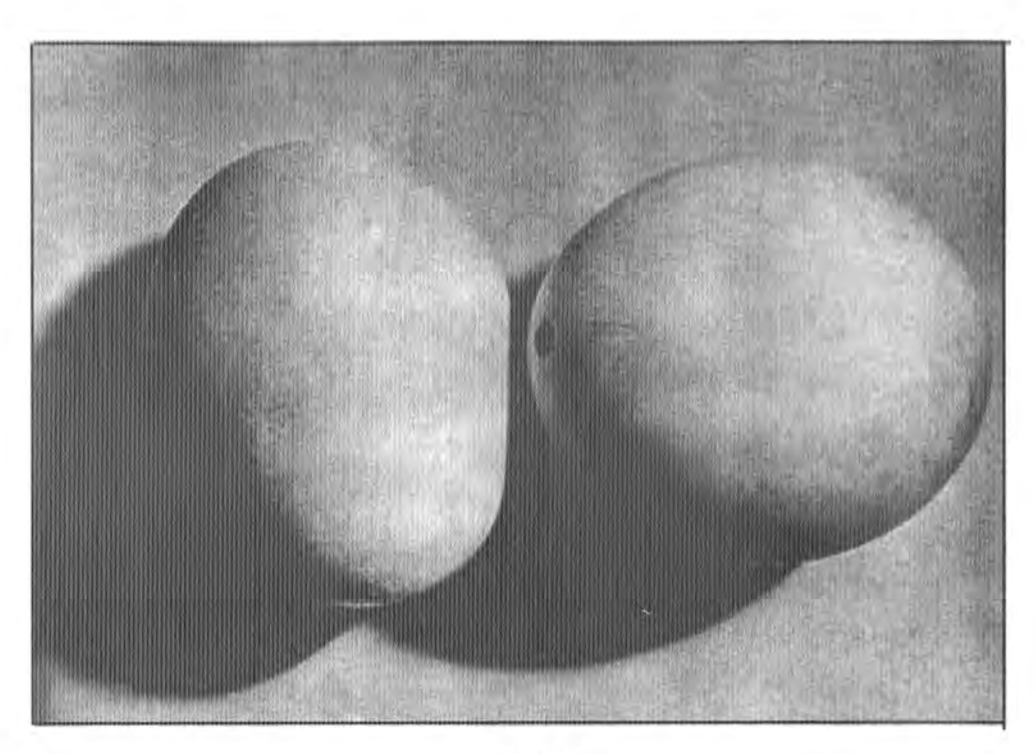
(2) مصطفى عبد العليم، دراسة في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية بنغازي 1966، ص ص. 8 –9.



- أ -

يظهر لنا الشكل أعلاه زخرفة قشور بيض النعام العائدة إلى العصر الحجري الحديث

الشكل رقم 36 (أ)



- ب -

بيضتا نعام استعملتا كآنيتين لحمل السوائل بعد أن استهلك ما بداخلهما. وفي كثير من الأحيان مارس الإنسان البدائي الرسم على واجهة بيض النعام

الشكل رقم 36 (ب)

وقد لخص الباحث فوفري السيمات القفصية بالنسبة للعصر الحجري الحديث بأنها تتمثل في تلك الصناعة الحجرية التي تتميز بخلوها التام من الأدوات القفصية النموذجية، وخاصة المذنبات الكبيرة والمطاحن والأزاميل ذات الزاوية[1]. كذلك تميز العصر الحجري الحديث ذو السيمات القفصية برؤوس السهام المصقولة والمفرطحة وكذا الفؤوس المصقولة والشفرات الدقيقة، بالإضافة إلى استخدام الفخار.

---

(1) - R. Vaufrey, Le néolithique de Tradition capsienne des environs de Mostaganem, Bull. de la soc. de géographie et d'archéo., d'Oran, 1938, N° 59, PP. 123- 131.

وقد وجهت عدة انتقادات لمصطلح النيوليتي ذي التقاليد القفصية وذلك من قبل عدة باحثين نذكر منهم جوبير وبالوا وهيجو ثم كامبس وروبي، وذلك على أساس أن تلك الأدوات المشار إليها هي ذات لمسات نيوليتية بحتة أكثر منها قفصية ومن ثم يجب تخليصها من المصطلح القفصي[1].

وتنفرد المنطقة النيوليتية ذات التقاليد القفصية بأنها تمتد من جنوب غربي تونس شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا بحيث تتوزع مواقعها في معظم السهول العليا والهضاب الممتدة شمال التخوم الصحراوية، ولذلك فإن مواقعها تظهر في كل من شمال ليبيا وجنوب غربي تونس في منطقة قفصة وشرقي الجزائر، ثم منطقة ورقلة بالوسط الجزائري (أولاد مية). وقد حدد عمر أدوات هذا الموقع الأخير بحوالي (4720 – 4200 ق.م).

أما مواقع الصحراء الشمالية الغربية ذات الملامح القفصية فتمثل حاسي مندة ووادي الزقاق الذي أرخ لأدواته بحوالي 5700 ق.م[2].

وقد كشفت دراسة مظاهر القفصية العليا من حيث الصناعة الحجرية عدة سيمات قريبة من النيوليتي مما دفع بالباحثين إلى القول بأن الانتقال من القفصية إلى النيوليتي متداخل ولا يمكن الفصل فيه إلا عن طريق تتبع تطور التقنية الحجرية الجديدة التي تدرس صناعة الأدوات الحجرية دون أن تدخل عليها أية تعديلات، وهذا ما عناه فوفري سنة 1933 بمصطلح كان يشمل مظهرا من مظاهر الصناعة النيوليتية التي ظهرت في بلاد المغرب القديم وشمال الصحراء[3].

بناء على ما سبق، تبدو التحولات خلال الفترة الأولى من النيوليتي ذي التقاليد القفصية كانت غير واضحة، وليس غريبا حينئذ أن تظهر بصمات مؤشرات النيوليتي في الطبقات العليا من الرمادية القفصية، وقد ظهر ذلك واضحا في رماديات كل من تبسة ومجاز الأولى بالقرب من سطيف بالجزائر والرديف بتونس.

---

(1) - G. Camps, Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara, P. 281.

(2) محمد سحنوني، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1990، ص 131.

(3) - R. Vaufery, op. cit., P. 126:

كما ظهرت أيضا معالم النيوليتي ذو التقاليد القفصية في السويات السفلى من موقع خنقة سي محمد الطاهر بالأوراس والتي تعود تاريخ أدواتها الحجرية إلى حوالي 4580 ق.م [.أنظر الشكل رقم 37 (أ، ب) ص.127، 128].

أما السويات العليا فيها فتعود إلى الألف الثالثة وهي نيوليتية بحتة، ونفس الشيء يقال في موقع جبل الفرطاس بالأوراس. وعلى هذا الأساس فإنه يمكن أن نفرق في النيوليتي ذي الملامـــح القفصية بين شيئين اثنين:

أولهما النيوليتي الذي يحمل بصمات صحراوية وهو غني من حيث الأدوات الحجرية الدقيقة، غير أنه يعاني نقصا في البقايا الفخارية، وثانيها النيوليتي الذي يحمل اللمسات الأطلسية نسبة إلى جبال الأطلس الصحراوية والذي يربط بفن الرسوم الصخرية المتوافرة هناك(1).

وفيما يخص السهول العليا لبلاد المغرب الشرقية، فإن النيوليتي فيها قد بدأ متأخرا بحيث تعود إلى حوالي الألفين الخامسة والرابعة قبل الميلاد وهو بذلك متأخر عن ظهوره في المناطق الصحراوية التي تعود بدايته فيها إلى حوالي الألف السادسة قبل الميلاد.

وعلى أية حال، فإن النيوليتي ذو التقاليد القفصية حتى ولو كان في الصحراء فإنه يبدو أكثر حداثة من بقايا النيوليتي الصحراوي السوداني المتوافر في الجنوب منه(2).

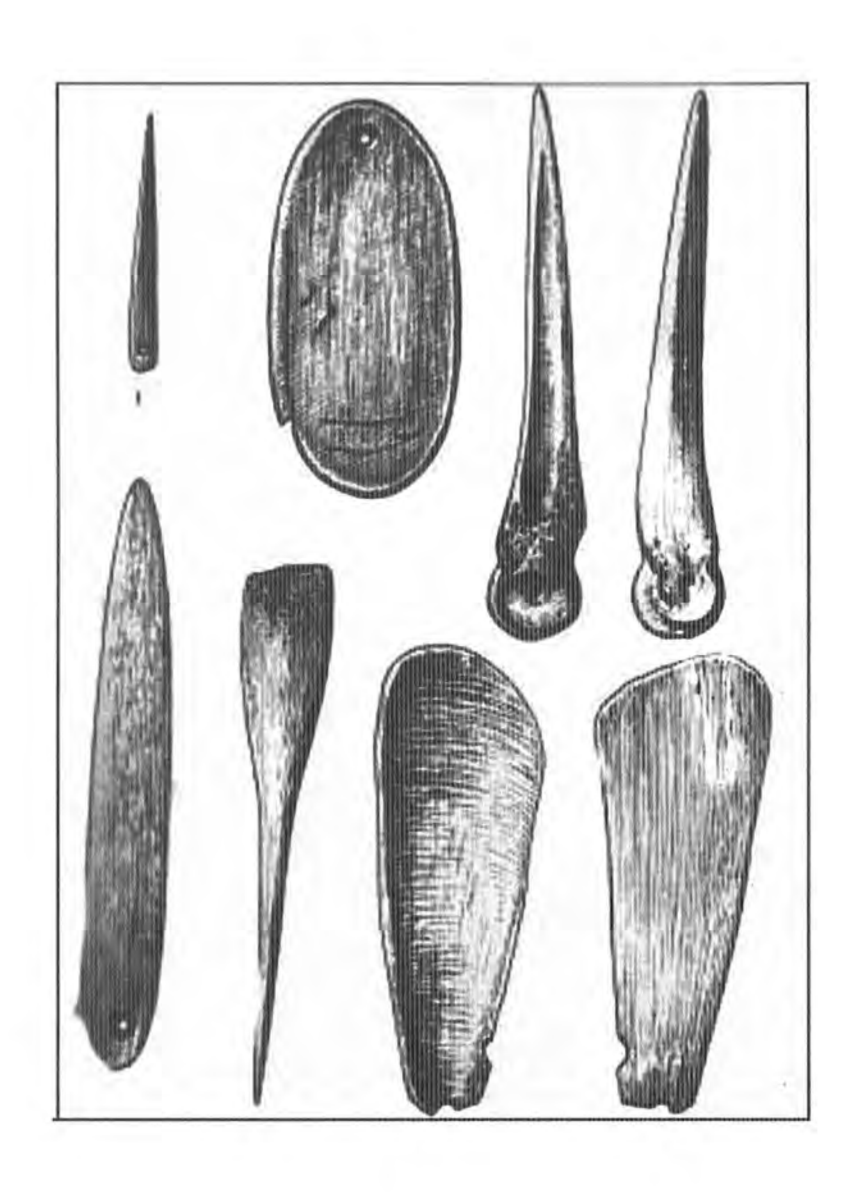
وتجدر الإشارة إلى أن بعض الباحثين يرون بأنه ليس من اللائق التمادي في إطلاق مصطلح النيوليتي ذي التقاليد القفصية على بقايا الحضارة النيوليتية الباكرة مادامت البصمات القفصية في كثير من الأحيان غير مؤكدة وغير محددة في المواقع الأثرية المنتمية لتلك الفترة

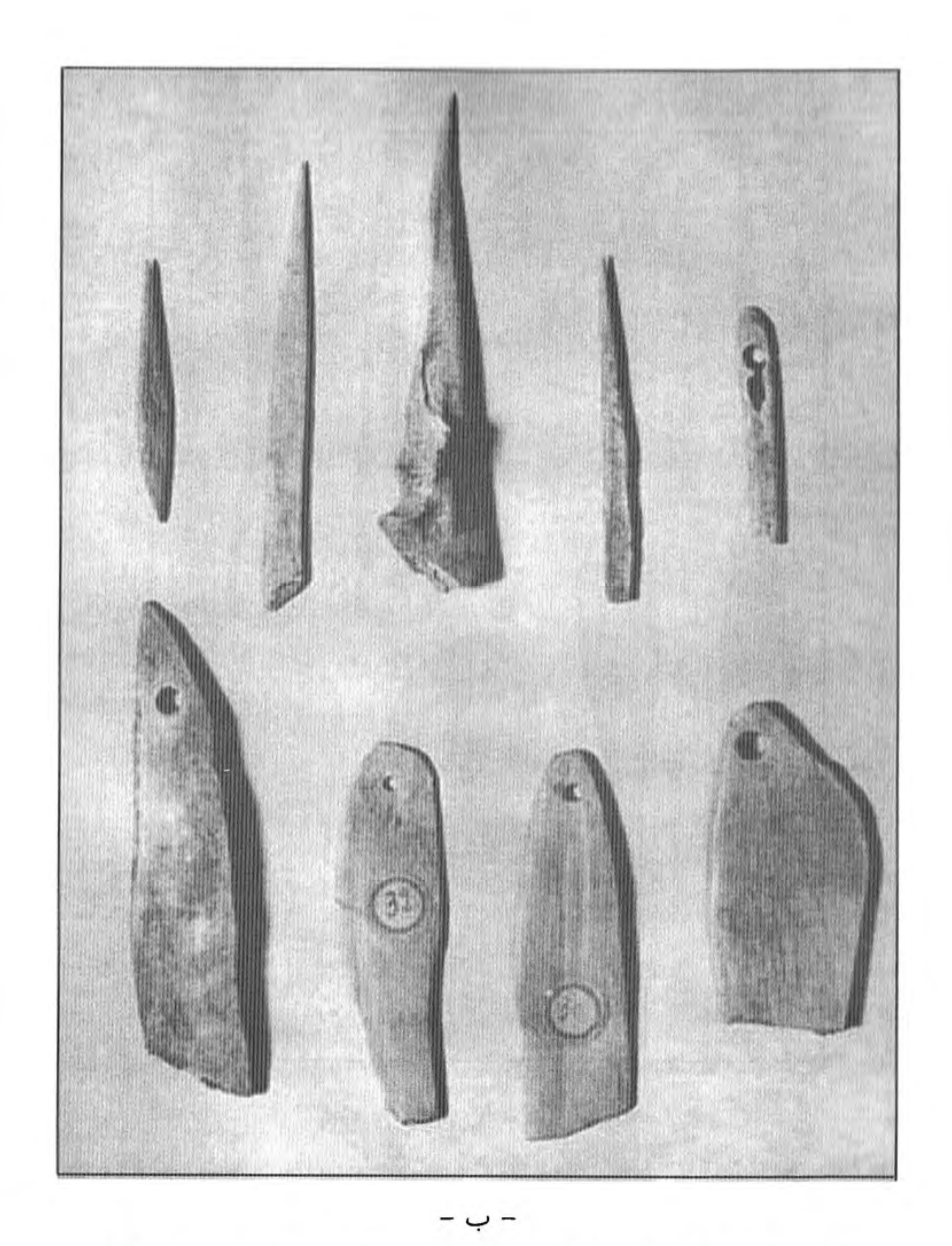
بفضل فريق آخر من الباحثين تم إعطاء تسمية جغرافية شبيهة بتلك التي اقترحها جـــ. كامبس والمتمثلة في إطلاق النيوليتي المتوسطي على شمال بلاد المغرب القديم والنيوليتي الصحراوي سوداني على المنطقة الواقعة جنوب الأطلس الصحراوي والممتدة حتى السودان. ويـــبقى النطـــاق الثالث الـــواقع وسط الاثنين فلا مانع إذا أن يطلق عليه

---

(1) - C. Robert, Le gisement du Damous et de la place dans le néol. De Tradition capsienne, éd. Arts et métiers graphiques, Paris 1968, PP 115 – 116.

(2) - G. Camps, op. cit., P. 220.





- ب -

رؤوس سهام وأدوات مثقوبة عثر عليها بكهف بوزباوين بالقرب من عين مليلة

الشكل رقم 37 (ب)



خريطة تمثل مناطق امتداد الحضارة القفصية

الشكل رقم 38

بالنيوليتي القفصي وذلك نظرا لوجود مواقعه النموذجية في (قفصة بالجنوب الغربي التونسي)[1].

وفي هذا الصدد يلاحظ أنه بينما عرفت المناطق الجنوبية من الصحراء المظاهر الأولى للنيوليتي بالإضافة إلى تطور صناعة الفخار، كانت ضفاف البحر المتوسط والتي من بينها شمال إفريقيا لم تنل حظها منه بعد إلا القليل منها وكان ذلك في شكل محطات بسيطة. ووفقا لذلك فإن السهول العليا والصحراء الشمالية في بلاد المغرب القديم لم تعرف هي الأخرى التحولات ذات السيمات النيوليتية المتأخرة.

ومن جهته يرى المؤرخ والأثري ل.بالو بأن العصر النيوليتي في شمال بلاد المغرب القديم كان قد تميز بتطور محلي بالإضافة إلى جدود تأثيرات خارجية ذلك لأن العصر الحجري ذو التقاليد القفصية كانت معظم بقاياه قد وجدت في الرماديات التي غالبا ما يعود تاريخ أدواتها القريبة من السطح إلى الألف الرابعة ق.م ويعد هذا تطورا محليا[2].

أما التأثيرات الخارجية فقد تمثلت في التيار الحضاري القادم من الشرق وفي هذه المرحلة الأخيرة تطورت سكنى الإنسان من الرمادية إلى سكنى الكهوف، وعلى الأرجح فإن تاريخ ذلك يعود إلى حوالي ألفي سنة قبل الميلاد.

وقد توافرت أدوات العصر الحجري الحديث التي بدأت تتخلص من الملامح القفصية شيئا فشيئا في مواقع عديدة من بلاد المغرب القديم وذلك ابتداء من تونس شرقا وحتى المحيط الأطلسي غربا[3]، ويعتبر ملجأ الرديف بتونس موقعا نموذجيا وذلك لما احتواه في أرضيته من أدوات تمثل معظم الأطوار التي مر بها العصر الحجري الحديث.

---

(1) - C. Brahimi, Initiation à la préhistoire de l'Algérie, S. N. E. D., 1978, P. 68.

(2) - L. Balout, op. cit., P. 452.

(3) - E. Gobert, L 'abri de Redeyef, l'anthro, T. XXIII, 1912, PP. 151 – 168.

وقد وصف ملجأ الرديف بأنه عبارة عن دهليز يمتد تحت الأرض بحيث بلغ طوله حوالي 15م وعرضه 2م وبلغت كثافة الطبقة الأثرية فيه حوالي 2.5م سمكا.

وكانت الطبقة السفلى منه والعائدة إلى العصر الحجري الحديث تحتوي على محكات ونصال مثلثة غير حادة، بالإضافة إلى كويرات مثقوبة وقشور بيض النعام التي تحمل رسوما.

أما الطبقة التي تليها في الموقع والتي اعتبرت عليا فتحتوي هي الأخرى على أدوات نيوليتية تمثلت في رؤوس سهام مجنحة وفؤوس مصقولة، ثم قوادم وإبر عظمية.[أنظر الشكل رقم 38 (أ، ب) ص 132].

ويظهر من خلال كسر الفخار التي عثر عليها في مواقع الرديف بأن سكان هذا الأخير لم يتوصلوا إلى استعمال الفخار إلا في آخر فترة من سكنى الموقع[1].

ومن بين مواقع العصر الحجري الحديث في الجزائر نشير إلى موقع الداموس الأحمر بالقرب من تبسة والذي نشرت نتائج تنقيباته الباحثة كولات روبي (C. Roubet) مؤخرا ثم أبانت بشيء من الوضوح الكيفية التي تخلص فيها النيوليتي من الملامح القفصية وذلك بإشارتها للتطور الذي حصل في الأدوات القفصية بين مجاز الثانية بالقرب من العلمة وجبل الفرطاس بالأوراس. يضاف إلى ذلك نتائج أعمال موقع بوزباوين بالقرب من عين مليلة وخنقة سي محمد الطاهر بالأوراس وكولومناطة بالقرب من تيارت وبرزينة وكهوف البوليغون بالقرب من وهران، وكذا دار السلطان بالمغرب الأقصى، وقد اعتبر هذا الموقع الأخير من أحدث المواقع العائدة إلى العصر الحجري الحديث.[أنظر الشكل رقم 40 ص.135]

أما موقع أشكار الواقع غربي طنجة على المحيط الأطلسي والعائد إلى العصر الحجري الحديث فقد اكتشف به روحلمان (Ruhlmann) ثلاث تجمعات سكنية عائدة إلى العصر

---

(1) - Ibid, P. 153.

الحجري الحديث تمثلت في موقع هلابادو وموقع وادي بات ودشير، وقد شبهت الأواني الفخارية في هذا الموقع الأخير بأنصاف قشور بيض النعام ذات الخطوط مائلة بالإضافة إلى اتخاذ السلال كقوالب لصناعة الأواني.[أنظر الشكل 41 (أ، ب) ص.136، 137].

يبدو من كل ما سبق بأن فخار دار السلطان كان أكثر تطورا من فخار الرديف بتونس وذلك بناءا على شكل الآنية وتقنية صنعها والزخرفة التي تحملها بحيث أن الزخرفة في أواني دار السلطان كانت تغطي تقريبا معظم مساحة ظهر الآنية. بالإضافة إلى أن تلك الآنية كانت تزود في غالب الأحيان بناتئين بارزين على الأطراف يمكن أن تكون قد استعملت بغرض الحمل أو التعليق[1].

ج- العصر النيوليتي ذو المظاهر البحر متوسطية:

قد يكون من السهل دراسة نيوليتي البحر المتوسط، لاسيما ما تعلق منه بشمال إفريقيا دون الأخذ بعين الاعتبار الحركة الكبرى للنيوليتي الذي ظهرت معالمه الباكرة في الحوض الغربي للبحر المتوسط وذلك من خلال نهاية الألف السابعة قبل الميلاد[2].

وعلى ما يبدو، فإن النيوليتي المتوسطي لسواحل بلاد المغرب القديم يختلف عن مثيله القفصي الواقع داخل المنطقة المغاربية، والاثنان معا يختلفان بدورهما عن النيوليتي ذي الطابع الصحراوي سوداني الواقع في النطاق الصحراوي.

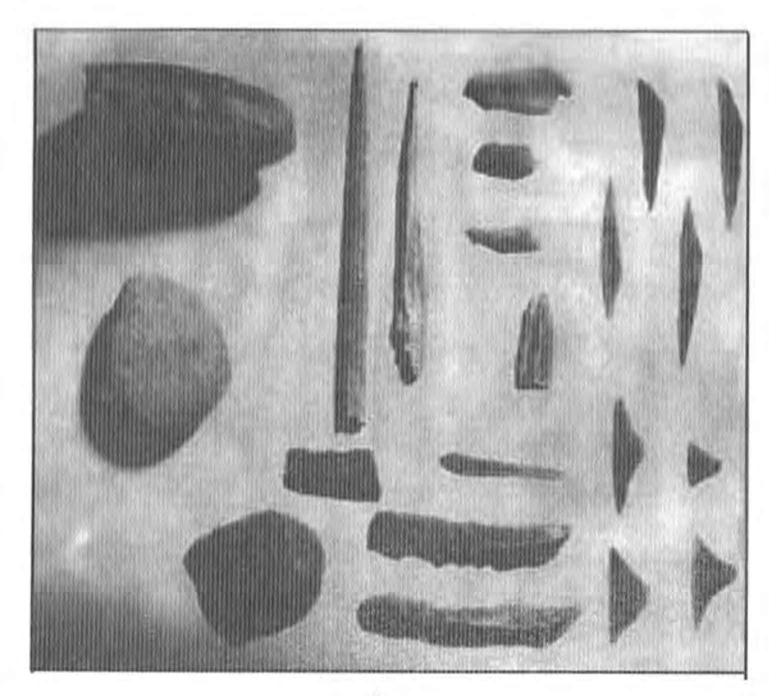
كما يلاحظ أيضا أنه بواسطة النيوليتي المتوسطي تلتقي سواحل بلاد المغرب القديم المطلة على البحر المتوسط في تلك الفترة بالسواحل الجنوبية الغربية لأوربا وجزر المتوسط الأخرى وبلاد الشرق القديم المطلة على البحر المتوسط، لاسيما من حيث الصناعة الحجرية والفخارية والعظمية[3].

---

(1) - A. Ruhlmann, Les grottes préhistoriques d'El- Khenzira , public du serv. des ant. du Maroc, fasc. 2, 1936, (1) PP. 66 – 84.

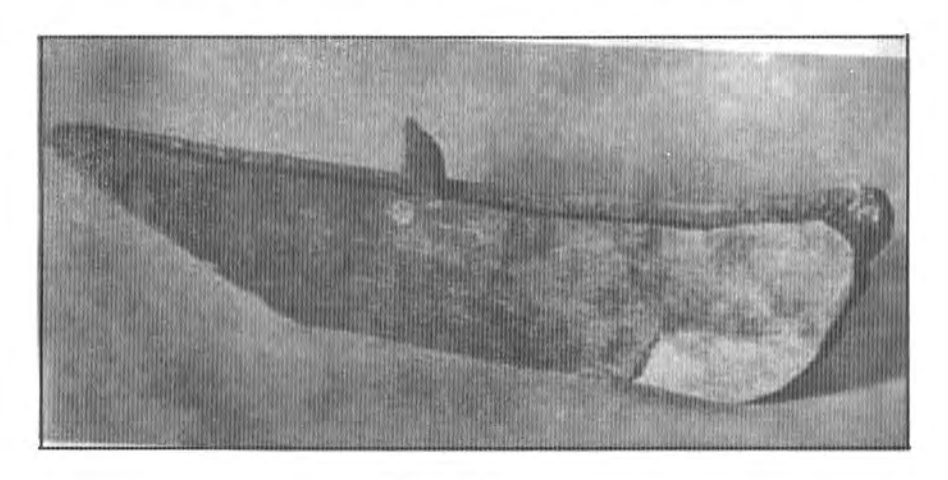
(2) - G. Camps, op. cit., P. 219:

(3) - Ch. Goetz, la céramique néolithique en Oranie, Bull. de la soc. D'archéol. et de géographie d'Oran, 1974, (3) PP. 60 – 106.



– أ –

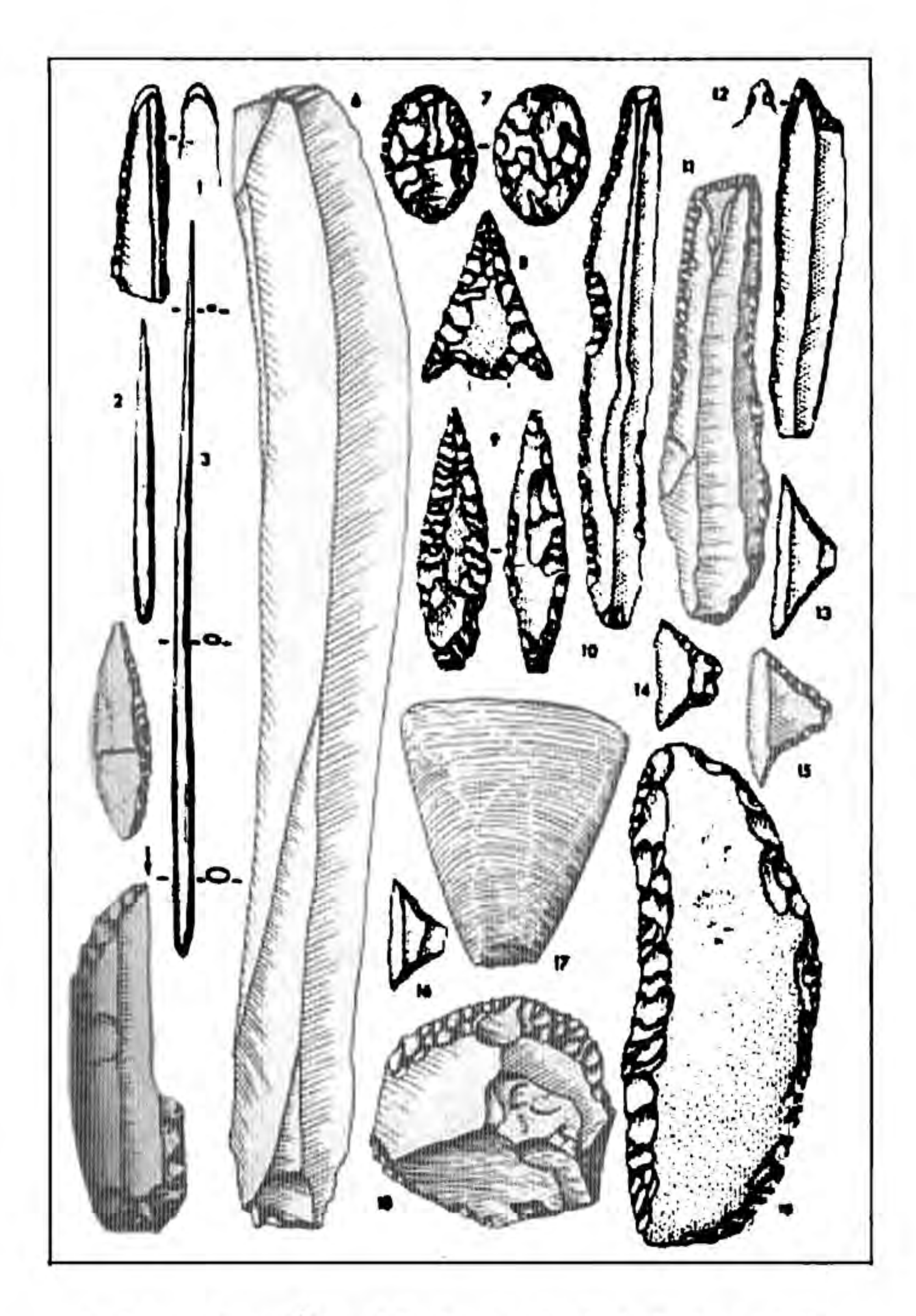
- أدوات ذات ملامح قفصية تعود إلى العصر الحجري الحديث ذي اللمسات القفصية



– ب –

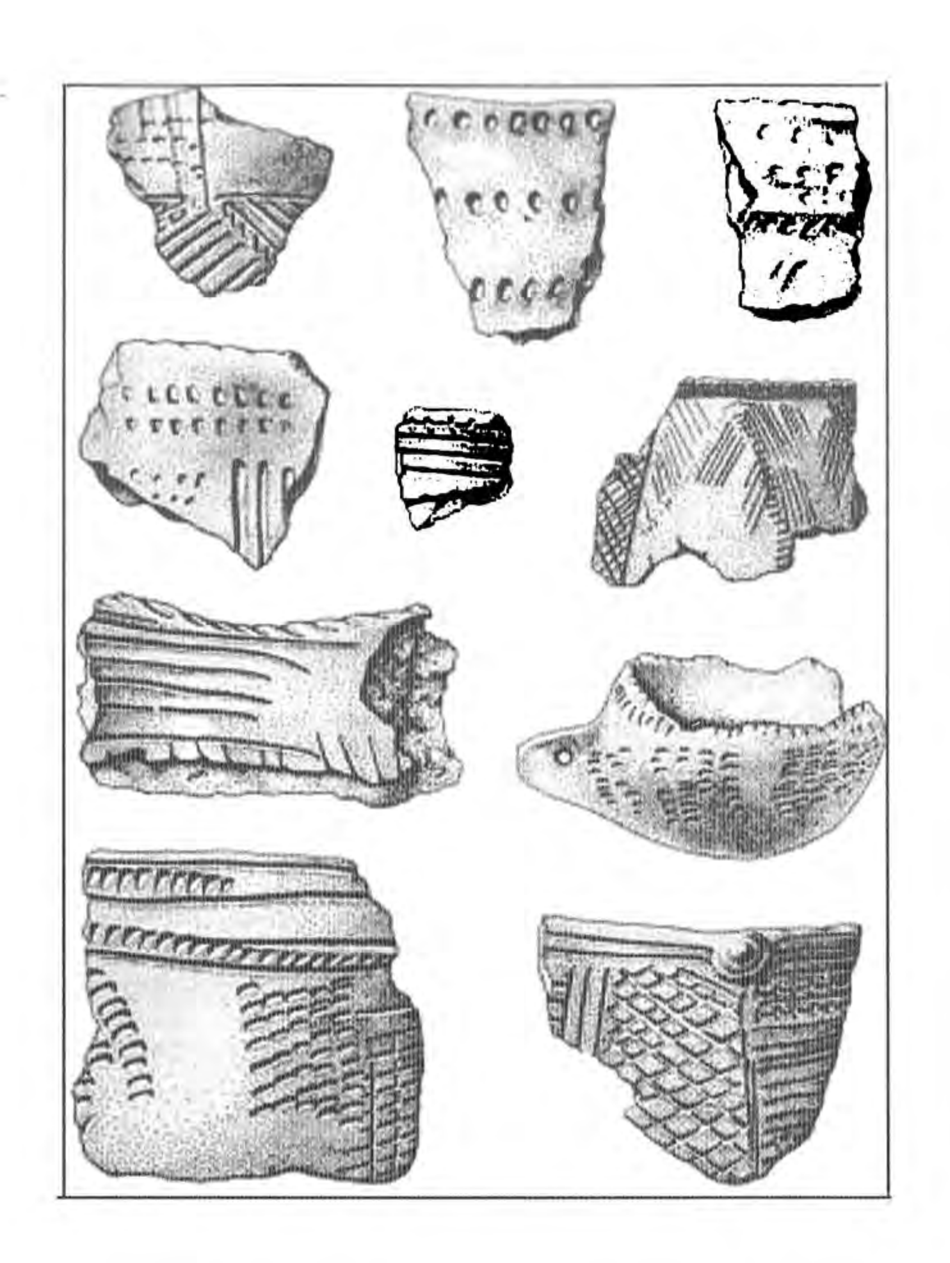
منجل عظمي أكتشف في مغارة البوليغون بالغرب الجزائري بالقرب من وهران

الشكل رقم 39 (ب)



صناعة حجرية عظمية عثر عليها في موقع الداموس الأحمر بالقرب من تبسة

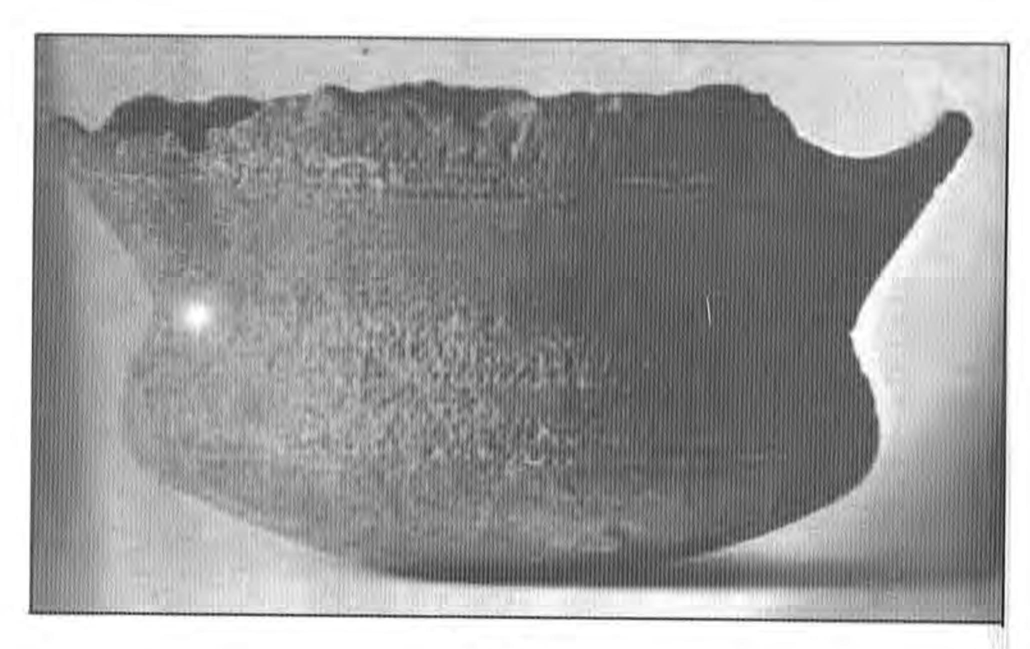
الشكل رقم 40



- أ -

يبرز لنا الشكل أعلاه الفخار الإنطباعي الذي كانت تتم زخرفته بواسطة الحز الغائر عثر عليه في منطقة القطارة بالغرب الجزائر

الشكل رقم 41 (أ)



– ب –

فخار بدائي سميك تظهر عليه تقليد السلال وهو من النوع الكمباني العائد إلى العصر الحجري الحديث

الشكل رقم 41 (ب)

ومن جهته يتميز النيوليتي المتوسطي الساحلي على غيره من المناطق الداخلية وذلك بتقنية الصناعة الحجرية التي كانت تتشكل على الشكل الآتي:

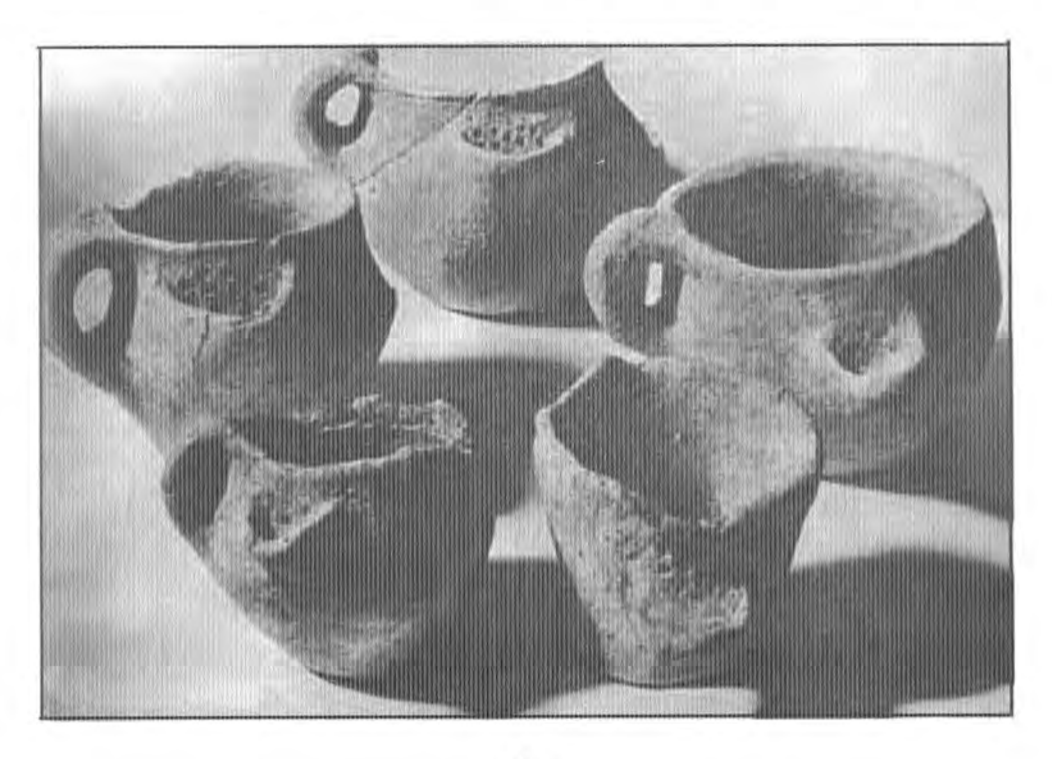
أ قلة الأدوات الحجرية التي تتميز بكثرة التحزيزات والمسننات والمحكات.

ب ندرة الحجر قزميات الهندسة وقلة الفؤوس المصقولة ورؤوس السهام.

هذا بالنسبة للصناعة الحجرية التي يتميز بها النيوليتي المتوسطي أما عن الفخار فإن صناعته في النيوليتي المتوسطي كانت تتمثل في بقايا فخاريات نمط الكارديالي (Style.Cardial) والانطباعي (Style Impréssionné) الأوربيين. وقد كانت الآنية الفخارية فيها تزود بقاعدة مخروطية، وفي كثير من الأحيان تكون خالية من العنق، إلا أنها

يمكن أن تزود بنائتين يستعملان كمقابض تحمل بواسطتها الأنية وتظهر مستديرة الشكل ذات فتحة كبيرة. [أنظر الشكل 42 (أ، ب)، ص. 138، 139].

أما عن الزخرفة التي سادت حينذاك فكانت تتخذ شكل رسومات حزامية متناوبة ومتجاورة بحيث تغطي أكبر مساحة من وسط الآنية(1).



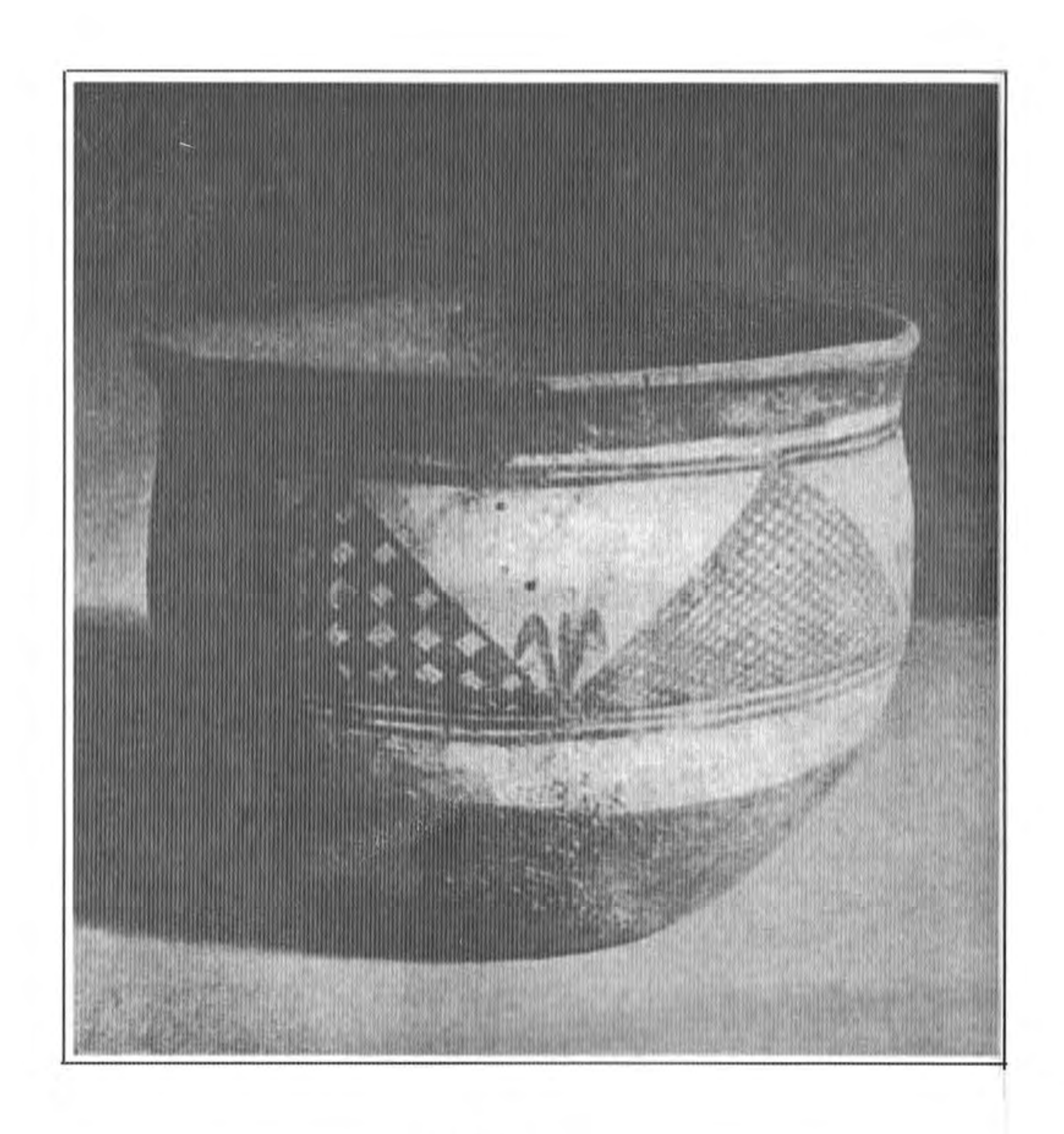
- أ -

فخار متطور إلى حد ما مزود بمقبض ومشرب عثر عليه في قصطل بالقرب من تبسة

الشكل رقم 42 (أ)

---

(1) - Ibid, P. 86.



- ب -

فخار نموذجي متطور تتم زخرفته بعد عملية التجفيف بواسطة النار

الشكل رقم 42 (ب)

يلاحظ في هذا المجال بأن التأثيرات بين ضفتي المتوسط الشمالية والجنوبية خلال تلك الفترة كانت تمت على ما يبدو بين سواحل المغرب الأقصى وسواحل شبه جزيرة ايبيريا في الغرب وبين سواحل تونس وصقلية في الشرق. وكان ذلك التأثير يتمثل في الفخار الكارديالي الذي كان مصدره جنوب غرب أوربا(1).

وتجدر الإشارة إلى أن كسر بقايا الفخار الانطباعي الأوربي كانت قد توفرت في كامل المنطقة الساحلية بلاد المغرب القديم وخاصة الغرب الجزائري، وفي هذا الصدد يشير جـ. كامبس إلى تلك البقايا الفخارية التي عثر عليها في تنقيبات وادي القطارة وذلك بمرتفعات مرجاجو الصخرية بالقرب من مدينة وهران.

وقد أعطت تلك الحفرية المشار إليها كمية لا يستهان بها من كسر الفخار النيوليتي وهي نموذج لكيفية مرور المنطقة المغاربية من العصر الحجري اللاحق إلى فترة النيوليتي المتوسطي(2).

وهكذا نرى أنه إذا أردنا أن نتتبع مواقع النيوليتي المتوسطي في شمال المغرب القديم ابتداء من الغرب إلى الشرق، فالذي يصادفنا في البداية هو موقع كيفان بلغوماري بالقرب من الدار البيضاء بالمغرب الأقصى على المحيط الأطلسي. ويكتسي هذا الموقع أهمية كبرى من حيث توفر الأدوات الحجرية وكسر الفخار العائدة إلى العصر الحجري الحديث.

يلي ذلك موقع أشكار وذلك بالقرب من طنجة بالمغرب الأقصى، وقد درس هذا الموقع من قبل الباحث جودان (A. Jodin) الذي استطاع أن يبرز العلاقات الباكرة التي كانت تربط سواحل المغرب الأقصى بشبه جزيرة ايبريا وذلك بحكم قرب هذا الموقع من مضيق أعمدة هرقل(3).

---

(1) - F. H. Camps, sur quelques techniques décoratives de la céramique Saharienne, cong. Préhist. de France, 17ème session, Ajaccio 1966, PP. 87- 102.

(2) - CH. Goetz, op. cit., P. 87 – 102.

(3) - A. Jodin, Les grottes d'El Khir à Achakar, province de Tanger, Bull. d'Archéol. Maroc., N° 63, 1958, PP. 249 – 313.

عند الاتجاه بعد ذلك شرقا عبر سواحل المتوسط يصادفنا موقعا غاركاحل وتطوان وبعض المواقع الأخرى التي نقب فيها الباحث الإسباني تراديل (Tarradel) وذلك في الخمسينات من هذا القرن[1].

أما منطقة مرجاجو (Merdjadjo) الصخرية بالقرب من وهران فهي مليئة بالملاجئ الواقعة تحت الصخور والمغارات وقد كانت لمدة غير قصيرة تمثل المنطقة النموذجية للنيوليتي في بلاد المغرب القديم[2].

وتحتوي منطقتا الجزائر العاصمة (الصخر الكبير) وبجاية هما الآخران بدورهما على عدة ملاجئ تحت الصخور استعملها الإنسان خلال العصر الحجري الحديث. وقد اكتشفت بقاياها الأثرية ثم درست.

وبالنسبة لبقية بلاد المغرب الأخرى الشرقية، فإنها تكاد تكون محرومة من الملاجئ الساحلية. غير أنه توفرت بها محطات ذات أهمية كبرى اشتملت على أدوات تعود للعصر الحجري الحديث اذكر من ذلك على سبيل المثال مواقع ضواحي عنابة بالشرق الجزائري، وبترزت ورأس بونة بتونس[3].

وعلى أية حال، فإن المواقع الأساسية التي نقبت ودرست جيدا في بلاد المغرب القديم كانت في غالب الأحيان توجد بالقرب من المدن التي كان يستقر بها الأثريون، نذكر من ذلك على سبيل المثال مغارة غار كاحل بكامل سوياتها المتراكمة فوق بعضها والتي استنتج تراديل من خلال دراسته لها بأنه بداية من السوية الخامسة كان الموقع قد انتقل من أدوات الايبيرومغربية إلى النيوليتي البحت[4]. ونفس الشيء يقال في موقع القطارة الذي درسه جـ. كامبس بكل سوياته[5].

يبدو مما سبق بأن بصمات النيوليتي في بلاد المغرب القديم كانت تختلف من مكان لآخر على سواحل المتوسط وكذا المحيط الأطلسي، ولكن بصفة أقل في هذا الأخير، فمثلا

---

(1) - M. Tarradel, Noticia solire, la excavation de gar cahal, tamuda N°2 Maroc 1954, PP. 344 – 358.

(2) - G. Camps, op. cit., P. 262

(3) - M. Gruet, gisements altériens et néolithiques du nord de Bizerte (Tunisie) L'Anthr. T. LI. 1947, PP. 363- 367.

(4) - M.Tarradell, op. cit., P. 356.

(5) - G. Camps, op. cit., P. 264

يظهر طابع التأثير الخارجي في سواحل البحر المتوسط في صناعة الفخار وزخرفته، لاسيما الانطباعي منه أكثر من تأثيراته على سواحل المحيط الأطلسي ونفس الشيء يقال بالنسبة لحجارة الأبسيدين obsidien التي كانت متوفرة في جزر البحر المتوسط وهو ما جعل الباحثين يرشحون اللقاءات بين شواطئ المتوسط الجنوبية وجزره في بداية الأمر، ثم الانتقال بعد ذلك إلى الشواطئ الشمالية، ويعزز هذا الرأي العثور على شواهد بقايا حجارة الأبسيدين منتشرة في بعض النقاط الساحلية من بلاد المغرب القديم وذلك مثل رأس بونة بتونس وجزر حبيبة بالسواحل الوهرانية الجزائرية. ولا يستبعد أن تكون مادة الأبسيدين تلك قد استخرجت من جزيرتي ليباري وبنتليرية Panteller وغيرهما من جزر البحر المتوسط ذات الطبيعة البركانية.

وقد استعملت حجارة الأبسيدين تلك في عدة وظائف نذكر منها صقل رؤوس السهام وجعلها حادة[1].

إن وجود تلك العلاقات بين شمال البحر المتوسط والسواحل المغاربية في تلك الفترة المبكرة لا ينفي وجود علاقات موازية لها أو سابقة عليها مع سواحل البحر المتوسط الشرقية، وذلك عن طريق مصر والمواقع الليبية الساحلية مثل هوافتيح ببرقة[2].

ومن جهة أخرى يلاحظ أن الانتقال من الأيبيرومغربية إلى النيوليتي في المواقع المناطق التلية كان واضحا منه في المواقع الساحلية مما يدفعنا إلى التفكير بأن النيوليتي في المناطق الداخلية كان قد بلغ مرحلة النضج أكثر منه في السواحل.

أما عن شواهد ممارسة الإنسان للزراعة في تلك الفترة الباكرة من النيوليتي، فإنها ضعيفة إن لم تكن منعدمة وعلى العكس من ذلك، فإن مدلولات استئناس الحيوانات وتربيتها في المنطقة مرشحة للظهور، لاسيما الأبقار والماعز والظأن، غير أنها على مايبدو كانت تتمثل في قطعان صغيرة، وتتساوى في ذلك شواطئ المتوسط الجنوبي والشمالي.

د – التقنية الصناعية الحجرية:

يرى فوفري (R. Vaufrey) بأن هناك تقنية صناعية ظهرت في العصر الحجري الحديث تمثلت في الصناعة الحجرية التي مالت نحو الميكروليت والصقل والحجر قزميات الهندسية[3].

---

(1) - F. Decret et Mhamed Fantar, L'Afrique du nord dans l'antiquité, payot, Paris 1981, P. 39

(2) مصطفى عبد العليم ، المرجع السابق

(3) R. Vaufrey, le rôle du Maghreb dans la préhistoire africaine, Rev. Afric. N° 100, 1956, P. 241.

وقد أصبح لتلك الأدوات الحجرية أشكال متعددة ووظائف تتناسب واحتياجات الإنسان حينذاك.

كما كانت التقنية الجديدة تتمثل في التزام الشفرات بطريقة الضغط بدلا من الطرق. واستخدمت أيضا تقنية الاستعانة بالعظام لتحديد دقة الطرق أكثر مما كانت عليه في الـــمراحل السابقة.

هذا بالإضافة إلى صقل الحجارة وإزالة حواف الشفرات لكي تؤول إلى سكاكين حقيقية، واستخدم الصناع القفصيون بدورهم تقنية الأزاميل الدقيقة في كسر النصال وذلك من أجل صناعة الأدوات الحجرية الدقيقة ذات الأشكال الهندسية.

أيضا أدخلت عملية النحت الثانوي على الآلة الحجرية ونتيجة لكل ذلك ظهرت هناك عدة أدوات حجرية جديدة مثل المنحرف والمثلثات وأنصاف المستديرة[1].

وتجدر الإشارة إلى أن إنسان العصر الحجري الحديث كان قد أستخدم في تقنياته العظام حيث صنع منها خناجر – وازاميل وإبر ودبابيس. كما صنع من قشور بيض النعام عقودا وأواني ومن حلقات الحلزون قلائد وحلي.

وعلى أية حال، فإن تلك التقنية الصناعية الحجرية المشار إليها لم تبق حبيسة بلاد المغرب فحسب، بل يبدو أنه كانت هناك أدوات مشتركة في التقنية ومتشابهة من حيث الصناعة بين بلاد المغرب القديم ومصر تمثلت في الفؤوس المصقولة والقوادم المفرطحة التي وجدت لها أمثلة في كل من برزينة بالقرب من وهران بالغرب الجزائري وكذا الفيوم (أ) ومريمدة بني سلامة بمصر وشهيناب بالسودان[2].

أما السهام فقد تمثلت في تلك الشبيهة بورق الغار أو الصفصاف وهي من مخلفات الحضارة العاترية. إلى جانب ذلك وجدت رؤوس سهام كبيرة في منطقة بلاد المغرب القديم تقترب من حيث التشابه مع تلك التي عثر عليها في الفيوم مرحلة (ب)بمصر.

وقد حاول بعض الباحثين إيجاد قاسم مشترك بين الحضارتين المغاربية والمصرية و لم يترددوا بعد دراستهم العميقة لطبيعة وأشكال الأدوات في كل من المنطقتين بأن يذهبوا إلى أن الأصل المشترك لا يستبعد أن يكون مثلا في منطقة الصحراء المترامية الأطراف والتي هي بمثابة بحر مشترك تلتقي على شواطئه كامل المناطق المحيطة به.

---

(1) - C. Brahimi, op. cit., P. 56.

(2) - R. Vaufrey, l'âge de la pierre en Afrique du nord, journ. de la soc. des africains, N° 23, 1953, PP. 103 – 138.

ويتمثل القاسم المشترك المشار إليه في تقارب وتشابه الصناعة الحجرية والفخارية التي تنتمي إلى العصر الحجري الحديث في تلك المناطق[1].

ومن جهتها تؤيد كاتون تومسن (Caton Thompson) ما ذهب إليه الباحث فوفري في أن العاترية هي أصل صناعة السهام الكبيرة وكذا تلك الشبيهة بورق الصفصاف أما تلك المقعرة القاعدة فهي منتشرة في الفيوم وضفاف وادي النيل[2]. [أنظر الشكل 43 (أ، ب)، ص.145، 146].

ولا يختلف الباحث بالو عن فوفري في الدعوة إلى وجود تشابه بين أدوات العصر النيوليتي وذلك بين منطقة الصحراء والسودان، لاسيما من حيث صناعة أشكال رؤوس السهام[3].

وقد لاحظ أركل في حفائره التي أجراها بموقع شهيناب بالسودان وجود وجه شبه من حيث تقنية صناعة الفؤوس والأزاميل وذلك بين هذا الموقع السوداني وبين منطقة الفيوم بوادي النيل وتنيري بالتبستي بالتشاد، غير أن عدم توفر رؤوس السهام في موقع شهيناب يجعل الباحث يعتقد أن هذا الأخير هو أقدم من المواقع المصري[4]. وتوافق كاتون تومسن بدورها آركل حيث ترى أن موقع التبستي هو المكان الذي انطلقت منه الحضارة النيوليتية باتجاه كل من الفيوم والخرطوم، ثم تضيف الباحثة الإنجليزية بأن محاجر التبستي هي المصادر التي صنعت منها أدوات الحضارة الفيومية[5].

ويرى جـــ. كامبس بأن أسبقية النيوليتي في منطقة النيل على مثيله في الصحراء تبدو غير واضحة، ولذلك علينا أن نتجنب استعمال مصطلح النيوليتي ذي التقاليد السودانية ونحاول تعويض ذلك بمصطلح النيوليتي الصحراوي – سوداني ذلك لأن هذا المـــصطلح الأخير يجعلنا نـــركز على العلاقات المتشابـــكة بين المنطقتين، وأنّ مصطلح السوداني في

---

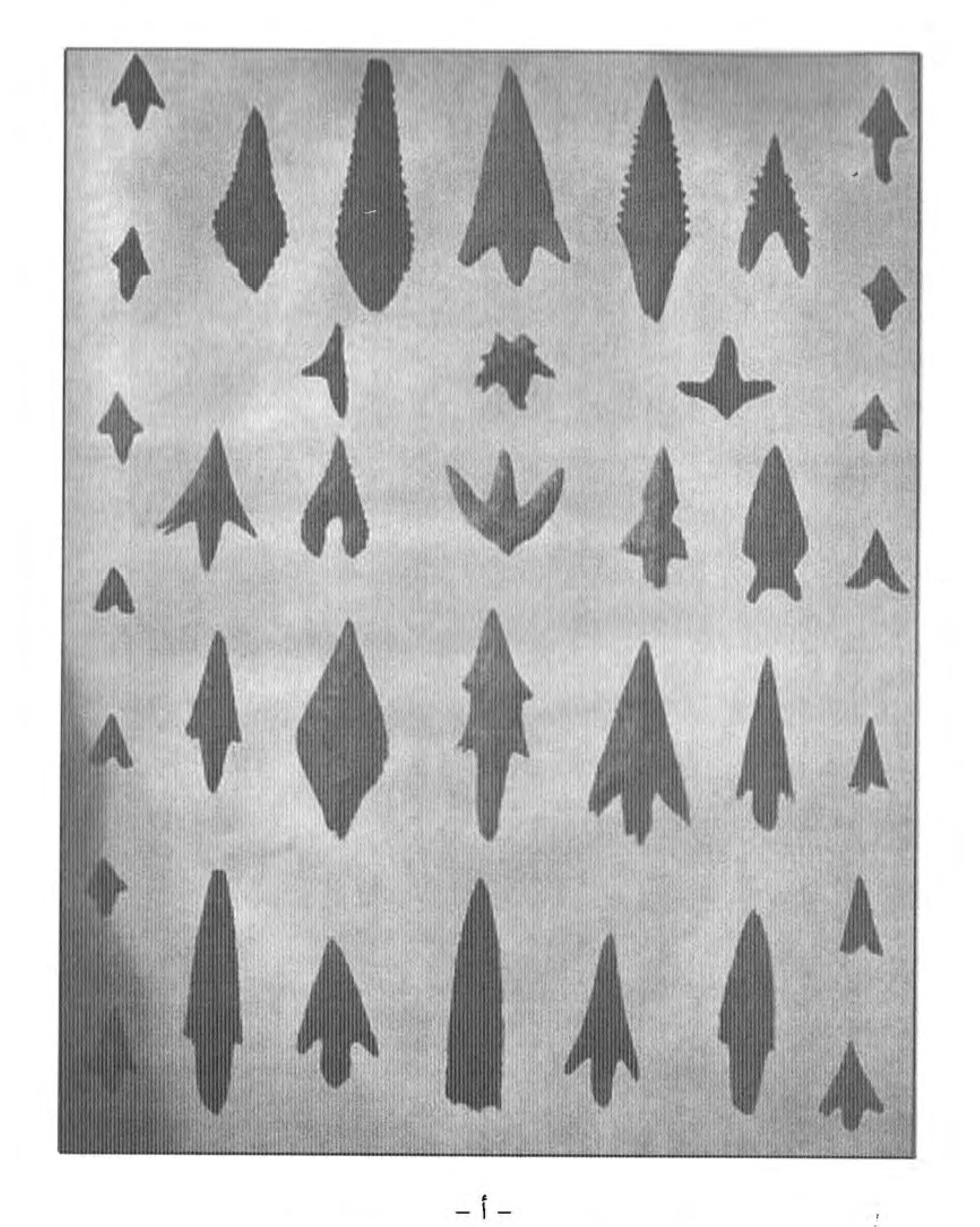
(1) - G. Camps, Les civilisations préhistoriques, P. 224.

(2) - C. Thompson et Gardner, The Desert Fayoem, Royal Anthropological Institut, publication, London 1934, (2) P. 89.

(3) - L. Balout, L'art rupestre nord- africain et saharien, Etat de quelques problèmes, simposio intern de Arte rupestre, Barcelone 1968, PP. 257 – 264.

(4) - A. J. Arkel, Sahara niel, Oxfored University Press, London 1953, PP. 87 – 103.

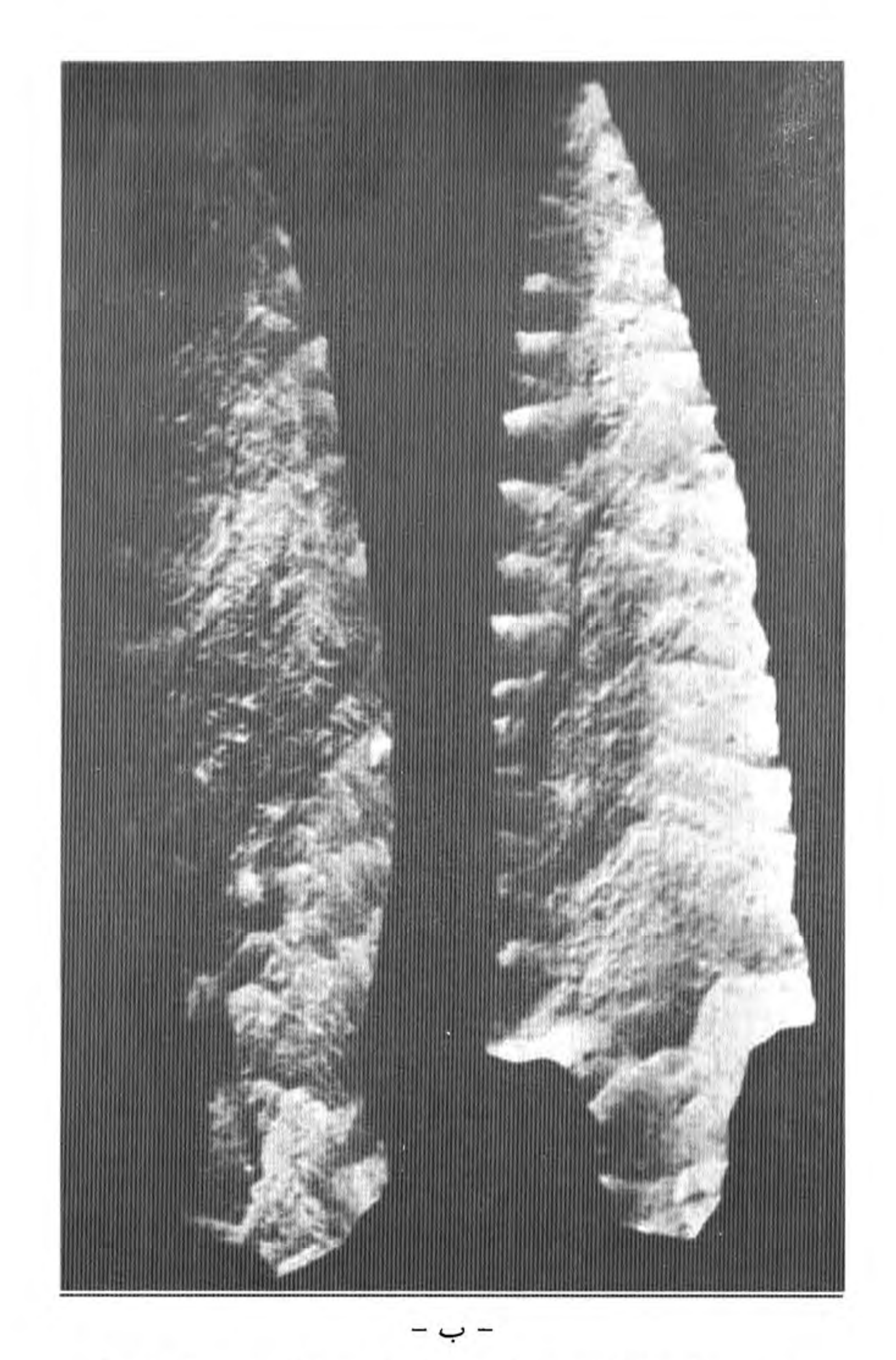
(5) - C. Thompson et Gardner, op. cit., P. 86



- أ -

رؤوس سهام حجرية تعود إلى النيولتي الصحراوي

الشكل رقم 43 (أ)



– ب –

رؤوس سهام مذنبة نيوليتية عثر عليها في وسط الصحراء الجزائرية

الشكل رقم 43 (ب)

رأي الباحث المشار إليه يشمل منطقة واسعة بحيث يطلق على كامل المنطقة الصحراوية بما فيها السودان، وبالتالي، فإن مصطلح سوداني يحمل بين طياته المعنى العربي الدارج الذي يطلق على المناطق التي تقطنها الجماعات ذات البشرة السمراء الزنجية[1].

ومهما كانت المناطق التي يشملها النيوليتي الصحراوي –سوداني فإن صحراء الألف السابعة التي كان يسودها مناخ رطب كانت من بين الأماكن الأولى التي احتوت الجماعات النيوليتية، يظهر ذلك من خلال صناعتهم الحجرية والفخارية التي يمكن أ ن تكون سابقة لتلك التي ظهرت في الشرق القديم أو معاصرة لها على أقل تقدير.

وبصدد تقنية صناعة الفخار، فإنه نادرا ما يعثر على أواني فخارية كاملة خلال العصر النيوليتي في بلاد المغرب القديم، مما يترتب عليه صعوبة التكهن بشكل الآنية الفخارية، وبالعكس من ذلك، فإن معظم الأواني الفخارية في وادي النيل والتي عثر على البعض منها كاملة تبدو ذات قاع مخروطي، وقد توفرت تلك الأواني الفخارية في كل من مصر العليا و الوسطى، وهي عائدة إلى حضارة العمرة[2].

ويلاحظ بأن فخار وادي النيل يفتقر إلى أنواع الزخرفة التي تميز بها فخار بلاد المغرب القديم. وقد كانت أهم أنواع تلك الزخرفة تتمثل في الحفر الغائر والتصوير على ظهر الإناء سواء أكان ذلك بمسحة المشط أو مسحة الحبل وحتى بأصابع اليد. [أنظر الشكل44 (أ، ب))، ص. 148، 149].

وهناك ميزة ظهرت في فخار الصحراء تتمثل في اتخاذ السلال كقوالب لزخرفة الأواني[3].

وتجدر الإشارة إلى أن دراسة وتحليل أنواع الفخار التي اقترحتها جـــ. ب.ميتر (J. P. Maître) وذلك بهدف معرفة التطورات التي حدثت أثناء النيوليتي الصحراوي – سوداني في منطقة الهوجار كانت قد اعتمدت في كثير من الأحيان على نتائج الكاربون رقم C14

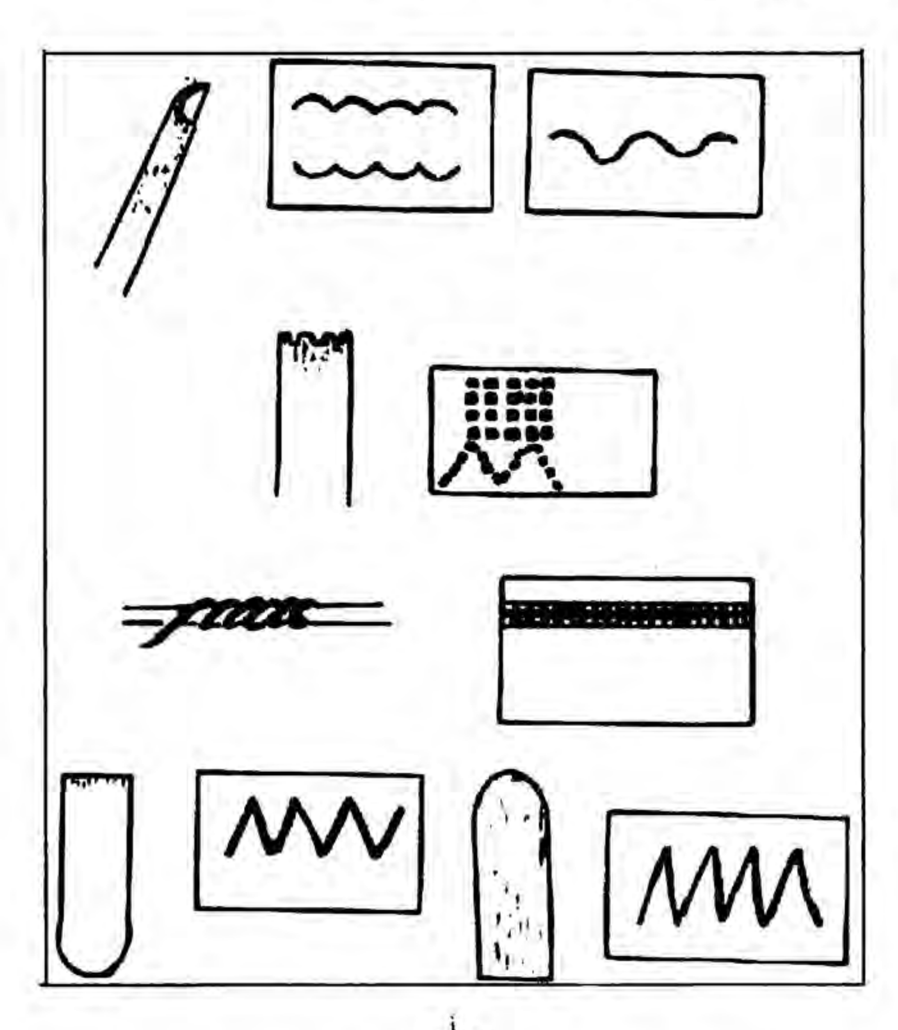
---

(1) لقد حاولت المدرسة الألمانية والأوروبية بصفة عامة أن تقسم إفريقيا بناء على بشرة سكانها ولذلك يسمون إفريقيا جنوب الصحراء بإفريقيا السوداء وإفريقيا الشمالية بإفريقيا البيضاء وهي تسمية عنصرية ليس لها سند علمي، هدفها هو محاولة بث التفرقة والصراع بين الأفارقة. حول هذا الموضوع أنظر: شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية جـ1 تعريب محمد مزالي وبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس 1969، ص ص 11 – 12.

(2) سيريل الدريد، الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة، ترجمة مختار السويفي، الدار المصرية اللبنانية، ص ص. 48 –51.

(3) G. Camps, Manuel de recherche préhistorique, Doin Editeurs, Paris 1981, PP. 236 – 240.

ونفس الكلام يقال بالنسبة لفخار تدكالت والتانزروفت وادي، زارتيويوين (Tiouiyne) وكامل المواقع التي عثر عليها في المنطقة الصحراوية(1).

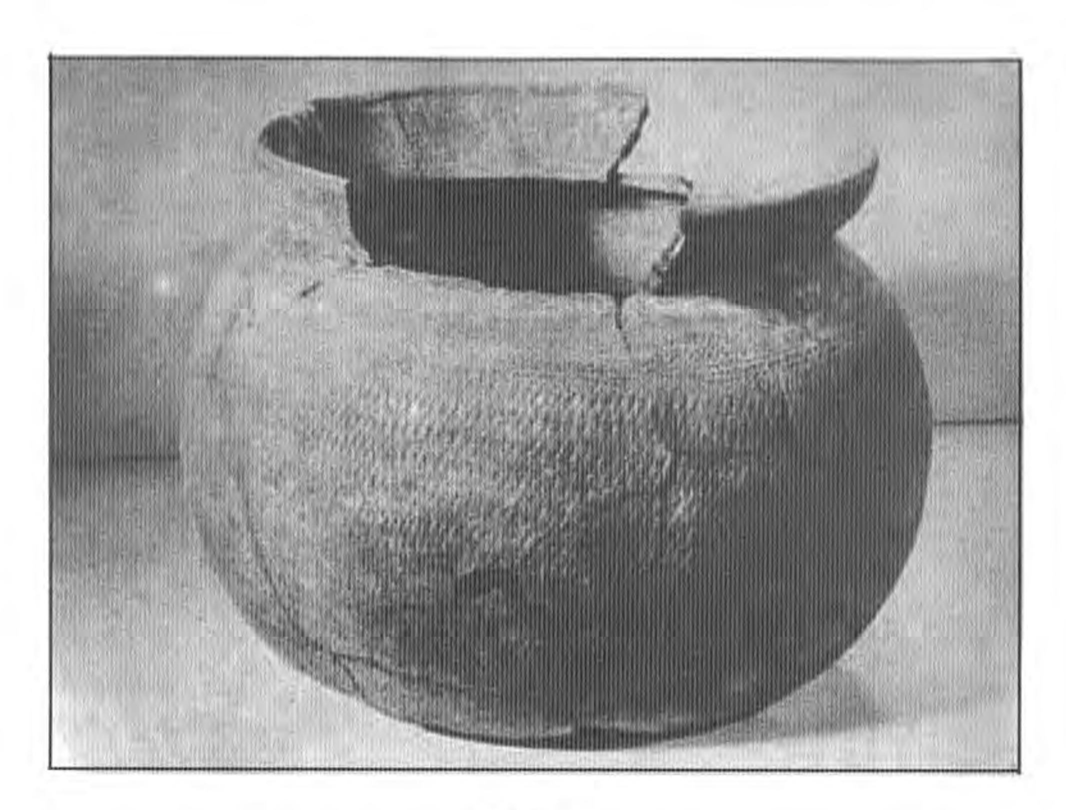


- أ -

نماذج تمثل زخرفة الفخار بواسطة جر المشط أو الحبل

الشكل رقم 44 (أ)

(1) - J. P. Maître, Contribution à l'inventaire préhistorique du Tanzrouft (Sahara central) Trav. de l'inst. de rech. Saharienne, N° 24, 1965, PP. 156 – 169.



- ب -

آنية فخارية مهشمة في أعلاها تظهر على ظهرها زخرفة بواسطة الحز الغائر

الشكل رقم 44 (ب)

الملامح الفكرية للعصر الحجري الحديث في المغرب القديم:

- الرسوم الصخرية:

أ - بدء الاهتمام بالرسوم الصخرية:

كانت الاكتشافات الأولى في ميدان الرسوم والنقوش[1] الصخرية في بلاد المغرب القديم قد تمت على يد البعثة الاستكشافية، العسكرية الفرنسية التي جابت منطقة الجنوب الوهراني بالجزائر وذلك سنة 1848 تحت قيادة الجنيرال كوفينياك (Covaignac) الذي

(1) أخذت الرسوم الصخرية عدة تسميات نذكر منها: الجداريات (Les Fresques) وكذا الحجارة المكتوبة وهي تسمية محلية، والرسوم الصخرية.

واصل أعماله الاستكشافية في منطقة الأطلس الصحراوي في السنوات الموالية، بحيث أشارت بعثته تلك في تقاريرها إلى الرسوم التي علقت بواجهات صخور جبال قصور وعمور بالأطلس الصحراوي وكانت في معظمها صور فيلة وجواميس ضخمة[1]. [أنظر الشكل 45 (أ، ب)، ص 151، 152].

وقد تواصلت الاكتشافات بعد ذلك في منطقة الصحراء بحيث اكتشف الباحث الألماني هـ. بارث (H. Barth) رسوم منطقة التاسيلي التي اعتبرت فيما بعد متحفا في الهواء الطلق وكان ذلك سنة 1850، ثم توالت الاكتشافات بعد ذلك. وفي هذا المضمار نشير إلى تلك الحملة التي قادتها البعثة الإيطالية في كل من منطقتي الهوجار بالجزائر وفزان بليبيا[2].

واستمرت أعمال المعاينة تلك في منطقة الصحراء بطرق غير منتظمة وذلك حتى سنة 1956 حيث عين الباحث الفرنسي هـ. لوت (H. L'Hote) على رأس بعثة علمية للقيام بدراسة الرسوم الصخرية في الصحراء الوسطى الجزائرية[3].

ولعل أحسن الأعمال الفنية التي عثر عليها في منطقة التاسيلي تتمثل في رسوم وادي جرات التي جمعها هـ. لوت في جزأين هامين تحت رعاية مركز البحث لدراسة ما قبل التاريخ (C.R.A.P.E) بالجزائر[4].

كذلك نشير إلى أعمال الباحث ج. فلامند (G. Flamand) ومن بين الفرضيات التي ساهمت بها أعماله تلك هي دعوته إلى أن أقدم تاريخ يمكن أن يعطي للرسوم الصخرية هو الألف السادسة ق.م، وفي رأيه بأن العمق التاريخي لتلك الأعمال يجب أن لا يتجاوز العصر الحجري الحديث[5] وقد خالفه في الرأي الباحث صولنياك (Solignac) الذي يرى بأنه يمكن أن تعود الرسوم الصخرية الأولى إلى نهاية العصر الحجري القديم الأعلى. ويوافق صولنياك في ذلك الباحث الألماني هـ. بروي (H. Breuil) الذي يرى هو الآخر بأن الرسوم الحضارية في الصحراء تعود إلى نهاية العصر الحجري القديم الأعلى وبالـذات إلى

---

(1) - G. Aumassip, Trésors de l'Atlas, éd. Entreprise nationale du livre, Alger 1985, PP. 9–11.

(2) محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ ليبيا، الطبعة الأولى، دار المسراتي للطباعة والنشر، ليبيا 1969، ص ص 66- 69.

(3) - H. L'Hote, à la découverte des Fresques du Tassili, éd. Arthaud, Paris, 1973, PP. 12–14.

(4) -H. L'Hote, Les gravures rupestres de l'Oued Djerat, T. I. II. Cape, Alger 1976.

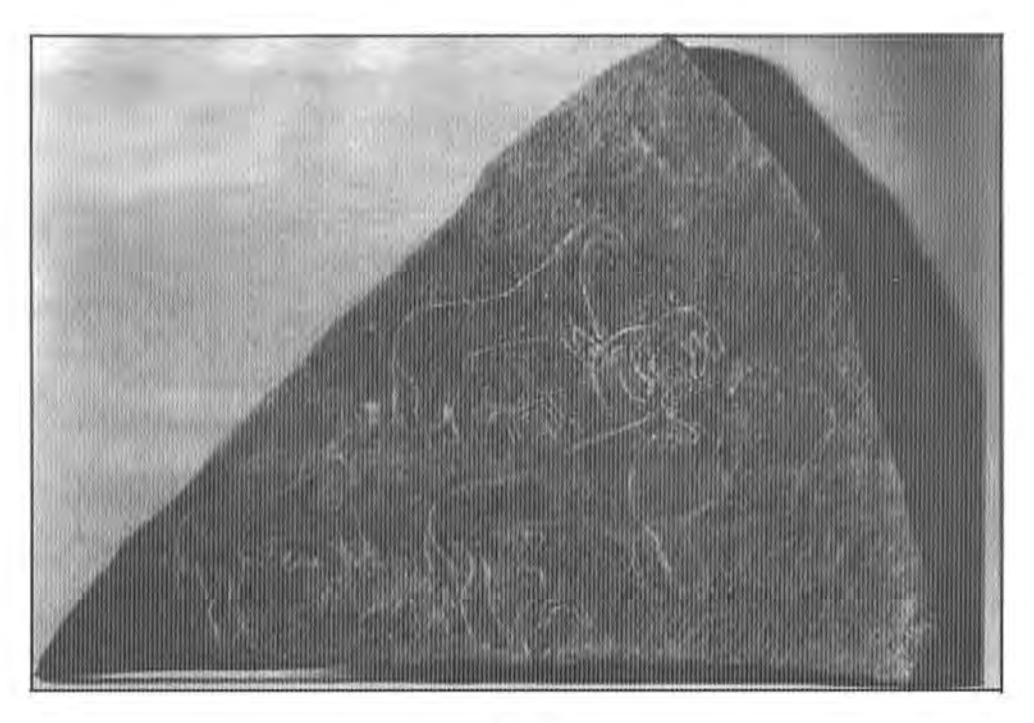
(5) - G. BM. Flamand, Les pierres écrites, gravures et inscriptions rupestres. Du Nord Africain, Masson, Paris 1912, P. 87.



- أ -

يظهر الشكل أعلاه قطيعا من الأبقار تبينها الرسوم الصخرية بمنطقة التاسيلي–الصحرا الجزائرية

الشكل رقم 45 (أ)



- ب -

يظهر في الصورة أعلاه مشهد لأشخاص يجلسون على مناضد صغيرة لأخذ الحليب من أبقار في الوقت الذي يوجد فيه عجول أمام أمهاتهم لدر الحليب وفي هيئة استعداد تام للرضاعة

الشكل رقم 45 (ب)

ا

فترة الحضارة القفصية العليا[1]. ثم يستطرد بروي ذلك ليشير بأن الرسوم التي تبرز الحيوانات التي ظهرت متأخرة والمتواجدة في الجزء الأكبر من رسوم الغرب الوهراني وفزان ولا يستبعد أن تعود إلى العصر الحجري الحديث وتتدرج بعد ذلك بعض رسوماتها في القدم عبر أعماق التاريخ وذلك حتى العصر الحجري اللاحق.

عكس رأي بروي السابق، فإن اقتراح تواريخ أخرى للرسوم الصخرية كانت قد قدمت من قبل بعض الباحثين وعلى رأسهم هــ.لوت الذي يذهب إلى أن الرسوم الطبيعية التذكارية سواء أكانت في الجنوب الوهراني أو بوادي جرات التاسيلي وكذلك

(1) H. Breuil, et H. L'Hote, l'âge de la pierre, l'art rupestre de l'Afrique Mineur et du Sahara, éd. albin Michel, Paris 1960. P.43.

فزان بليبيا كلّها تعود إلى أسلوب واحد لا يزيد تاريخه عن الألف السادسة ق.م. إن لم يكن سابقا لذلك(1).

غير أن جـــ. كامبس في أبحاثه يجعل الرسوم الصخرية ذات الأسلوب الطبيعي والصور الكبيرة الحجم الخاصة بالأبقار والحيوانات القديمة، بأنها تعود إلى فترة واحدة من الزمن يضاف إليها رسوم الكباش التي تحمل على رأسها دائرة تشير إلى قرص الشمس.وليس شرطا أن تكون الكباش مستأنسة محليا، بل يمكن أن تكون مجلوبة من منطقة الشرق القديم عن طريق الصحراء ومصر العليا(2).[أنظر الشكل 46 (أ، ب)، ص. 154، 155].

إن وجود حجارة السيلاكس النيوليتية المشذبة بالقرب من بعض الأماكن التي تتوفر فيها الرسوم الصخرية يعطينا دليلا على أن تلك الصناعة الحجرية لا تخضع للصدفة وإنمـــا هي من صنع الإنسان الذي عاش في المنطقة.

ووفقا لهذا المنظور، فإن الباحث فوفري يرى بأن كثيرا من الرسوم الصخرية القديمة ذات الأسلوب الطبيعي والكبيرة الحجم هي من بين المظاهر الأولى للعصر النيوليتي في المنطقة المغاربية(3).

ب- النطاق الجغرافي للرسوم الصخرية:

لا تقل الرسوم والنقوش الصخرية في أهميتها التاريخية عن الأدوات الحجرية والصناعة العظمية والفخار، ذلك لأنها تعتبر بمثابة صحيفة تعرض لنا الحياة اليومية للأقوام الذين أنتجوا تلك الرسوم والنقوش الصخرية(4).

ويمكن أن تعد تلك الرسوم والنقوش الصخرية بمثابة كتابة تصويرية للفترة السابقة للتاريخ. وكثيرا ما يستنتج الباحثون الجوانب الدينية والتنظيمات الاجتماعية والاقتصادية التي كان يتبعها سكان المناطق التي وجدت فيها تلك النقوش وذلك من خلال أعمالهم التي تركوها(5).

---

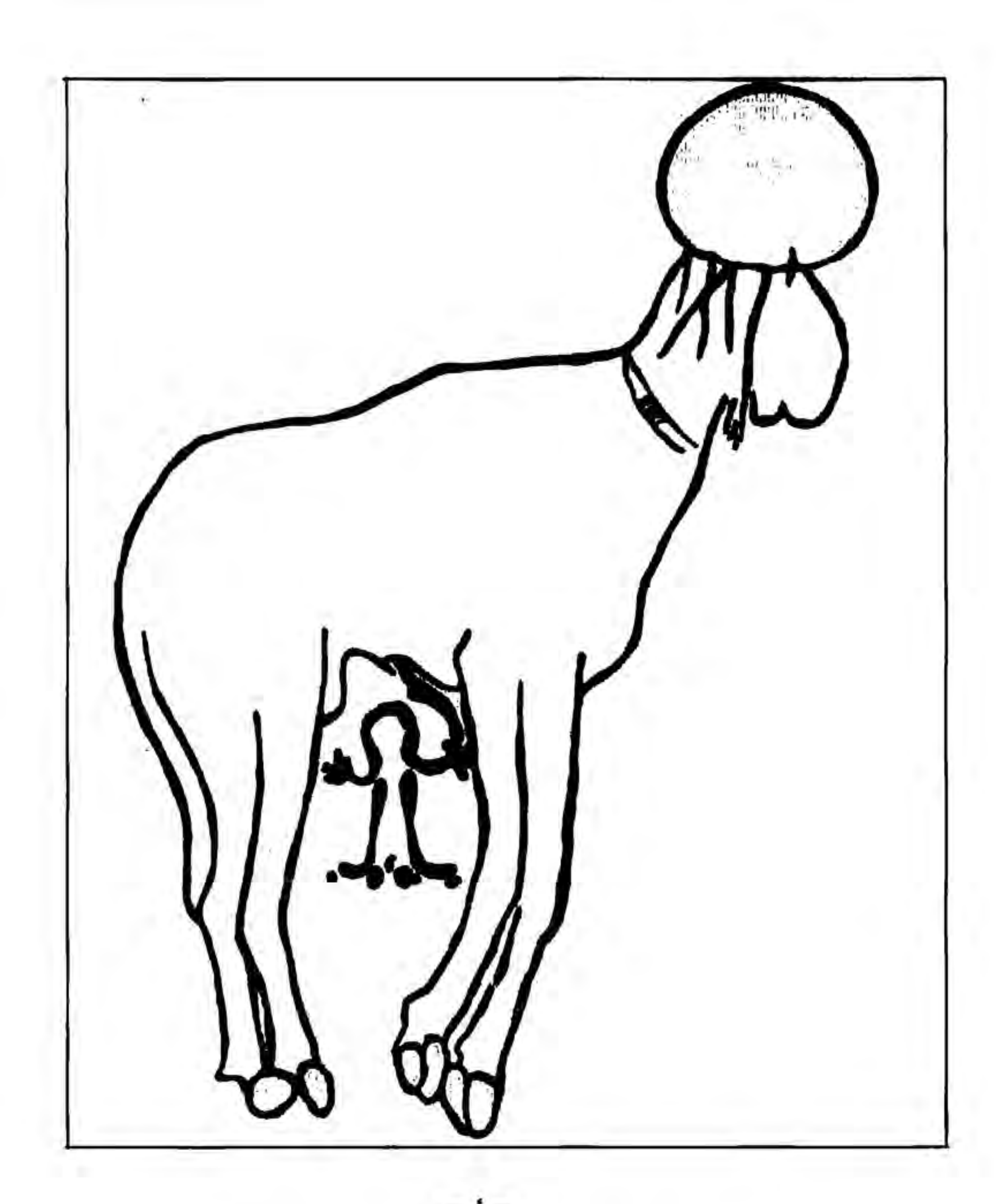
(1) - H. L'Hote, vers d'autres Tassilis, éd. Arthaud. Paris 1976, P. 19.

(2) - G. Camps, Les civilisations préhistoriques, P. 328.

(3) - R. Vaufrey, L'arts rupestres Nord- Africain, archives de l'institut de paléontologie humaine. Mém. N° 20, (4) Paris, 1939, PP. 10- 127.

(4) - N. Orloff, l'art rupestre préhistorique de l'Afrique du Nord in l'Afrique Méditerranéen Bruxelles 197, PP. 11- 17.

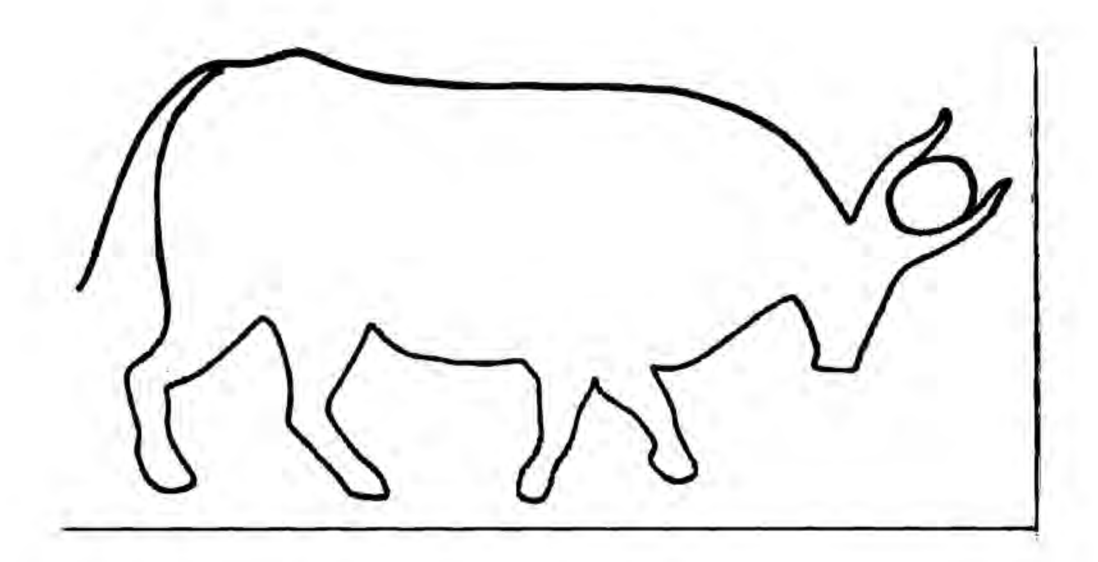
(5) - R. Vaufrey, Préhistoire de l'Afrique, Tome I, Paris 1955, P.153.



– أ –

يبرز الشكل أعلاه صورة كبش يحمل على رأسه دائرة تشير إلى قرص الشمس، وقد عثر عليها بمنطقة الجلفة وهو يشير إلى عبادة الإله أمون

الشكل رقم 46 (أ)



– ب –

عجل يحمل بين قرنيه قرصا يشير إلى عبادة قرص الشمس، وقد عرف تحت اسم الإله قرزيل، عثر على رسمه في ليبيا

الشكل رقم 46 (ب)

أما عن النطاق الجغرافي للرسوم الصخرية فيتمثل في أن تلك الرسوم كانت قد وجدت في المناطق البعيدة عن الساحل، وقد فسر ذلك بعد تلاؤمها وتأثرها بالرطوبة. وقد تركزت الرسوم الصخرية في بلاد المغرب القديم وذلك في عدة مناطق نذكر منها:

أ المناطق شبه الصحراوية في المغرب الأقصى وقد درسها الحبر اليهودي ماردوشيه (Mardochée) وذلك فيما بين سنوات (1875 – 1884) ومن بين مواقعها الهامة تيشوكان بالأطلس الكبير ووادي درعة ...الخ[1].

ب منطقة الجنوب الوهراني وتعد من الأماكن الغنية، ذلك لأن الرسوم الصخرية فيها تمتد بامتداد الأطلس الصحراوي بحيث تظهر في كل من جبال قصور وعمور

(1) - Ibid, P. 149.

وأولاد نايل[1]. وقد اكتشفت لأول مرة خلال سنة 1849 من قبل بعثة استكشافية فرنسية كانت قد جابت المنطقة، ثم توالت عليها الدراسات بعد ذلك.

الصحراء الوسطى الجزائرية وفيها تتركز الرسوم الصخرية أكثر من غيرها بحيث اعتبرت بعض مناطقها الغنية بالرسوم والنقوش الصخرية مثل التاسيلي والهوجار بمثابة متحف في الهواء الطلق. وقد تجاوزت رسومها خمسة عشرة ألف رسم[2].

ومن أشهر الذين درسوا نقوشها نشير إلى الباحث الفرنسي هـ. لوت الذي بدأت أبحاثه منذ سنة 1956 كما بينا ذلك سابقا، بالإضافة إلى م. ريجاس (M. Reygasse) و ر. بيري (R. Perret) وموري (F. Mori) وكان هؤلاء الأخيرين قد سبقوا لوت في دراستهم للمنطقة.

وقد مسحت المنطقة الصحراوية الوسطى مسحا غير كامل ولا تزال الأبحاث متواصلة بها في وقتنا الحالي تحت رعاية وزارة الثقافة الجزائرية[3].

منطقة التل القسنطيني وقد درست مواقع الرسوم الصخرية فيها من قبل جـ. و لوفافر(G. et Lefevre). وقد أبرزت تلك الدراسة المكانة الاقتصادية والثقافيةالتي يمكن أن تستخلص من تلك الرسوم[4].

مناطق الجنوب الغربي من تونس وكذا المنطقة التلية وذلك مثل منطقة جبيبنة وبليجي. وقد درست المواقع التونسية من قبل بعض الباحثين نذكر منهم صولينياك[5].

منطقة فزان بجنوبي غربي ليبيا والتي اعتبرت مركزا هاما للرسوم الصخرية لا يقل في أهميته عن المواقع الصحراوية الجزائرية المحاذية له.

ومن بين الذين درسوا الرسوم الصخرية في فزان نشير إلى الباحث فروبينيوس (L. Frobeninus) الذي نشر أعماله في عام 1937، تضاف إليه أعمال الباحث الإيطالي

---

(1) - H. Lhote, op. cit., P. 107.

(2) - H. Breuil et H. L'Hote , op. cit., P. 94.

(3) - H. Lhote, Les gravures rupestres de l'Oued Djerat, 2 Tome, Alger 1976.

(4) - G. et L. Lefebre Corpus de gravures et des peintures rupestres de la région de Constantine, Arts et métiers graphiques, Paris 1967, P. 94.

(5) - E. G., Vaufrey, deux gisements extrêmes d'Iberamaurusien, L'Anthr., N° 42, 1932, PP. 430- 449.

غرازيوزي (Graziosi) التي نشرت سنة 1933[1]. وتعود أهمية الرسوم الصخرية بفزان إلى أنها تغطي بمواضيعها كامل فترات هذا الفن.

ز. منطقة الواحات المصرية ووادي النيل، وقد درست مواضيع الرسوم الصخرية بها من قبل الباحث هانس (Hance)وينكلر (H.Winkler) والأمير كمال الدين حسين، بالإضافة إلى الدراسات التي قدمها أركل(Arkel) وساندفورد[2]. وفي نظر وينكلر، فإنه يمكن تقسيم مواضيع الرسوم الصخرية في مصر إلى أربع مجموعات متكاملة، متدرجة تاريخيا نذكر منها الصيادون الأوائل وسكان الجبال المحليين، ثم سكان وادي النيل الأوائل والغزاة الشرقيين[3].

والجدير بالذكر أنه إضافة إلى المناطق التي أشرنا إليها في شمال إفريقيا والخاصة بالنقوش والرسوم الصخرية، يمكن أن نضيف مناطق أخرى مثل جبال التبسي و ايتيدي بالتشاد ومنطقة إير (Air) بالنيجر وبعض المواقع في الصحراء الغربية وموريطانيا[4].

ج – المواضيع التي تناولتها الرسوم الصخرية:

يمكن لمتتبع فن الرسوم الصخرية في بلاد المغرب القديم ومنطقة الصحراء أن يستنتج عدة مواضيع هامة تترجم أوجه الأنشطة التي كان يسايرها الإنسان القديم في حياته اليومية، كذلك يمكنه أن يلاحظ أيضا العلاقة المتشابهة بين عدة مناطق متباعدة من حيث التوزيع الجغرافي. غير أن مواضيعها تكاد تكون واحدة.

وعلى سبيل المثال نأخذ صورة الكبش الذي يحمل بين قرنيه دائرة تشير إلى قرص الشمس في كل من الواحات المصرية، لاسيما واحة سيوة التي عرفت بواحة أمون بعد انتشار عبادة هذا الأخير فيها، وكذا منطقة جنوب الغرب الوهراني وأفلو بالأغواط وخنقة الحجار شرقي قسنطينة، حيث نجد أن موضوع عبادة الكبش يكاد يكون واحدا في كل

---

(1) - L. Frobenius et H. Obermarier, Hadschra Maktuba.

(2) - H. A Winkler, Rok Drauvings of souther upper Egypt, VI, Oxford, University press, London 1938, P. 32.

(3) - H. A. Winkler, op. cit., P. 36

(4) - A. Gandio, Les civilisations du Sahara 10 Millénaires d'histoire de culture et de grand commerce, éd. Marabout , Université, 1967, PP. 29 –30.

من الواحات المصرية والمواقع الجزائرية المشار إليها، والصورة في مجملها ترمز إلى تقديس قرص الشمس عبر الدائرة التي تعلو رأس الكبش الذي غالبا ما كان يزود بقلائد وزوائد أخرى[1]. [أنظر الشكل 46 (أ، ب)، ص 154، 155].

وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ الإغريقي سترابون بأنه كانت هناك حيوانات اسطورية في موريطانيا تشبه الثيران وتبدو في قوتها وشكلها ونوعية حياتها تقترب من الفيلة[2].

إن في إشارة سترابون الآنفة الذكر ما يجعلنا نستنتج بأن عبادة الثيران كانت هي الأخرى تمارس في شمال إفريقيا وأن عبادة الثور قرزيل لدى القبائل القاطنة بالقرب من طرابلس بليبيا الحالية كانت شائعة[3].

كذلك أظهرت أيضا صور الأسود التي وجدت بكثرة في الرسوم الصخرية في كل من الأطلس الصحراوي والشرق القسنطيني على أنه لا يستبعد بأن الأسد هو الآخر كان يقدس.

وقد لاحظ الباحث فلامند أن منطقة فزان كانت بمثابة جسر يربط بين الرسوم الصخرية في كل من مصر وشمال إفريقيا من حيث الجمع بين التقنيات التي استعملت في الرسم وكذا المواضيع والأسلوب[4].

وفقا للمنظور الآنف الذكر، يذهب الباحث فروبينيوس بعد دراسته لرسم النوبة، بأنه كانت تسود في فترة ما قبل التاريخ ثقافة لا يستهان بها عمت كامل منطقة شمال إفريقيا وكان عمودها الفقري هو الرسوم الصخرية التي تقاربت مواضيعها من حيث الأسلوب والتقنية[5].

وحول رسوم القوارب التي وجدت عالقة على بعض صخور جبال التاسيلي يرى هـــ. بروي، بأن ذلك النوع من القوارب لم يوجد في الصحراء هكذا من تلقاء نفسه، بل كانت فكرته مستوحاة من القوارب النيلية بمصر العليا وذلك للشبه الموجود بين رسوم الأشخاص الذين وجدوا في المنطقة الصحراوية وبين أولئك الذين وجدت رسوماتهم في

---

(1) - H. L'Hote, Les gravures rupestres de L'Atlas Saharien , éd. Office du parc national du Tassili, Alger 1984, PP. 219- 227.

(2) - Strabon, XVII, 3-5.

(3) - M. Leglay, saturne africaine , part- histoire, éd. Boccard, Paris 1966, P. 423.

(4) - G. et L. Lefebre, op. cit., P. 95.

(5) - L. Frobenius, op. cit., et Hobermaier, op. cit., P. 73.

النوبة والسودان. ومن المحتمل أيضا أن تكون رسومات القوارب تلك من إنتاج أقوام ليبية كان لها الاتصال مبكر بمصر وذلك منذ عصر ما قبل الأسر ثم انعكست بعد ذلك نحو المنطقة الصحراوية[1]. [أنظر الشكل 47 (أ، ب)، ص. 159، 160].

غير أننا لا نلتقي مع هـ. بروي فيما ذهب إليه معتمدين في ذلك على وضعية المنطقة المناخية التي كانت متوفرة حينذاك والتي لا تزال تشهد عليها بقايا الوديان الجافة المتوافرة في المنطقة حتى وقتنا الحاضر.



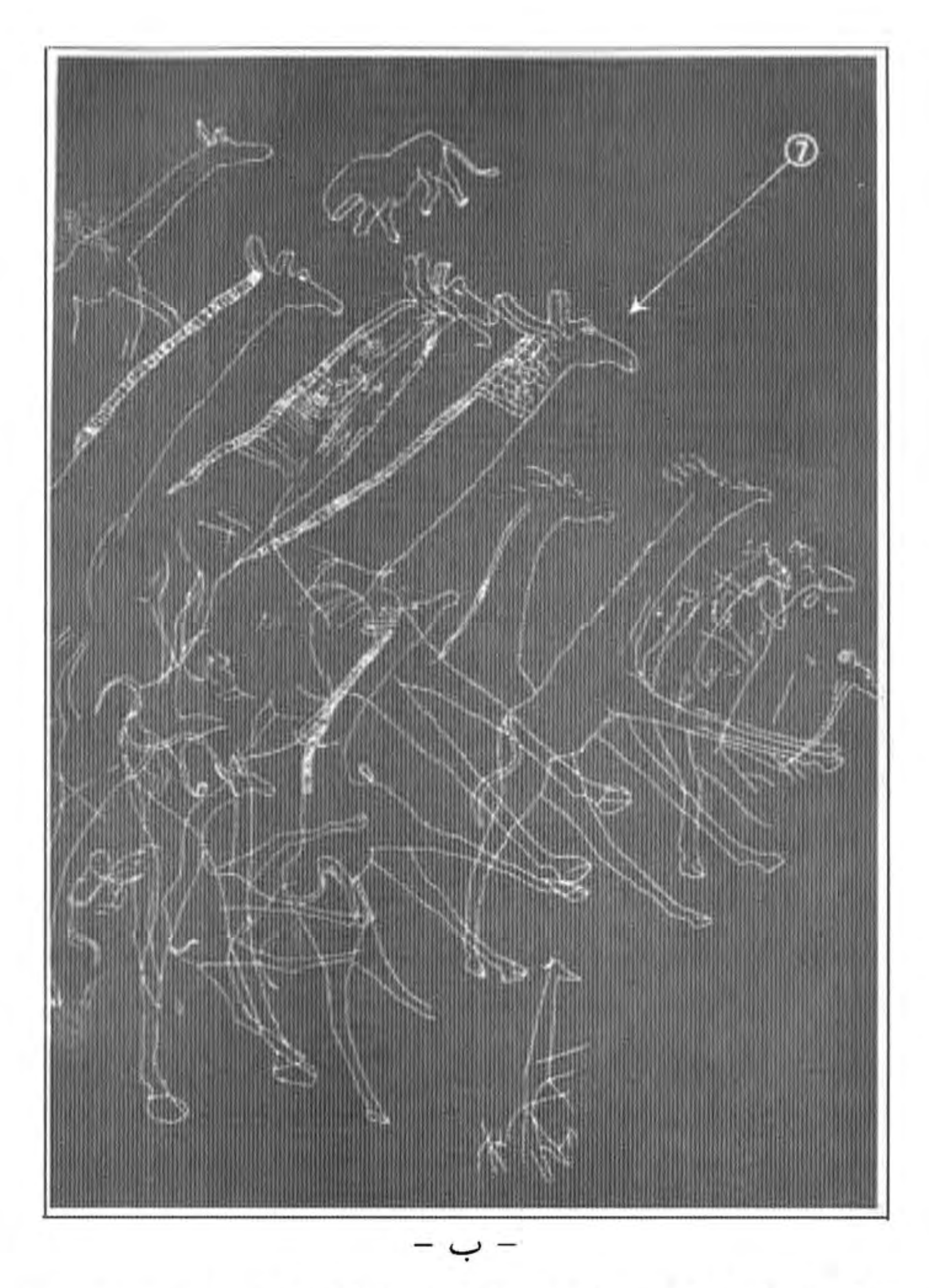
- أ -

رسم لقارب عثر عليه بمنطقة التاسيلي بالصحراء الجزائرية وهو يظهر مدى التقلبات المناخية التي حدثت في المنطقة

الشكل رقم 47 (أ)

---

(1) - H. L'Hote, à la découverte des fresques du Tassili, P. 57.



– ب –

مشهد لزرافات كبيرة الحجم يدل وجودها على أن المنطقة كان يسودها مناخ رطب وسفانا ذات أعشاب غنية

الشكل رقم 47 (ب)

كما أن وجود رسوم الحيوانات الضخمة التي لا تعيش إلا في مناخ رطب لأكبر دليل على أن المنطقة كانت تنال كمية من الأمطار تجعل طبيعة ودياها مغايرة لما هي عليه في الوقت الحاضر. وعليه فإنه لا يستبعد أن تكون فكرة رسوم القوارب المشار إليها مستوحاة من المنطقة الصحراوية ذاتها[1].

وعلى العموم، فإن المواضيع التي تناولتها الرسوم الصخرية والتي يمكن استنتاجها منها لا تخرج عن جوانب الطقوس التعبدية سواء أكان ذلك في شكل عبادة الحيوانات مثل الحيرم والثور وكذا الكبش أم في شكل أقنعة تنكرية يرتديها أشخاص بقصد طرد الأرواح الشريرة التي كانوا يعتقدون بأنها تطاردهم في حياتهم الخاصة.[أنظر الشكل 48 (أ، ب)، ص. 162، 163].

وقد تنكر الإنسان بارتدائه لجلود الحيوانات وذلك بغرض إيهامها والتقرب منها قصد اصطيادها. وهو ما يمكن أن يفسر على أنه يدخل ضمن جانب من الحياة الاقتصادية التي كان يسايرها الإنسان حينذاك في المنطقة.

يبدو أن الهدف من الصيد كان هو ضمان البقاء بالنسبة لإنسان ذلك العصر الذي لم يكتشف الزراعة بعد، فيما عدا موقع أمكني الذي تعود بداية الزراعة فيه إلى الألف السابعة ق.م ولم يعد الجمع والالتقاط يسد حاجته بعد أن بدأ الجفاف يدب في المنطقة.

وتبدو بعض مناظر الصيد ممثلة في أناس يحملون القوس والعصي ثم يقتربون من بعض الحيوانات كوحيد القرن والغزلان، كذلك تظهر بعض صور الكلب رفقة الصيادين وهو ما يدعونا إلى الاعتقاد بأن الإنسان كان قد دجن بعض الحيوانات واستعان بها في كسب رزقه.

ومن بين الأسلحة الأخرى التي كان الإنسان يستعملها في الصيد حينذاك نشير إلى الهراوات والترس والرمح وعصا الرمي لاصطياد الطريدة الصغيرة[2].

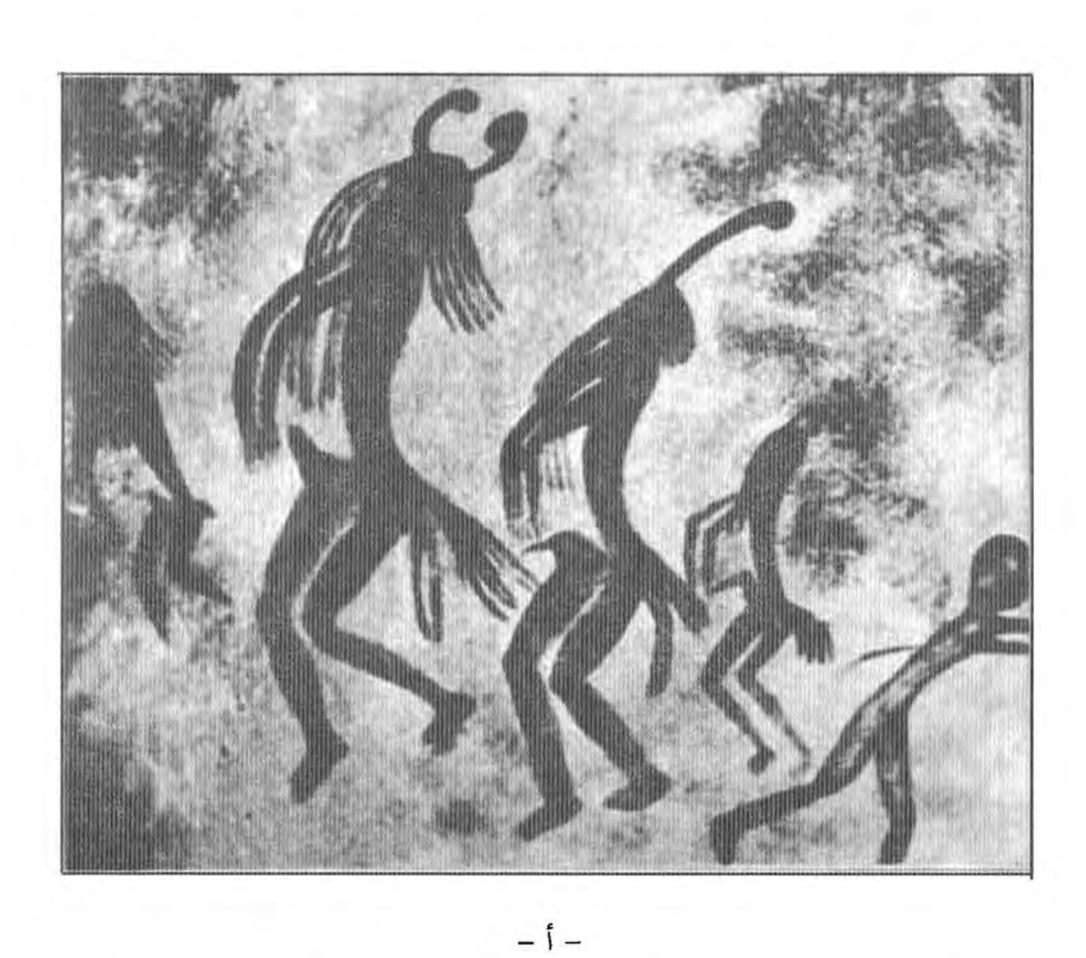
أما عن الرعي الذي يدخل هو الآخر ضمن الحياة الاقتصادية فيتمثل في استئناس بعض الحيوانات التي كانت تظهرها الرسوم وقد شدت بحبل يمسك الإنسان بإحدى طرفيه ليقودها. أحيانا أخرى تظهر الحيوانات وقد ضمت إلى بعضها البعض في مشهد لأخذ الحليب منها[3].[أنظر الشكل 49 (أ، ب)، ص.164، 165].

---

(1) محمد الصغير غانم، المحتوى التاريخي للرسوم الصخرية، المعطيات الجغرافية والمناخية، مجلة الأصالة عدد 72، الجزائر، 1979 ص ص 69 – 82.

(2) P. Breuil et H. L'Hote, op. cit, P. 114.

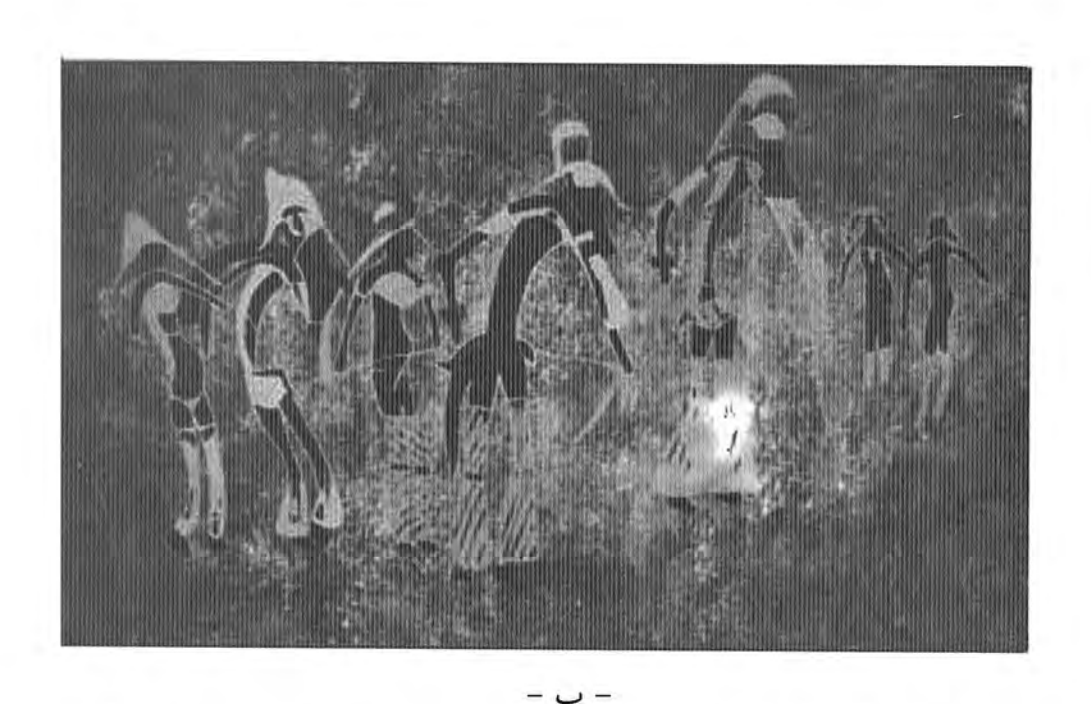
(3) عصا الرمي، (Boomirang) هو سلاح يستعمل للاصطياد عند الشعوب البدائية بحيث أنه لا يزال يستعمل حتى يومنا هذا عند بعض القبائل الإفريقية.



- أ -

صورة للرسوم الصخرية تمثل رقصات طقوسية لأشخاص متنكرين عثر عليها في واد عكري بليبيا

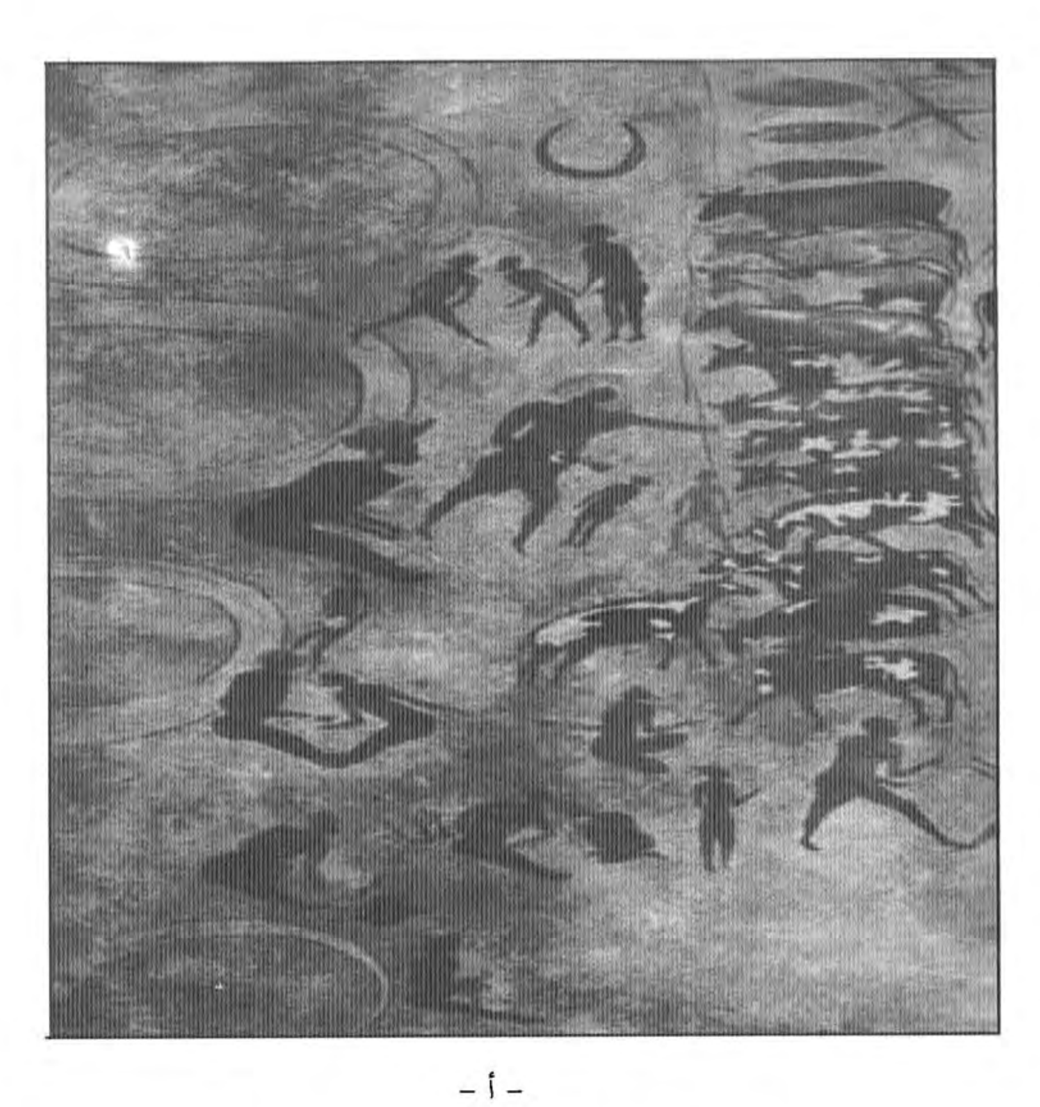
الشكل رقم 48 (أ)



- ب -

يلاحظ في الصورة أعلاه رسوم أشخاص متنكرين ويرتدون أقنعة على رؤوسهم – عثر عليها في منطقة صفر بالصحراء الجزائرية

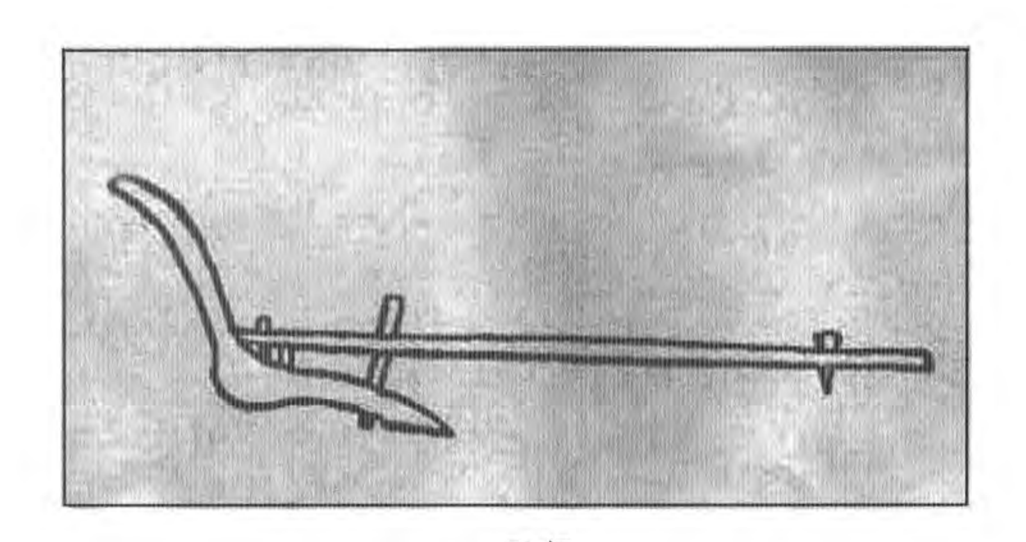
الشكل رقم 48 (ب)



- أ -

مشهد لأبقار في حالة در الحليب وحولهم أشخاص

الشكل رقم 49 (أ)



-ب-

المحراث الأوراسي ذو الذراع الطويل

الشكل رقم 49 (ب)

وحول الحياة الاجتماعية التي يمكن استنتاجها من الرسوم الصخرية يمكن أن نشير إلى الرقصات الطقوسية وتسريحات الشعر واللباس الذي كان يرتديه الإنسان ثم إظهار بعض الصور للأعضاء التناسلية للرجال والنساء الحوامل وكذا رسم الأيدي والأرجل التي كان الهدف منها هو طرد الأرواح الشريرة التي كان يتصورها الإنسان حينذاك تطارده في كل مكان. ومع ذلك فقد صمد متلمسا حياته في خضم ذلك الوسط الذي لم يكن سهلا على الإطلاق[1].

(1) - G. Aumassip, Trésors de l'Atlas, entreprise nationale du livre, Alger 1986, P. 124.

د- الطرق المتبعة في تنفيذ الرسوم:

كانت عمليه النقش التي اتبعها فنانو الرسوم الصخرية في إبراز صورهم قد اتخذت عدة أشكال وطرق تتلاءم وطبيعة المنطقة والصخور التي رسمت عليها.

كما خضع تنفيذ تلك الرسوم أيضا إلى نوعية الآلة الحجرية التي غالبا ما كانت تتخذ شكل حذوة الفرس (حذاء الفرس U أو على شكل حرف V اللاتينية)[1].

ومن أبرز الطرق التي اتبعت في تنفيذ الرسوم الصخرية في بلاد المغرب القديم والصحراء على الخصوص تشير إلى طريقة الحز الغائر التي عم استعمالها في تنفيذ صور المنطقة.

ويلاحظ من بعض الصور أنه لابد من تهيئة الصخور بواسطة الصقل وذلك قبل تنفيذ الرسم غير أن عمليه الصقل تلك لم تكن عامة ولا يتبع فيها أية قاعدة، غاية ما هنالك أنها تظهر في كثير من الأحيان في الرسوم الملونة.

وفي هذا الصدد يذكر الرحالة الألماني بارث (Barth) الذي كان أول من لاحظ ظاهرة الصقل في النقوش الملونة، بأن الصقل هو عبارة عن إعداد الشكل للتلوين فقط[2].

وقد أيده في ذلك العالمان فلامند وفوفري. وكان هذا الأخير قد أتى بمثال للتدليل على صحة قوله وذلك برسوم الكبش المتوافرة في رسوم الجنوب الوهراني والتي تمثل نقشا ملونا[3].

إلى جانب تنفيذ الرسم بواسطة الحز وجدت هناك طريقة أخرى تمثلت في طريقة التوتيد (Piquetage) أو الطّرق وهي عبارة عن ضربات متوالية بواسطة أزميل أو منقار يمسك باليد ثم يدق بحجرة أخرى حتى يترك حفرة صغيرة وتتوالى تلك الحفر الصغيرة ليتكون من مجموعها في الأخير الشكل المراد رسمه. وهذه الطريقة الأخيرة قد توفرت بكثرة في رسوم وادي النيل، لاسيما في مجموعة صور الصيادين الذين عثر على صورهم في النوبة، وكذا رسوم الرعاة في جبل العوينات بمصر العليا[4].

---

(1) - H. Aliman, Préhistoire de l'Afrique, Paris éd. Boulée et Cie, Paris 1955, P. 436.

(2) - R. Vaufrey, L'art rupestre Nord-Africain, Archives de l'Institut de paléontologie humaine, mém. N° 20, (3) 1939, P. 105.

(3) - Ibid, P. 112.

(4) - R. Couvin, Histoire de l'Afrique, Payot Paris 1962, T. I, P. 35

وهناك طريقة ثالثة في تنفيذ الرسوم الصخرية عرفت هي الأخرى بطريقة التنقيط وغالبا ما توجد عالقة ببيض النعام والأشياء اللينة غير قابلة للحز والطرق.

ومن جهته يذكر الباحث الإسباني الماجرو (Almagro) بأن الرسوم التي وجدت بجزر الكناري كان فنانوها قد اتبعوا فيها طريقة الحز مع قليل من الطرق[1].

وعلى العموم يمكن أن نقول فيما يخص عملية تنفيذ الرسم بأن فناني بلاد المغرب القديم كانوا قد اعتمدوا في رسومهم طريقة الحز وقليل من الطرق بينما انتشرت عملية الرسم بواسطة الطرق في وادي النيل وجمعت فزان بليبيا والساقية الحمراء بالصحراء الغربية بين الطريقتين (الحز والطرق)، مما جعلنا نعتقد بأن فزان كانت هي الجسر الرابط بين مدرستين فنيتين عفويتين وجدت إحداهما في بلاد المغرب القديم والأخرى بوادي النيل.

بقي أن نشير إلى أن الألوان المستعملة في الرسوم الصخرية كانت في بداية الأمر تتم بواسطة المغرة، ثم استخرجت الألوان من الشحم المحروق وكذا مخلفات الدخان[2]. كما أنها كانت تحضر وتمزج بطرق لا تزال مجهولة حتى الآن.

وكانت الريشة المستعملة في الرسم تتخذ إما من ريش النعام والطيور الأخرى أو من شعر الحيوانات، وكانت تلك الأشياء تربط في رأس عصا طويلة وذلك قصد الوصول إلى الأماكن المرتفعة في الصخور والكهوف.

وبواسطة العصا الطويلة التي استعملت "كفورشة" نفذت الرسوم الطبيعية التي وجدت في كثير من الأماكن الصحراوية، وفي بعض الأحيان كان الفنان القديم يستعين بأصابع يديه ورجليه مباشرة لتنفيذ الرسم، لاسيما في الرسوم الرمزية التي تمثل بعض الطقوس التي كانت تمارس حينذاك وذلك مثل التبرك ودفع الأرواح الشريرة[3].

هـ - الجانب الكرونولوجي:

عندما يريد الباحث أن يؤرخ للرسوم والنقوش الصخرية، عليه أن يراعي ثلاثة أشياء هامة هي: الأسلوب والتقنية ثم الموضوع.

- M. Guido, Les civilisations de l'Europe ancienne, éd. Arthaud, Paris 1967, PP. 33 – 51. (1)
- J. Hawks et L.Woolley, La préhistoire et les débuts de la civilisation in histoire du développement culturel et science de l'humanité, et R. Laffort, Paris 1963, P. 171. (2)
- A. Sahly, Les Mains mutilées dans l'art préhistorique ; maison tunisienne de l'édition, Tunis 1966, P.248. (3) (3)

فعن طريق الأسلوب يمكن أن نعرف ما إذا كان الرسم طبيعيا أو رمزيا، ويتمثل الأسلوب الطبيعي مثلا في رسوم الحيوانات الضخمة التي اعتبرت سابقة للعصر الحجري الحديث.

أما الرمزية فهي تعني تلك الرسوم التي أصبح الفنان فيها يميل نحو التجريد بحيث أصبح يتحكم في أعماله الفنية، وبذلك نراه يرسم لنا غزلانا وبعض الحيوانات الأخرى في غاية الجمال والدقة، ثم رسم أيضا صور الأيدي والأرجل رمز بها إلى أشياء طقوسية، ولا يستطيع الفنان في رأينا أن يكتسب هذه المهارة إلا إذا مر بتجربة أولية أكسبته خبرة في ذلك الوسط الصعب الذي كان يعيش فيه.

كما أن التقنية تعني في رأينا كيفية تنفيذ الرسم والألوان التي تعطى له، بالإضافة إلى اختيار واجهات الصخور التي تحمل الرسم[1].

ويربط اختيار الموضوع بالظروف التي كان يعيشها الإنسان من صياد إلى مستأنس للحيوانات ومدجن للزراعة ومحارب بغية حب البقاء.

ومع ذلك تبقى التقسيمات الكرونولوجية بالنسبة للرسوم الصخرية محيرة، ذلك لأنه لم تكن هناك فترة تدرج فيها هذه الأعمال الفنية التي انتقلت فيها من البدائية نحو التطور بحيث تظهر بدائية الرسوم الأولى ورداءتها بالنسبة للرسوم المتطورة الأخرى التي تليها.

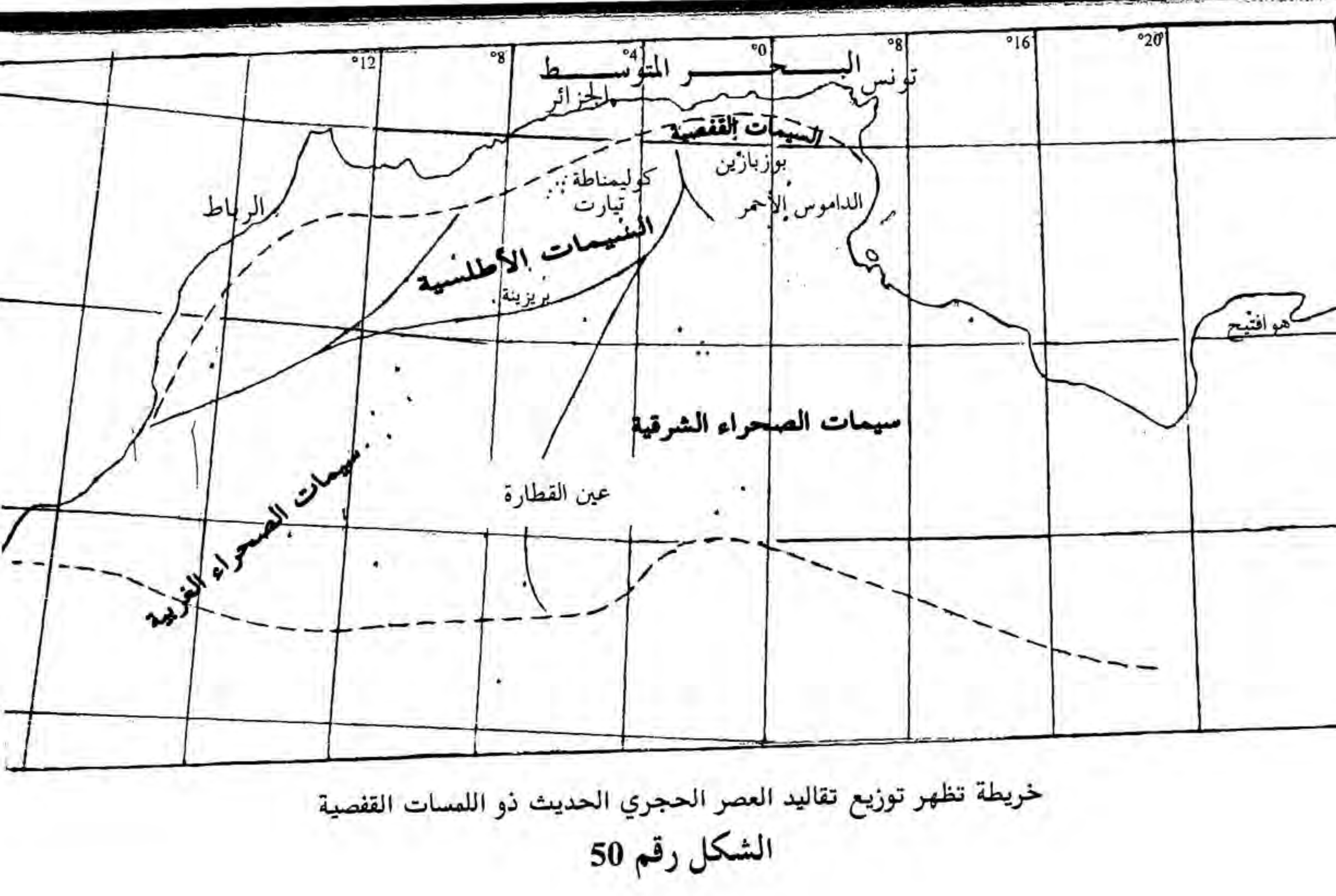
بناء على ما سبق، فإن الرسوم الصخرية من حيث التقنية والألوان تبدو متعاصرة إلى حد كبير مما أدى بكثير من الباحثين إلى القول بأن تلك الرسوم انتشرت بسرعة في المناطق الصحراوية دون سابق إشارة، ففي خلال آلاف قليلة من السنين غطت تلك الرسوم والنقوش الفنية كامل المناطق التي ظهرت بها[2].

ومع ذلك فإن تقسيمات الرسوم الصخرية الكبرى يمكن أن ترتكز على الأساليب التي نفذت بها والكرونولوجي التاريخي الذي استنتج من بعض مواضيعها وهي وفقا لذلك وباتفاق كثير من الباحثين تبدو على الشكل الآتي:

---

(1) أنظر ما سبق، ص 35.

(2) H.J. Huggot, op. cit., P. 24.



خريطة تظهر توزيع تقاليد العصر الحجري الحديث ذو اللمسات القفصية

الشكل رقم 50

مرحلة الحيرم والأبقار المتوحشة، يمكن أن يطلق عليها أيضا مرحلة الصيادين وذلك برسومها الطبيعية وحيواناتها الضخمة، وهي تعود إلى الألف السادسة أو الخامسة على أقل تقدير. وفي هذه المرحلة ليست هناك أية إشارة لاستئناس الحيوانات فيما عدا الكلب الذي وجدت عظامه في بعض المواقع العائدة لتلك الفترة. وقد استغرقت هذه المرحلة عدة آلاف من السنين. ومن بين الحيوانات التي وجدت خلال هذه المرحلة نشير إلى الحيرم الضخم والجواميس والفيلة ووحيد القرن. ويلاحظ بأن الموضوع الرئيسي الذي كان يشغل بال الإنسان خلال هذه الفترة هو الصيد[1].

مرحلة الرعاة أو ما يعرفون بذوي الرؤوس المستديرة، لاسيما رعاة الأبقار الذين يغطون المرحلة النيوليتية بكل تفرعاتها والتي امتدت حتى الألف الثانية قبل الميلاد ويمكن أنها تكون قد تواصلت حتى الألف الأولى ق.م. وهذه المرحلة هي التي ارتبطت بممارسة الرعي على نطاق واسع والاشتغال بالزراعة الموسمية في بعض المناطق. ومن بين الحيوانات التي عمت رسومها في هذه الفترة نشير إلى الزرافة والأبقار والحمار الوحشي ثم الخنازير والتماسيح والأسماك...الخ[2].

فترة الحصان أو الخيالة وهي المرحلة التي دخل فيها الحصان إلى بلاد المغرب واستعمل كحيوان للجر والركوب. وقد تميزت هذه المرحلة بمظهر أناسها. ويقدر لها بنهاية الآلف الثاني وبداية الألف الأول ق.م[3].

كذلك عرفت هذه الفترة في منطقة الصحراء الليبية بعصر الجرامنت، ومن بين حيواناتها نشير إلى الحصان والأبقار بالإضافة إلى الماعز والأغنام والحيوانات الأخرى المدجنة ويلاحظ على رسوم هذه الفترة بأنها كانت تتسم بالدقة واستعمال الألوان الجميلة لاسيما الحمراء منها.

مرحلة الجمل، تعتبر هذه هي المرحلة الأخيرة في التسلسل الكرونولوجي للرسوم الصخرية وتصادف مرحلتها في بلاد المغرب القديم بداية التاريخ الميلادي[4].

---

(1) - H. L'Hote, Les gravures rupestres de l'atlas saharien, P. 231 et suite

(2) - H. L'Hote, Le Hoggar, espace et temps, Paris 1984, P. 98.

(3) - H. J. Hugot, op. cit., P 295.

(4) - M.I. Shid, Peintures rupestres du Tassili, N ajjer Trad. De georges pironé) Bondry- Neuchatel, Suisse 1956, P. 50.

(4) - G. Aumassip., Trésor de l'atlas, Entreprise Nationale du livre, Alger 1986, PP. 86-87.

وهناك من يرى بأن الجمل وجد في صحراء شمال إفريقيا قبل أن يستأنس وذلك أثناء العصر الحجري القديم والحديث ويظهر أنه اختفى بعد ذلك ليعود بعد مدة من الزمن كحيوان مدجن استعمل كوسيلة للنقل. وورد في النصوص اليونانية والرومانية أن الجمل قد دخل إفريقيا الشمالية قبل بداية العصر المسيحي بقليل، أما دخوله إلى مصر فهو مرتبط بفترة الغزو الفارسي وذلك خلال القرن السادس (525 ق.م) ومن هناك قد انتقل بعد ذلك إلى بلاد المغرب القديم ولكن بعد فترة ليست بالقصيرة[1].

أما عن الحيوانات الممثلة لهذه الفترة فتتمثل في الجمال وبقية الحيوانات السابقة فيما عدا الأبقار التي بدأت تختفي ويدل اختفاؤها ذلك على ميول المناخ في المنطقة الصحراوية نحو الجفاف[2].

وخلاصة القول يمكننا أن نتساءل عن الأغراض التي كانت تكمن وراء إنتاج الإنسان للرسوم الصخرية. هل كانت لأغراض طقوسية دينية كما أشرنا إلى ذلك في مكانه؟ أم أنها كانت تمارس بقصد سد الفراغ بعد أن أصبح الإنسان مسلحا بالحيّل والأسلحة المتخذة من الحجارة وذلك لاكتساب قوته اليومي بواسطة الصيد؟

هل يمكن أيضا أن نفسر الدافع إلى إنجاز تلك الرسوم والصور بأنه كان عائدا إلى إرضاء غريزة اللهو والمتعة؟ أو مثل ما يقال في وقتنا الحاضر ممارسة الفن للفن؟ أم أن ذلك كان لأغراض أخرى لا يزال البحث قاصرا على إدراك كنهها بعد؟

هل لنا أن نصدق أيضا الآراء التي تذهب إلى أن الصيادين في العصور الحجرية كانوا يعتقدون بأنهم برسمهم للشيء يمكنهم التسلط والاستحواذ عليه، ولذلك، فإن رسمهم للحيوانات التي كانوا يصطادونها يجعلهم معنويا يسيطرون عليها وبالتالي يصبح اصطيادها سهلا؟

إن فن الرسوم الصخرية مهما درس لا تزال الأغراض التي يهدف إليها تحتاج إلى حذاقة وبراعة الدارسين وذلك حتى يتوصلوا إلى المرتكزات الحقيقية التي كانت تعتمد عليها تلك المجتمعات التي أنتجت تلك التحف الفنية في تلك الفترة المتقدمة من الزمن.

---

(1) - G. Aumassip., Trésor de l'atlas, Entreprise Nationale du livre, Alger 1986, PP. 86-87.

(2) - Ibid, PP. 88- 90

والأسئلة التي يمكن أن تطرح في نهاية هذه المحاولة وتحتاج منا إلى جدية في المعالجة، تتمثل في الطرح الآتي:

- لمـــاذا لم يستطع الإنسان الذي رسم ونقش في المنطقة الصحراوية – ثم اختياره للألوان بدقة ومزجها ليخرج لنا صورا بعضها في غاية الجمال – أن يخترع رموزا يكتب بها. علما وأن بداية محاولة الكتابة في العالم القديم كانت قد اعتمدت على الصورة، ثم تدرجت بعد ذلك نحو التجريد حتى وصلت إلى اختراع الأبجديات؟
- هل للتغيرات المناخية التي انتابت المنطقة الصحراوية منذ الألف الثالثة ق.م دخل في ذلـــك ؟ بحيث أن الإنسان الصحراوي بعد بداية الجفاف لم يستقر في مكان واحـــد، فقـــد هاجرت مجموعات منه نحو الشمال، فاقتربت من شواطئ البحر المتوســـط، وهاجرت مجموعة أخرى نحو الجنوب، ثم انتشرت في إفريقيا جنوب الصحراء.
- أمـــا المجموعة الثالثة فقد تجمعت حول ينابيع المياه أو ما يعرف بالواحات وعلى أطراف الأنهار وبذلك قل نشاط الإنسان الصحراوي في ميدان الرسوم الصخرية.
- هل تعد الكتابة الصحراوية أو ما يعرف برموز التيفيناغ القديم هي امتداد للرسوم الصخرية وفي نفس الوقت مقدمة للتيفيناغ الحديث الذي بقيت رموزه متداولة في المـــنطقة حـــتى ما بعد الفتوحات العربية الإسلامية لشمال إفريقيا، لاسيما عند المرأة؟

وهي من بين العوامل المساعدة التي سهلت مهمة الفاتحين العرب في الوصول بالديانة الإسلامية حتى منطقة تمبكتو وجاو (Gao) ثم أعالي نهر النيجر وجنوب موريطانيا والسينيغال.

كما يمكن أن نتساءل أخيرا عن هذا الانفصال الذي ظهر في الثقافة المغاربية في العقود الأخيرة تحت وطأة ثقافة البحر المتوسط التي أصبحت تطبع واقعنا المعاصر محاولة فصلنا عن عمقنا الحضاري الإفريقي – العربي الضارب في أعماق الزمن.

أمام هذه الأمواج الفكرية المتلاطمة التي تحاول أن تجرفنا من منابعنا إذا استمر الأمر على ما هو عليه. علينا أن نتمسك بجذورنا الحضارية، ثم نتفتح بعد ذلك على الثقافات العالمية، وبذلك سنضمن لأنفسنا المناعة التي هي حق من حقوقنا الشرعية في هذا الوجود.

3 - الملامح الاقتصادية للعصر الحجري الحديث في المغرب القديم

.1. مرحلة الجمع والالتقاط

لعل أول مرحلة كانت للإنسان المغاربي القديم على درب الاقتصاد البدائي تمثلت في الجمع والالتقاط اللذين قام بهما أثناء فترة العصر الحجري اللاحق وبداية النيوليتي ويتمثل ذلك في بقايا أصداف الحلزون التي بقيت متناثرة في الرماديات التي استقر فيها الإنسان القفصي. إلى جانب ذلك كان الإنسان يمارس جمع ثمار الأشجار والفستقيات والنبقيات ثم النباتات التي كانت تملأ المناطق التي يعيش فيها، لاسيما قبل أن يعم الجفاف(1).

كما كان أناس بداية العصر الحجري الحديث يمارسون صيد الحيوانات والأسماك والزواحف، هذا بالإضافة إلى جمع بعض الحبوب البرية الناتجة عن الزراعة البرية. [أنظر الشكل 51 (أ، ب)، ص. 175، 176].

وعليه يجب أن نعتبر مرحلة الجمع والالتقاط بأنها كانت عبارة عن مقدمة ضرورية لفترة ممارسة الزراعة، بحيث أنه لا يستبعد أن يكون الإنسان قد ساير المرحلتين معا و لم يتخلص من أحدهما إلا بعد أن أعطيت الأخرى أكلها.

ويلاحظ بأن إشكالية استئناس الحيوانات وتدجين الزراعة في بلاد المغرب القديم لا تزال غامضة. كما أن الدراسات التي تناولت الفترة النيوليتية لا تزال تحبو هي الأخرى. وعليه فإنه من الخطأ الاعتقاد بأن ما قبل التاريخ المغاربي قد يصبح أكثر وضوحا كلما اقتربنا من الفترة التاريخية(2). [أنظر الشكل 51 (ب)، ص.176].

2. استئناس الحيوانات وتدجين الزراعة

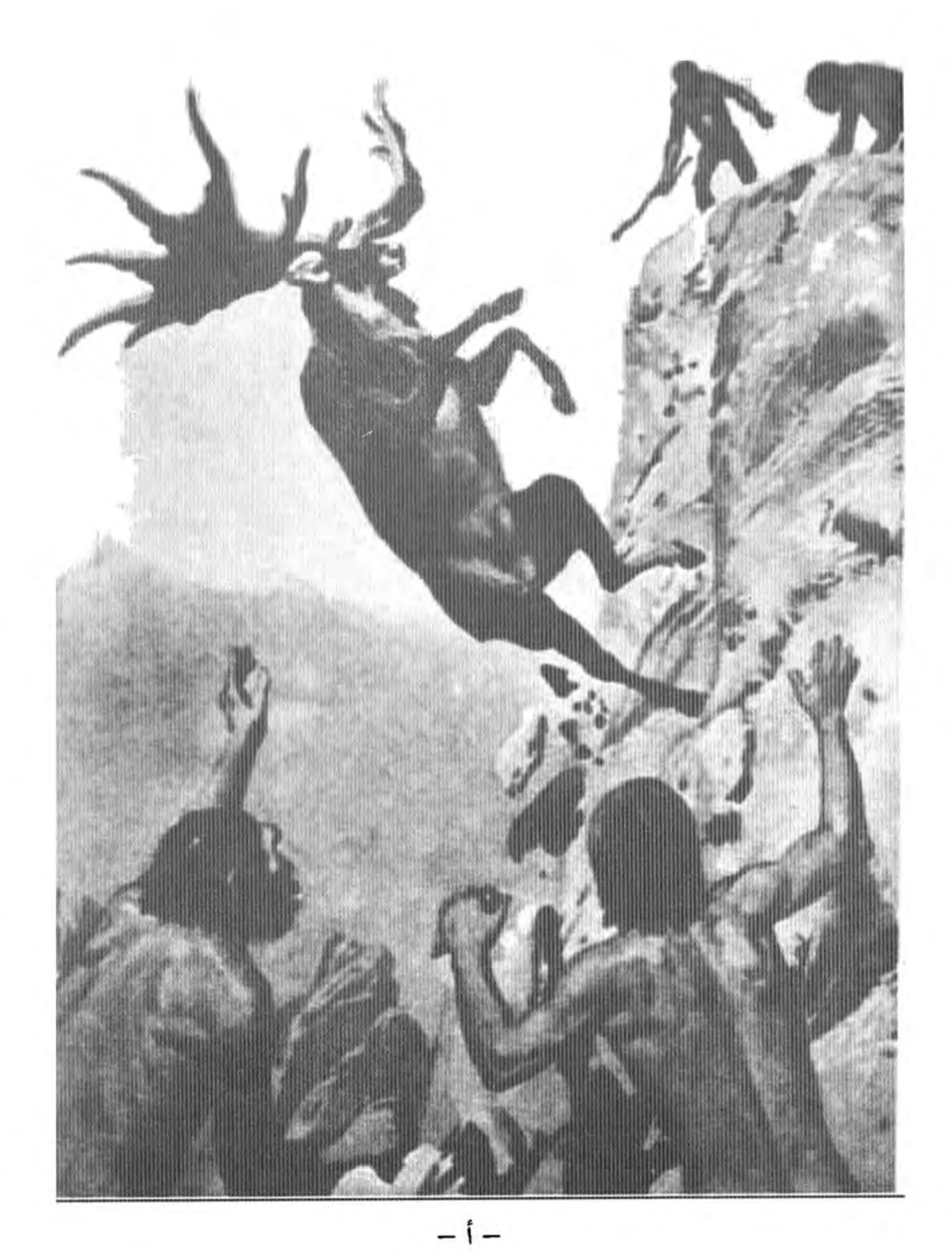
إن قلة الإلمام بوثائق الفترة النيوليتية المتعلقة باستئناس الحيوانات والزراعة تشكل هي الأخرى عائقا أمام الباحثين وتجعل مهمتهم صعبة في تلمس الخطوط العريضة لأصول الزراعة في بلاد المغرب القديم.

لقد كانت هناك محاولات لدراسة بقايا الحياة الحيوانية والنباتية (Faune et Flore) في بلاد المغرب القديم أثناء فترة العصر الباليوليتي، غير أن مثل تلك الدراسات لم تعط نتائج حاسمة فيما يخص العصر الحجري الحديث (النيوليتي) وذلك لعدة أسباب منها:

---

(1) - St. Gsell., Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, T. 1, éd. Otto Zeller Verlagosnabrüch 1972, P. 165.

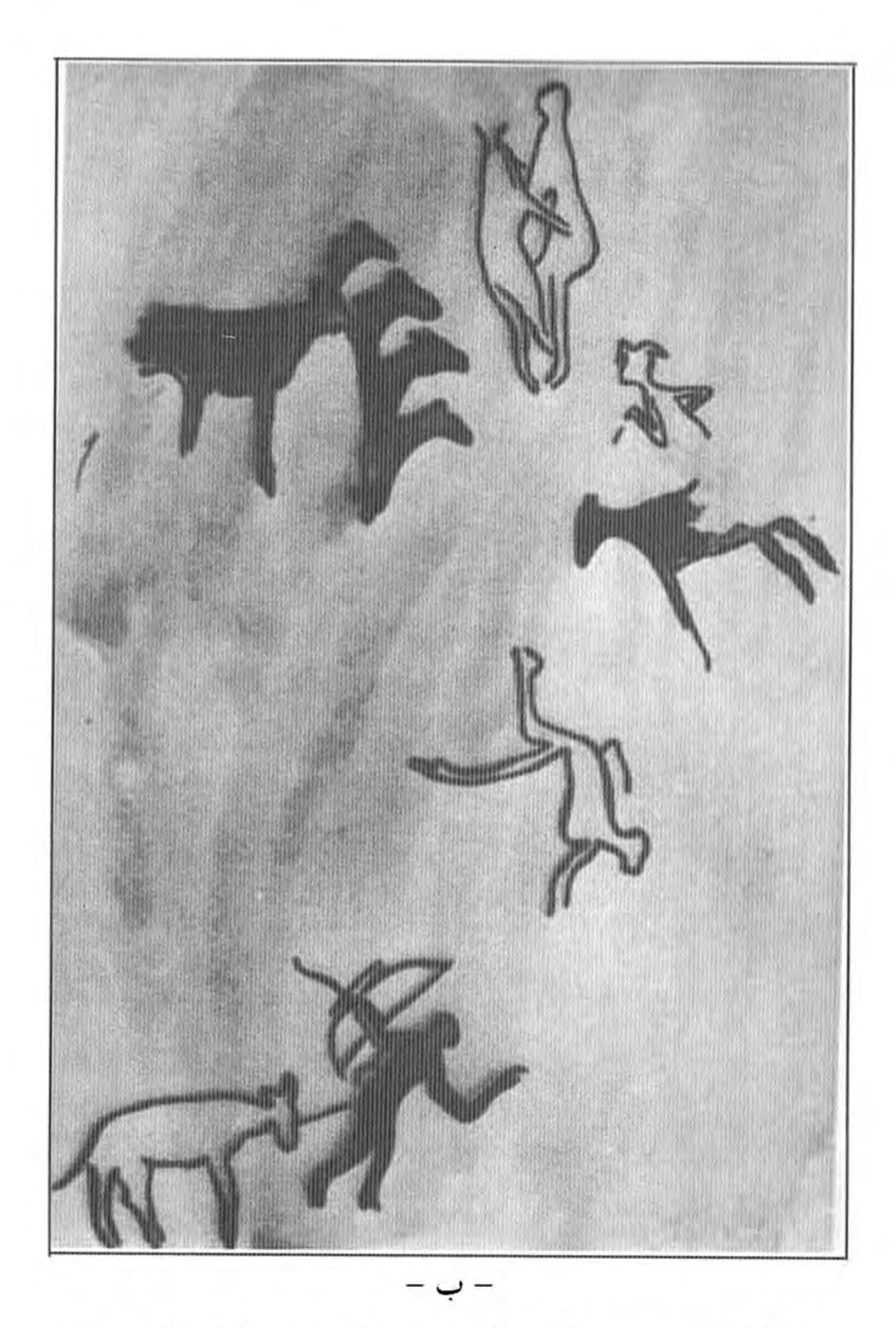
(2) - L. Balout,. Algérie préhistorique, Arts et métiers graphiques, Paris 1958, P.87



- أ -

مشهد مطاردة وصيد الأيائل

الشكل رقم 51 (أ)



– ب –

صورة تمثل استئناس الحيوانات عثر عليها بمنطقة جبارين بالصحراء الجزائرية

الشكل رقم 51 (ب)

1 تعذر العثور على حبوب غبار اللقاح المتحجرة في مواقع شمال إفريقيا وهو عكس ما حدث في مواقع الشرق القديم والمواقع النيوليتية الأوربية التي أعطت نتائج هامة استطا ع الباحثون بواسطتها التوصل إلى دراسة فترة النيوليتي في تلك المناطق[1].

2 لم تحتفظ مواقع شمال إفريقيا ببقايا الحبوب والثمار التي كان يعيش عليها الإنسان وذلك عائد إلى أن السكن كان قد تواصل في مواقع الكهوف والمغارات التي التجأ إليها الإنسان أثناء العصر الحجري الحديث وذلك لمدة طويلة لا يستبعد أن تكون قد امتدت حتى الفترة التاريخية مما جعلها تصبح عرضة للقلب وتغيير وجه سطح أرضيتها عدة مرات وقد ترتب على ذلك فقدان أرضية تلك الكهوف والمغاور لقيمتها الأثرية[2].

3 كانت المواقع الأثرية النيوليتية المغاربية الواقعة في الهواء الطلق فقيرة هي الأخرى من حيث الاحتفاظ ببقايا الأدلة التي تشير إلى الزراعة بصفة عامة فيما عدا بعض المطاحن التي يمكن أنها قد استعملت لأغراض أخرى غير سحق الحبوب[3].

4 كانت التنقيبات الأولى في شمال إفريقيا قد اعتمدت على الحماس دون تطبيق الطرق العلمية السليمة في التنقيب ونشر كامل النتائج التي توصل إليها البحث الأثري وينطبق على حفريات أ. ديبروج (A. Debruge) وغيره من الباحثين الذين كان البعض منهم هواة أكثر منهم متخصصين، وقد تسبب عملهم ذلك في إتلاف وتشويه كثير من الحقائق والمواقع الأثرية[4].

ومع كل النقائص والمآخذ التي أشرنا إليها، فإن بقايا الصناعة الحجرية والعظمية وكذا الرسوم الصخرية التي عثر عليها في مواقع متعددة في المنطقة المغاربية والعائدة إلى العصر الحجري الحديث تترجم بما فيه الكفاية استئناس بعض الحيوانات مثل الأبقار والعنـــز والظأن وذلك في فترة العصر الحجري الحديث.

---

(1) رشيد الناضوري، جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، الكتاب الأول مكتبة الجامعة العربية، بيروت 1968 – ص 133.

(2) - A Debruge, Compte rendu sur les Fouilles des divers abris. Sous rouche des Aiguides, Bougie, rec. des notes et mém. de la soc. Archéologiques de Constantine. T XXXVII. 1903, PP. 133 – 165.

(3) - H. L'Hote. Gravures. Peintures rupestres et vestiges archéologiques des environs de Djanet (Tassili in Ajjer). Office du parc national du Tassili, Alger 1979, PP. 41 – 48

(4) - G. Camps. Monuments et rites funéraires protohistoriques, Arts et métiers graphiques, Paris, 1961 PP.14- 15.

أما الزراعة، فإن تدجينها يبقى محتملا في نهاية العصر الحجري الحديث[1]. وهناك من الباحثين من يحاول ربط قيام الزراعة في بلاد المغرب القديم بقدوم تيار حضاري قادم من الشرق القديم، وأن الصحراء كانت سباقة لمعرفة الزراعة قبل كامل المنطقة المغاربية الشمالية[2].

وبالمقابل يكون الإنسان المغاربي أيضا قد استأنس الحيوانات محليا وفي وقت مبكر ويعتبر ذلك طبيعيا، لأن المنطقة كانت تضج بالحيوانات[3].

وباعتبار أن استئناس الحيوانات واستخدام الزراعة هو من خصائص العصر الحجري الحديث، وأن هذا الأخير قد بدأ مبكرا في بلاد الشرق القديم، فإن الكثير من الباحثين يحاولون أن يجعلوا الموطن الأصلي للزراعة هو منطقة بلاد الشرق القديم. ثم هاجرت بعد ذلك إلى بقية مناطق العالم الأخرى ومنها بلاد المغرب القديم[4]. وهناك من الباحثين من يخالف هذا الرأي فيذكر بأن كلا من الزراعة واستئناس الحيوانات كانتا مستقلتين عن بعضهما. فيمكن مثلا أن تدجن الزراعة في بلاد الشرق القديم وتستأنس الحيوانات في شمال إفريقيا، لاسيما منطقة الصحراء منها[5]. ويدعم هذا الرأي نتائج حفائر المواقع الهامة وذات الشهرة في الشرق القديم والتي برهنت بما فيه الكفاية بأن الزراعة كانت قد سبقت الفخار فيها[6].

وتجدر الملاحظة إلى أن استئناس الحيوانات التي وجدت على السواحل المغاربية والتي كانت على ما يبدو قد تزامنت مع ظهور الفخار إن لم تكن سابقة له، ولا يستبعد أن يكون أناس الفترة النيوليتية من المغاربة الذين استعملوا الفخار الكارديالي (Cardial) الأوربي هم الذين عملوا على بداية استئناس الحيوانات في المنطقة المشار إليها آنفا[7].

---

(1) - P.Quêzel et A. Pons, à propos de quelques grains fossiles du gisement préhistorique de meniet. Bull.de la soc. d'hist. nat. d'Afrique du Nord, T.XLVIII, 1957, pp. 370 – 372.

(2) - G. Esperandieu, les moutons du nord de l'Afrique au néolithique et durant la période protohistorique, Actes du 1er Congr. Agreol des Maroco-espaniol, Tetoin 1953, PP. 121 – 142.

(3) - R. Vaufrey, L'art rupestre Nord Africain, P.65.

(4) يعتبر موقع جريكو (أريحا) بفلسطين من أقدم الأماكن التي دجنت فيها الزراعة ببلاد الشرق القديم، يضاف إليها موقعي شنيدار بشمال العراق وسيالك بشمال إيران، حول هذا الموضوع أنظر ؛ رشيد الناضوري – جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا ص. 119.

(5) رشيد الناضوري، المغرب الكبير ج1 – ص 124.

(6) - St.Gsell,. op. cit. , P. 134.

(7) G. Camps, les civilisations préhistoriques, P. 175

وقد كشفت بقايا موقعي أخريب وأشكار بالمغرب الأقصى على المحيط الأطلسي في سوياتهما الأكثر قدما عظام أنواع كثيرة من الحيوانات المستأنسة نذكر منها الأبقار والخنازير وهو ما اعتبره كثير من الباحثين بأنه يدل على البدايات الأولى للاستئناس[1].

ويلاحظ أنه انطلاقا من بقايا عظام الحيوانات التي عثر عليها في المواقع الأثرية المغاربية لايستبعد أن تكون الحيوانات التي استئنست في بداية الأمر كانت تتمثل في الأبقار والماعز والظأن والخنازير والكلاب.

وعلى ما يبدو من عظام تلك الحيوانات أن هناك نوعان من الأبقار كانت قد ظهرت في شمال إفريقيا نذكر منها ما يعرف بالثور الإيبيري (Bos ibérileus) وهو الذي تعود أصوله حسب بعض الباحثين إلى العصر الحجري القديم الأسفل، والنوع الثاني ينتمي إلى بوسي بريميجا نيوس (Bos Primigenuis).

ويلاحظ من خلال بقايا العظام بأن النوع المستأنس من الأبقار داخل بلاد المغرب القديم الذي كان كبير الحجم وهو ما يبدو سليل الأبقار التي وجدت قبل الاستئناس[2].

ولا تختلف بقايا عظام الماعز عن عظام الظأن، غير أن بعض الباحثين يحاولون إيجاد مبررات تقديم استئناس الماعز عن الظأن في شمال بلاد المغرب القديم، وهناك من يرجع أصول الماعز إلى صحراء النوبة على النيل، غير أن الباحث أركل وفرقته التي نقبت بموقع شهيناب بالسودان في الخمسينات من هذا القرن كانت قد توصلت إلى نتيجة مؤداها لا يستبعد أن يكون الماعز قد استئنس في بداية الأمر بمنطقة دوازف بالصحراء الجزائرية[3]. ومهما يكن من أمر، فإن إشكالية أصول الماعز واستئناسه تبقى مطروحة وكان بومال (Pomel) قد أطلق تسمية كابرا برومازا (Capra promaza) على النوع الذي وجدت بقاياه في موقع الصخر الكبير بالجزائر العاصمة[4].

ولعل الاعتماد على الرسوم الصخرية يمكن أن يسهل دراسة استئناس الحيوانات في المنطقة الصحراوية وبلاد المغرب الشمالية، غير أنه لا يفهم من هذا بأن استئناس الحيوانات كان موجودا فقط في المناطق التي توفرت فيها الرسوم الصخرية، بل كانت ظاهرة

---

(1) - M. Antoine, les grandes lignes de la préhistoire marocaine , public du II congr. Panaf. De préhist., Alger 1952, PP. 46 - 52.

(2) - B. Wai Andah,. L'Afrique de l'ouest avant le siècle historique gène de l'Afrique, l'Afrique ancienne, T.1,P.644

(3) - A. J. Arkell. Shaheinob,. Oxaford University press. London 1953, PP.15 - 16.

(4) - A. Powed,. Sur une nouvelle grotte ossifère découverte à la pointe pescate à l'ouest d'Alger Acad. Soc. , Paris 1894, PP. 986 – 989.

الاستئناس تلك قد عمت كامل المناطق المغاربية التي وجدت بها تجمعات بشرية، وفي كثير من الأحيان يجب أن تؤخذ بقايا عظام الحيوانات المتوفرة في المواقع على أنها كانت لحيوانات متأنسة وفي حيازة أصحابها غير أن الإشكالية التي تطرح هنا هي أننا لا نستطيع أن نفرق بين تلك الحيوانات التي كانت في الحيازة والحيوانات المصطادة ماداموا ينتمون إلى نوعية واحدة.

إن هذه الفرضيات المعتمدة على تتبع استئناس الحيوانات وتوفر الفخار في المواقع الأثرية كانت كلها تهدف لتأكيد تدجين الإنسان للزراعة ثم استقراره وبالتالي تشييده للقرى الزراعية الباكرة، وقد تصبح شبه مؤكدة وذلك عندما نتفحص المعطيات الأثرية التي تركها الإنسان النيوليتي في مواقعه ومن بينها حفر سحق الحبوب وأجزاء المطاحن المصنوعة من حجارة الجرانيت والتي التقطت في معظمها من بعض الطبقات الأثرية[1].

غير أن السؤال الذي يمكن أن يطرح هنا هو، أو لا يمكن أن تكون أدوات الطحن أو السحق تلك التي عثر عليها كانت قد استعملت في بداية الأمر لسحق المغرة التي يستعان بها في تكوين بعض الرسوم، أو لا يمكن أيضا أن تكون قد استعملت أيضا في سحق الحبوب البرية ؟ وعليه فقد يكون وجود تلك المطاحن دليلا ضعيفا يستدل به على تدجين الزراعة في المنطقة.

إن استعراضنا للمعطيات السابقة في تطور حياة الإنسان يجعلنا نتصور المراحل الصعبة التي مرت بها الإنسانية بداية من الجمع والالتقاط، ثم استئناس الحيوانات وتدجين الزراعة وهي مرحلة يمكن أن تكون قد استغرقت آلاف السنين لتكتمل حلقاتها، وعليه فهي تستحق بجدارة أن يطلق عليها مصطلح ثورة إنتاج الطعام التي ترتب عليه إنشاء القرى التي توسعت فيما بعد إلى مدن عندما توفرت لها الشروط الملائمة مثل المسالك والطرق البرية والبحرية التي أدت بدورها إلى التبادل التجاري عن طريق المقايضة ولعل ما يرشدنا إلى ممارسة الزراعة في الجزائر يتمثل بالإضافة إلى مواقع أمكني بالصحراء في تلك الكويرات التي عرفت بكويرات عصا الحفر (Digging Stick) والتي عثر عليها في مواقع العصر الحجري الحديث مثل الداموس الأحمر بالقرب من تبسة[2].

---

(1) - H. L'Hote. Op. cit. P. 43

(2) - G. Camps, Massinissa ou les débuts de l'histoire, imprimerie officielle, Alger 1961, P. 58

يضاف إلى ذلك بقايا أشباه المناجل التي عثر عليها كل من دوميرج (F.Doumergue) وذلك سنة 1929 في كهوف البوليغون بالقرب من وهران وكذا تلك الأخرى التي التقطها ب. كادنة (P. Cadenat) في كوليمناطة بالقرب من تيارت.

يضاف إلى ذلك مربعات مدرجات تازبنت التي سلطت عليها الأضواء خلال عملية التصوير الجوي التي أجريت سنة 1946 تحت قيادة الكولونيل المتقاعد براديز (Baradez). وقد كانت تلك المربعات الواقعة في سفح الجبل محاطة بأسوار بلغ ارتفاعها 0.60 م و 0.80 م ومن دون شك، فإن تلك القطع الأرضية لا تستبعد أنها معدة للزراعة على ما يبدو[1].

وتؤخذ مربعات تازبنت تلك كدليل شبه قاطع على ممارسة المغاربة القدماء للزراعة وذلك قبل وصول الرومان إلى المنطقة، لاسيما في المناطق الداخلية تضاف إليها تجربة الملوك النوميديين.

أما المناطق الساحلية، فإن بداية الزراعة بها تعود إلى الفترة اللوبية – الفينيقية، وهي نتاج مشترك بين المغاربة القدماء والقادمين الجدد الذين أصبحت لهم مزارع قرب المراكز والمدن التي أسسوها على السواحل المغاربية، لاسيما في كل من رأس بونة وخليج تونس وحول ليكوس بالمغرب الأقصى.

ومهما يكن من أمره فإن موضوع الزراعة والاستقرار في بلاد المغرب القديم لا يزالان يحتاجان إلى المزيد من الدراسات الجادة التي تعتمد على بلورة الأفكار واستقاء مصادرها من الوثائق المادية التي تبرزها حفائر العصر الحجري الحديث وعلم الآثار بصفة عامة. وقد يكون لزراعة الواحات الصحراوية والاستقرار على أطراف الوديان التي تبدو جافة في وقتنا الحالي مكانتها الخاصة في إعطاء نفس جديد لمثل هذه الدراسات، لاسيما وأن عنصر الجفاف في بلاد المغرب القديم كان قد بدأ منذ العصر الحجري الحديث يتجه من الجنوب نحو الشمال ولا يزال يزحف حتى يومنا هذا، إلا أن العلم الحديث بدأ يقف له بالمرصاد.

---

(1) - IBid

الخاتمة

يمكن لنا من خلال هذه الجولة في تراث أسلافنا القدماء أن نستخلص بأن مغربنا القديم كان لا يقل شأنا عن بقية مناطق العالم القديم الأخرى، ذلك لأن تفاعلات الإنسان المغربي القديم مع محيطه كانت تدريجية بداية من صناعة النواة والفأس البيفاسية الحجرية في العصر الحجري القديم الأسفل مرورا بصناعة رؤوس السهام العاترية المذنبة وذلك في العصر الحجري القديم الأوسط، وحتى الصناعة المعدنية في العصر الحجري الحديث.

ومن جهة أخرى يستخلص أيضا بأن الإنسان المغاربي القديم كان قد تحكم تدريجيا في اقتصاده وذلك بداية فيما عرف باقتصاد الرماديات escargotières التي ميزت الحضارة القفصية وحتى زراعة الواحات والمدرجات ثم استئناس الحيوانات.

ومن الناحية الفنية فإن إنسان العصر الحجري الحديث كان قد خلد ذكراه في المنطقة المغاربية لاسيما الصحراوية منها برسوم عرفت بالرسوم الصخرية كانت في غاية المصداقية والجمال. وكانت الفكرة الأولى لتلك الرسوم هو محاكاة الحياة اليومية والطقوس السحرية التي كان يعتقد الإنسان أنه بواسطتها يقترب من الأرواح الخيرة في هذا العالم ويبتعد عن الأرواح الشريرة التي كانت تعكر صفو حياته، وهذا ما جعل الباحثين فيما بعد يعتقدون بأن الإنسان لم يهمل في حياته الأولى الجانب المعنوي حيث أنه عندما بدأ يطمئن على حياته المادية بدأ يفكر في الجوانب الفكرية الأخرى مثل الخير والشر في هذا الوجود وذلك وفقا لمحدودية تفكيرهن وهو ما يسمى بالتكامل الحضاري في الحياة الإنسانية القديمة.

وقد بقيت الرسوم والنقوش الصخرية تصارع عاتيات الزمن وتقلبات الطبيعة حتى يومنا هذا. غاية ما هنالك أن تغير المناخ من الرطوبة إلى الجفاف كان قد أعاق تواصل تلك الرسوم إلى درجة أنه يمكننا أن نعتقد أنه كان من الممكن أن ترتقي إلى كتابة مثلها في ذلك مثل الذي حدث في كل من بلاد ما بين النهرين (الكتابة المسمارية) – وفي مصر القديمة (الكتابة الهيروغليفية) اللتين انتقلتا من الصورة إلى الكتابة.

ووفقا لذلك تأخرت بداية الفترة التاريخية في منطقتنا المغاربية بالنسبة لمثيلاتها في المشرق القديم وذلك حتى حلول البحارة الفينيقيين بسواحلنا في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد.

فهرس المحتوى

الفصل الأول

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الثاني